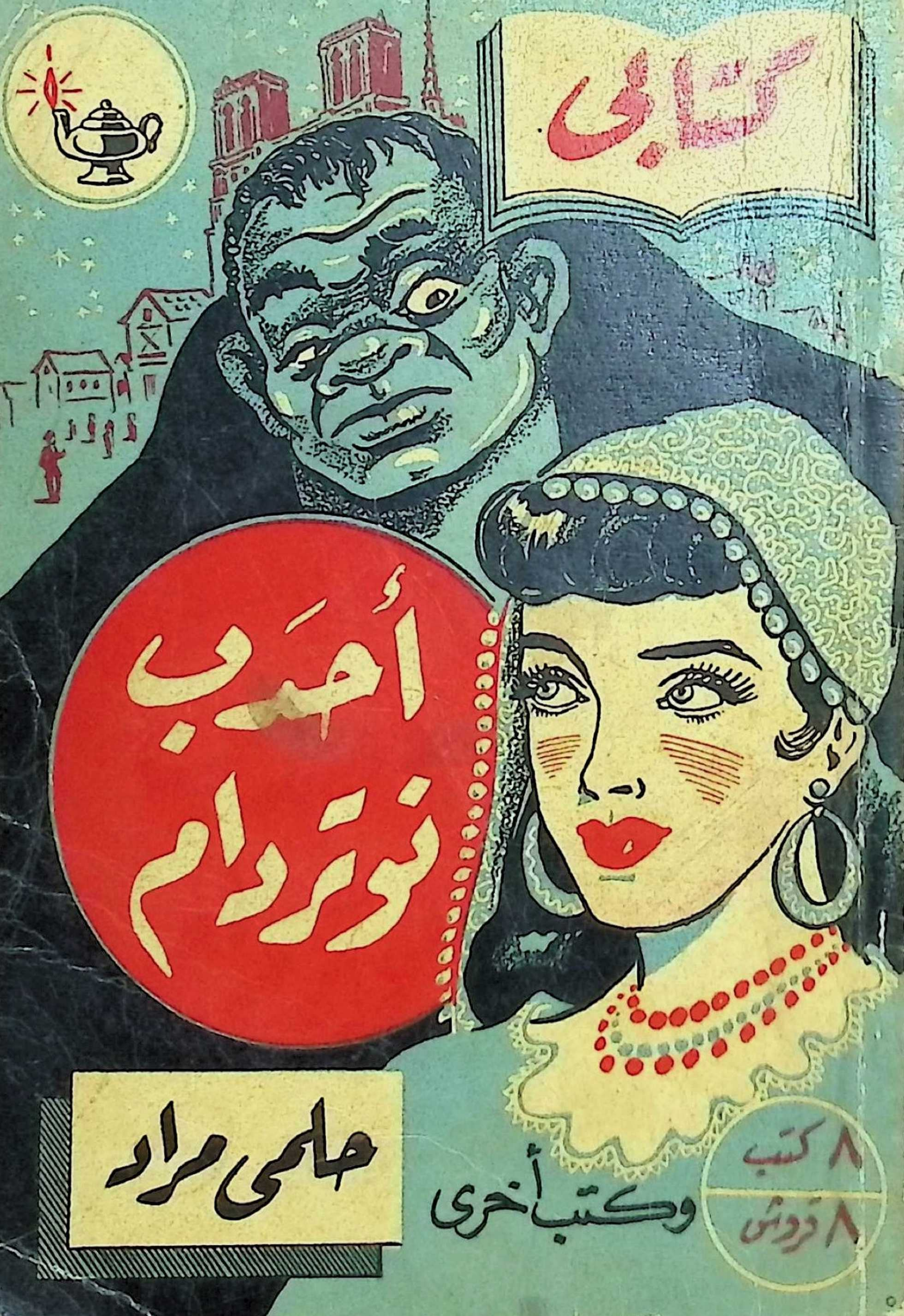
كتابى
أحدب نوتردام
حلمى مراد
وكتب أخرى
٨ كتب
٨ قروش

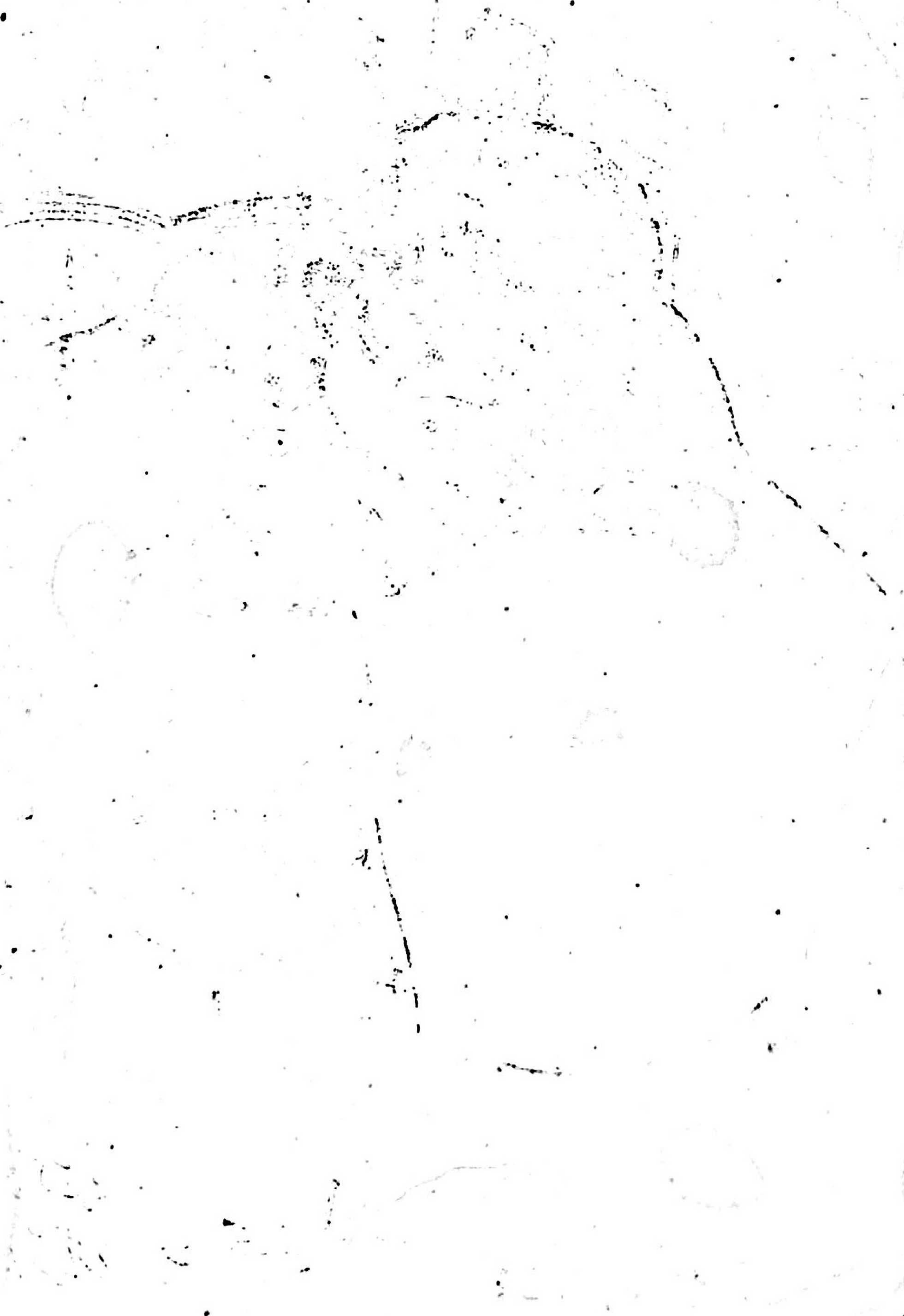

أحدب نوتردام

وكتب أخرى

كتب للمحرر

عندما تحب المراة (مجموعة قصص مصرية) الناشر « كتب للجميع »
اوسكار وايلد (حياته ، وفنه ، ومأساته) الناشر « البلاغ »
قلوب تحترق أو (حذار من الشفقة) لستيفان زفايج الناشر « روايات الهلال »
انا كارنينا لتولستوى الناشر « روايات الهلال »
رسول القيصر (ميشيل ستروجوف) لجول فيرن الناشر « روايات الهلال »
ذات الرداء الابيض لويلكى كولنز الناشر « روايات الهلال »
ابنة البخيل (أوجينى جرانديه) لبلزاك الناشر « روايات الهلال »
« كتابى » الاول : « خطايا الحب » وكتب اخرى مارس سنة ١٩٥٢
« كتابى » الثانى : « قلب عـذراء » وكتب اخرى ابريل سنة ١٩٥٢
« كتابى » الثالث : «الهاربة من الجنة» وكتب اخرى مايو سنة ١٩٥٢
« كتابى » الرابع : « حواء الجديدة » وكتب اخرى يونيو سنة ١٩٥٢

قصص وفصول ثقافية للمحرر

مجموعات مجلات وصحف : الهلال ، المصور ، الاثنين ، الكواكب ، مسامرات للجيب ، البلاغ ، الكتلة ، الرسالة ، الثقافة ، الراديو المصرى ، الحديث (سوريا)

كتابى

كتاب شهرى للقصة والثقافة الرفيعة

صاحبه ورئيس تحريره : حلمى مراد

المكاتبات : ١٨ شارع العباسيين ، مصر الجديدة ــ ت ٦٥٦٠٨

الاشتراكات : عن ١٢ عددا : مصر والسودان: ٨٠ قرشا . سوريا ولبنان: ١١ ليرة سورية او لبنانية . الحجاز والعراق والاردن: ١١٠ قروش صاغ

الكتاب الخامس ــ يوليو ١٩٥٢

رمز الكتاب : مصباح الفكر عند الاغريق

مطبعة شركة الاعلانات الشرقية

غرام الطلبة!
قصة مصرية
للمحرر

كانت تخطو نحو السادسة عشرة •• وانتقلت أسرتها الى القاهرة ، حيث كانت الفتاة قد اعتادت أن تمرح مع صويحباتها فى صيف كل عام ، بين دور السـينما التى تعرض الافلام « البوليسية » الشائقة ، وبين محلات « الجلاس » المنبثة فى الطرقات ، عاجبة من أختها الكبرى التى تفضل وقفة النافذة أو التحديق فى الفضاء •• على كل هذه « الصبيانيات » !

واقترح الاب الحاقها بالكلية الايطالية المجاورة للبيت، بينما آثرت الام مدرسة مصرية قريبة ، وسكتت الاخت الكبرى غير عابئة بمايبحثون !•• أما هى ـ صاحبة الشأن ـ فقد أصرت على مدرسة « سانت اتيين » ، زاعمة أنها تفضـل الثقـافة الفرنسية !•• **وجهل الكل سر هذا التفضيل ، ما عداها !•• فانها كانت ماتزال تذكر ماتهامست به صديقاتهـا من قصص الغرام الذى طالما نشأ وترعرع بين ركاب الاوتوبيس خـلال الطريق بين جاردن سيتى وشارع الملك •• فكان أن اختارت المدرسة التى تسلك اليها هذا السبيل !!**

❖

وجاء العام الدراسى ، فبدأت (يسرية) تتـأنق وتتعطر ، وتطيل الوقوف أمام المرآة •• وتتكلف فى مشـيتها الاناة والاتزان ، وفى نبرات صوتها ولفتات عينيها ألوانا من التجمل والدلال ••

وسمعت زميلاتها يتهامسن غامزات كلما رأين الى جوارها فى الاوتوبيس أحد ذوى الملابس الكاكى والنجـوم الصفراء ، داعيات لها بالتوفيق !•• فكانت تصطنع الضيق والاستنكار، وهي في أعماقها تدعو الشيطان الى اجابة الدعاء !

ثم ملت كل ذلك الغمز والانكار ، فاعتزمت أن تكون عند (حسن) ظن الزميلات ، ولو بالخيال •• فبدأت تتكلف الميل للعزلة ، وتتظاهر بالوجوم !•• وكان من (نحس) معلمة الجغرافيا أن حصتها هى الإخيرة كل يوم ، ومن هنا اختارتها الفتاة لايهام الزميلات بأنها قد باتت فريسة للشرود الطويل ، واللهفة على الانصراف عند أول دقات الجرس ••!

واستلزمت الخطة الجديدة بعض التضحيات : فكان لابد من الجهل بعاصمة البرتغال •• والوقوف جامدة أمام أسئلة المعلمة المتوالية عن حاصلات البرازيل ، وأشهر منتجات مصانع ليون !

وتزاملت أمام اسمها الاصفار •••!

❖

وأخيرا حانت الفرصة المنشودة : خرجت ذات يوم من حصة الجغرافيا مسرعة — كعادتها ! — ووقفت أمام محطة الاوتوبيس ونظرها راس فى ميناء ساعتها•• وجاءت جلستها فى السيارة بجوار نجمتين لامعتين !

وحالفها الحظ •• كان الضابط يتصفح احدى الخرائط فحزمت جرأتها وسألته عن•• عاصمة البرتغال ! •• فأجابها

الشاب مبتسما فى تساؤل عن حكمة هذا الاختيار .. واتصل حبل الحديث !

وحين غادرت الاوتوبيس قرب منزلها ، كان كل همها ان « تدبر » لاحدى صديقاتها مرضا ، كى تتعلل بزيارتها فى ذلك المساء !

❖

وفى ركن من حديقة الباتيناج – حيث كان « الكابتن حمدى » يمارس رياضة الانزلاق – وجدته أمامها فى الانتظار .. فزايل وجهها اصفراره ، وحلت محله حمرة خفيفة جذابة . وحين لمحت صديقة لها بصحبة أحد الشبان ، شعرت بالزهو يرفع رأسها .. فلقد أصبح لها هى الاخرى فارسها الجميل!

وجلسا يراقبان طوابير المنزلقين والمنزلقات .. وعرض عليها حمدى أن يعلمها « رياضة العصر »هذه .. ثم ألبسها القبقاب ذا العجلات وسايرها فى الخطوات الاولى ، وهوممسك بيدها ، حتى اطمأنت اليه .. وفجأة تخلى عنها ضاحكا ، فمرق بها قبقابها فى سرعة خاطفة أحسنت معها بقلبها يهوى من بين ضلوعها ، حتى لقدودت لو يلحق بها رفيقها فيمد ذراعه الى خصرها ليتلقاه .. ولم يخيب حمدى ظنها ، فأغمض الدوار عينيها وسقطت .. بين ذراعيه !

ثم اقترحت عليه أن يلعبا بالاطواق .. وبدآ يقذفانها على

المعروضات ، وهما يضحكان كلما طاشت عن اصابة الاهداف.. حتى أتى له طوق بوردة من الصدف ، وأتى لها آخر برباط رقبة أنيق ..

وبعد تبادل (الاسرى) جلسا الى مائدة فى ركن منعزل ، جاء اختياره شاحذا لخيال الشاب .. فمضى ينمق لها كلامه ، ويصوغ الآمال فى أعذب الالفاظ.. وهى ترشف من (الكاكاو) الذى قدمه لها ، ومع كل رشفة كانت تختزن فى ذاكرتها بعض عباراته .. كى تتحف بها فى الغد كراسة الانشاء !

❖

ولذ له أن يلهو بقلبها الطفل ، متابعا نموه كى ينعم بأولى ثماره من العاطفة البكر .. وخفيت عليها نواياه ، فمنحته حبها الساذج ، وأخلصت له بالقلب والفكر .. كانت لا تكاد تخلو الى نفسها حتى تتناول الوردة الصدفية لتأتنس بها ، وتمضى فى لثمها حتى تشفق عليها من أن تذيبها حرارة شفتيها ، فتدفنها فى صدرها وتحنو عليها ، كالطائر يخشى على صغاره من الفرار !.. وفاجأتها أمها ذات يوم فى هذا الوضع .. فأخفت الوردة فى صدرها وراحت تؤرجح ساقيها المتدليتين من الفراش ، مقلدة حركات طفلة صغيرة تلعب !.. فخرجت الام فرحة بأن ابنتها قد ورثت عنها « الاعتدال » الذى أهاب بها أن تعطى بدنها نصيبه من « الرياضة » بين الدروس !

❖

ـ حمدى .. شقيق احدى صديقاتى

ـ أختى احسان

.. وحين انتهت يسرية من واجب التعريف كان العرق يتصبب من وجهها ، من تأثير الصدمة التى أصابتها حين

فاجأتها أختها مع حمدى قرب منزله ‥!

وأرادت تدارك الموقف ، فزعمت لاختها انها قابلته صدفة وهى فى طريقها لزيارة شقيقته !‥ وأراد هو أن يعزز زعمها فدعا الاختين الى زيارة أخته فى البيت ، بعد أن زفع بصره الى النوافذ من بعيد ففهم من اطفاء الانوار أن لا أحد من أسرته هناك !‥

وكان طبيعيا أن يعتذر بعد دخولهما بأن أخته « لا بد قد خرجت » ، وأن يقدم لهما قدحين من الشاى ، وهم يتبادلون الاحاديث فى تحفظ متكلف ‥ ثم خرجت الاختان تاركتين (للمدموازيل) مع أخيها أطيب التحيات !

وفى الطريق دهشت يسرية حين بادأتها أختها بالإبتسام ، فى غير ثورة أو غضب ، متغاضية عن التعرض لها بكلمة ‥ كأنما قد اقتنعت بصدق ما مر بها من ملابسات !

ومن يومها آمنت يسرية بسذاجة احسان !

❖

وفى المدرسة لم تعد تضيق بمزاح الزميلات ، بل طاب لها التحرش بهن كى يبدأن معها (المناكفات) !‥ وصارت تشاركهن فى المزاح كلما أحدقت ألسنتهن بضحية جديدة من الفتيات الغريرات ، يشبعنها همسا وغمزا ، وهى كالظبية الشاردة تحاول الفرار ‥

وبدأت أوداجها تنتفخ كلما حملت معها الى المدرسة احدى « هداياه » اللطيفة ، لتستثير حولها الدعابات ‥ وهى فخورة معتزة بهذا الاعتراف بنضوجها ، وكأن العمر قد امتد بها سنوات !‥ ثم بدأت تحقد على (يونيفورم) المدرسة الذى

يحرمها من الظهور بثوبها «العسكرى» الجديد، الموشى على الكتفين ب (كوردون) و (زرارين)

لكن الثوب كان شؤما عليها •• فقد ارتدته للمرة الاولى وهى ذاهبة للقاء حمدى ، وطوال الطريق كانت تهيىء نفسها لكلمات الاعجاب التى عودها أن يسمعها اياها كلما أرضت ذوقه فى شىء ••!

وقابلته •• ولكنه خيب ظنها • لم يبد لها أى تعليق أو اطراء • وأحست منه فتورا لم تلبث أن تبينت أنه شرود !•• كانت تكلمه فلا يجيب الا ليتجنب نظراتها القلقة الحائرة !•• ومر بهما بائع الياسمين الذى عودها حمدى أن يجد فى مروره الفرصة لكى يقدم لها فى كل مرة عقدا جميلا ، يضعه بيديه حول رقبتها وهو يتأمل جيدها البض الناصع !•• لكنه فى هذه المرة تجاهل كل شىء •• وترك البائع يمضى ، وهى تشيعه بنظرة مضطربة ••!

ثم افترقا ، لتقضى ليلة طافت فيها بمقلتيها الدموع !

❖

وعند باب المدرسة انتظرها بعدأيام ليعتذر لها بأنه سينتدب فى مهمة تشغله عن لقائها يوم الاحد •• وسره أن قدرت عذره وقبلته راضية !!

لكنه كان واهما !•• فلقد ظلت الهواجس تتنازع فكرها ، وخيالها يتأرجح بين مختلف الفروض ••؟

وجاء مساء الاحد ، فخرجت فى الموعد المعتاد !•• سارت فى شارع قصر النيل حتى وصلت لاهثة الى المطعم الذى اعتاد حمدى أن يلقاها فيه •• وفى مقصورة منعزلة رأته جالسا الى مائدة عليها كؤوس البيرة ••

لكنه لم يكن يشكو الوحدة ، بل كانت الى جواره .. اختها احسان ! .. فى وضع ابعد من ان « يتهم » بالبراءة !

وقبل أن يلمحاها ، خرجت تجرى والعبرات تتسابق على خديها ، والافكار تتراكض فى ذهنها : لقد اعتزمت ان تمضى فى اليوم التالى الى مدرس (العربى) الذى صدع راسها بقائمة أمثاله، كى تقترح عليه ان يضيف الى «ما قالت حزام» و «جهينة الذى عنده الخبر اليقين » ... مثلا جديدا : «واحد عكر والتانى صاد » !!

وحين بلغت شارع فؤاد الاول وقفت تنتظر الاوتوبيس .. لكن لوحة فوق أحد المتاجر استلفتت نظرها . عرفت منها أن « البن » أهم حاصلات « البرازيل » !

وانما بعد فوات الاوان .. فقد عرفت ايضا ـ عند الامتحان ـ ان السقوط أهم منتجات الغرام !

اقرأ فى «كتابى» .. قريبا

الابواب الجديدة التالية :

لكل رسالة قصة

اشهر الرسائل المتبادلة بين العظماء وقصة الظروف التى احاطت بكل منها : رسائل لنابليون ، جوته ، ليدى هاملتـــون ، مدام دى سيفينيه ، مدام دى بومبادور ، الامبراطورة كاترين ، عشيقة جان جاك روسو ، لورد بيرون ، بلزاك ، هاينى ، بودلير ، بسمارك ، ميكيافيللى ، جورج صاند ، دانتى ، تشيكوف ، كبلنج ، لورنس بلاد العرب .. الخ

شهيرات النساء

باقة عطرة من سير نساء خلدت اسماؤهن وتفوقن على الرجال : كليوباترة ، تيودورا ، جان دارك ، مارى ملكة اسكتلندة ، كريستينا ، مدام دى مانتنون ، شارلوت برونتى ، نل جوين ، «جورج» اليوت ، اليزابيث باريت براونج ، فلورنس نايتنجيل ، سارة برنار ، ايزادورا دنكان ، مدام شيانج كاى تشيك ، هيلين كيلر .. الخ

اعظم الخطب

خطب شائقة لاعظم خطباء العالم القديم والحـــديث ، فى كل موضوع : فى السياسة والوطنية ، السلم والحرب ، الادب ، والفن ، والعلم ، والاختراع ، والدين ، والفلسفة ، وتابين العظماء ، والدفاع عن النفس لنفى تهم ظالمة ، وخطب العظماء المحكوم عليهم بالاعدام على اثر صدور الحكم .. الخ .. الخ

اقرا فيه خطبا لهؤلاء : بركليس ، سقراط ، ديموستين ، كاتو ، هانيبال ، شيشرون ، يوليوس قيصر ، مارك انطونى ، كرومويل ، فردريك الاكبر ، كامى ديمولان ، ميرابو ، دانتون ، مارا ، روبسبيير ، لنكولن ، رابندرانات تاغور ، غاندى ، هتلر .. ومن عظماء مصر : محمد فريد ، مصطفى كامل ، سعد زغلول .. الخ .. الخ

عندما ترفع الستار ..

روائع المسرح العالمي
(التمثيلي .. والغنائي)

عزيزي القارىء ...!

فى هذا الحر الخانق الذى يكاد يزهق الانفاس ، دعنى احاول الترفيه عنك بعض الشىء ، بتقديمى اليـك هذه الكوميديا الطريفة المرحة التى تهب علينا انفاسها العطرة منذ نحو اربعمائة عام .. وان كنت تحس مع ذلك وانت تقرأها ـ من فرط تأصل موضوعها فى النفس البشرية ـ كأنها قد كتبت فى هذا العصر الذى نعيش فيه .. ولا عجب ، فالبخل والبخلاء سيظلان مصدر الوحى للادب والادباء منذ عهد ((الجاحـظ)) و((موليير)) الى .. ابد الدهر !..

وفى الاعداد القادمة ستقرأ باذن الله فى هذا الباب المسرحيات الخالدة التالية: اوسكار وايلد : (مروحة الليدى وندرمير) ـ دانونزيو : (الجيوكندا) ـ جـون درنكواتر (ابراهام لنكولن) ـ برنـارد شو : (بيجماليون) ـ مكسيم جوركى : (الصعاليك) ـ تشيكوف : (الشقيقات الثلاث) ـ جوزيه اشيجاراى : (كـلام الناس) ـ ابسن : (مهزلة الحـب) ـ هوجو : (هرنانى) ـ موليير : (مدرسة الزوجات ، المريض الموهوم ، البخيل .. الخ) ـ شكسبير : (عطيل ، هملت ، ماكبث، ترويض النمرة ، تاجر البندقية، حلم ليلة صيف ، قيصر وكليوباترة ، روميو وجولييت .. الخ) ـ سوفوكل: (اوديب الملك) .. الخ

الثعلب

(ڤولپون)

كوميديا للكاتب الانجليزى "بن جونسون"

شخصيات الرواية

فولبون :	ثرى بخيل متقدم فى السن	Volpone
موسكا :	خادمه الخاص وشريكه فى مؤامراته	Mosca
فولتور :	محام من أصدقاء فولبون	Voltore
كورباشيو :	ثرى آخر مسن من أصدقاء فولبون	Corbaccio
كورفينو :	تاجر من أصدقاء فولبون	Corvino
سيليا :	زوجة كورفينو	Celia
بوناريو :	ابن كورباشيو	Bonario

زمان الرواية : القرن السابع عشر

مكان الرواية : مدينة البندقية (فينيسيا). بايطاليا

المؤلف

(١٥٧٣ ـ ١٦٣٧)

لعل «بن جونسون» هو اقدر كتاب المسرح فى عصر الملكة اليصابات ، وان لم يتلق تعليما يذكر ، فقد بدأ حياته «بناء» .. لكنه كان يجمع المعرفة فى أوقات فراغه من حيث وجد اليها سبيلا !

وفى سن التاسعة عشرة تزوج من امرأة سليطة اللسان ، فضيلتها الوحيدة وفاؤها له ، فقضى حياته معها فى شجار مستمر !

وقد بدأ «بن» يمارس هواية الكتابة للمسرح فى سن مبكرة .. فاخرج وهو فى الخامسة والعشرين روايته الكوميدية الاولى ، التى اطلق عليها : «كل انسان فى ساعات مرحه» ، وقد قام «شكسبير» بتمثيل احد أدوارها ، وكان وقتئذ ما يزال «ممثلا» مغمورا ، قبل أن يسطع نجمه ككاتب !

ثم دخل بن جونسون السجن ، على أثر مبارزة كاد يحكم عليه من جرائها بالاعدام ! .. وحين اطلق سراحه كتب كوميديا جديدة اطلق عليها «كل انسان فى ساعات غيظه» ! ..

ثم حاول أن ينتقل من كتابة الكوميديات الى كتابة المآسى ، فكتب عددا منها .. وذات يوم قاده حبه للشغب الى دخول السجن مرة اخرى ، بعد ان كاد يفقد انفه واذنيه فى الشجار ! .. فلما افرج عنه آخر الامر عاد الى بيته ليجد اطفاله جميعا قد ماتوا !

وازاء قسوة هذه المأساة زهد بن جونسون فى كتابة المآسى فعاد الى كتابة الكوميديات ، فقدم منها فى هذه المرة روائعه الثلاثة المشهورة: فولبون (الثعلب) التى الخصها لك فيما يلى ، و« الكيميائى » ، و«الشيطان حمار» ، وكلها حافلة بالسخرية والمرح .. وعلى اثر ذلك انعم عليه بلقب «استاذ فخرى فى الاداب» من جامعة اوكسفورد .. وكاد ينعم عليه بلقب «سر» ، لولا انه رفض هذا الانعام !.. ثم فقد آخر اطفاله ، فاصيب من جراء ذلك بنوبتى شلل قضت الاخيرة منهما على حياته فى سنة ١٦٣٧ ، وكان فى الرابعة والستين ..

واليوم ، يرى زوار قبره هذه العبارة محفورة على القبر : « ايها العبقرى النادر .. بن جونسون ! »

- ١ -

يرفع الستار عن الفصل الاول فاذا نحن فى مدينة «البندقية» ، حيث يعيش «فولبون» ٠٠ وهو رجل بلازوجة ، ولا والدين ، ولا أولاد ٠٠ عواطفه كلها مركزة فى ماله ، أو « ذهبه » !٠٠ ينظر اليه نظرة العابد الى معبوده الاوحد ، أو ملاكه الحارس !٠٠ وفى سبيل زيادة رصيده منه يوما بعد يوم لايتورع « فولبون » عن خداع جميع أصدقائه واحدا بعد الآخر ، موهما كلا منهم فى كل مناسبة بأن صحته قد ساءت للغاية ، وانه على وشك أن يموت ، بغية أن يمطره أصدقاؤه بهداياهم الثمينة ، وكل منهم يطمع فى أن يسترد ما بذله أضعافا مضاعفة حين تؤول اليه ثروة « فولبون » فى القريب العاجل !

٠٠ فلندخل الى منزل «فولبون» ، ولنصغ الى نقاشه مع خله الطفيلى « موسكا » الذى يشاركه فى تدبير مؤامراته وألاعيبه :

فولبون : ان أصدقائى يمطروننى بالهدايا ، والجواهر ، والذهب ٠٠ آملين أن أموت فى يوم قريب فتعود اليهم هداياهم عشرة أضعاف !٠٠وأنا أرحب بكل مايقدمون ، متلاعبا بآمالهم، مغتبطا بأن أستغل غفلتهم وسوء نواياهم ٠٠!

موسكا : ان حكمتك براقة مثل ذهبك !٠٠ وحاشا لك أن تبدد ثروتك على ورثة جاحدين ٠٠ وانما خير لك أن تنفقها على خادمك المتواضع موسكا !

◆ وهنا يسمع طرق على الباب ، فيخلع فولبون رداءه ويقفز الى فراشه ثم يبدأ فى التأوه والانين !٠٠ انه يمثل دائما دور المريض العاجز كلما أقبل واحد من أصدقائه العديدين الطامعين!

يدخل صديقه المحامى « فولتور » ـ أحد ورثته المنتظرين!ـ حاملا معه آنية ثمينة من الذهب الخالص ، هدية لفولبون !

فولتور : لكم يؤسفنى يا سيدى أن أراك ما زلت ضعيفا٠٠ فهلا قبلت منى هذا الطبق الاثرى المتواضع ، مع أطيب تمنياتى !؟

فولبون : شكرا لك يا فولتور ٠٠ أنت طيب للغاية (ويبدأ الماكر فى السعال ، كأنما أصيب بنوبة مفاجئة !)

موسكا (وهو يعين سيده ويقف الى جانبه) : انه ينحدر بسرعة نحو القبر ، وأنت يا سيدى وريثه !

فولتور : هل سجل فى وصيته حقًا انى وريثه ؟

موسكا : وبلا شريك يا سيدى ، لقد سجل ذلك فى وصيته صباح اليوم ٠٠ وكنت أنا الذى أغريته بذلك ، لا تنس !

◆ ويسمع طرق جديد على الباب فيهرع فولتور الى الخارج٠٠ بينما يدخل زائر آخر ، « وريث » ثان من ورثة المريض الثرى يدعى « كورباشيو » !٠٠ وكورباشيو يأمل ـ برغم تقدمه هو نفسه فى السن ـ أن يعمر بعد وفاة صديقه الكهل ، وأن يستمتع بثروته ٠٠!

كورباشيو (الى موسكا) : كيف حال سيدك ؟

موسكا : سيئة جدا ٠٠

كورباشيو : هذا حسن ٠٠ وهل كتب وصيته ؟

موسكا : كلا يا سيدى ٠٠ ليس بعد ٠

كورباشيو: اليك اذن هذه الحقيبة من الذهب، قد أحضرتها له ٠٠! (يأخذ موسكا الحقيبة ويقترح خطة يصير كورباشيو بمقتضاها وريثا لفولبون) : وتتلخص الخطة فى أن يوصى كورباشيو بثروته كلها لفولبون ، كى يوصى فولبون بثروته كلها لكورباشيو !!

يعترض كورباشيو على الخطة فى البداية مستنكرا : « **ماذا؟ هل أحرم ابنى من ثروتى ؟**» ٠٠ لكن موسكا يقنعه بأن هذا الحرمان سوف يجعل فولبون ـ بدافع الشكران والاعتراف بالجميل ـ يوصى بدوره بثروته كلها لصديقه السخى !٠٠ ثم يختتم الخادم ايحاءه الماكر قائلا لكورباشيو : « **وعلى أى حال فأنت لن تخسر شيئا يا سيدى ولن تخاطر بشىء ، فمن المؤكد انك سوف تعيش بعده ٠٠!** »

وهكذا يقبل كورباشيو اقتراح الخادم الخبيث ، ويقول له : « **موسكا ، انى أشكرك من صميم قلبى ٠٠ وحين يموت فولبون سوف أكون لك نعم الوالد الذى يرعاك ٠٠!** »

وبعد أن يجرد نفسه من ثروته على هذا النحو ، يخرج من بيت فولبون متحاملا على ساقيه المريضتين بالروماتيزم ٠٠ ولا يكاد يفعل حتى يقفز فولبون من فراشه صحيحا معافى كما كان ٠٠ !

فولبون : يا لك من ماكر ذكى ٠٠ تعال ، دعنى أقبلك !

موسكا : عد الى فراشك حالا ، فانى أسمع طرقا على الباب!

◆ **فيعود فولبون الى فراشه وسعاله وتأوهاته !٠٠ فى الوقت الذى يدخل فيه التاجر « كورفينو »، وقد أحضر بدوره لفولبون هدية ثمينة من اللؤلؤ والماس ٠٠!**

كورفينو (لموسكا) : كيف حاله الآن ؟

موسكا : ان ساعته قد حلت !

كورفينو : ماذا ؟٠٠ ألم يمت بعد ؟

موسكا : كلا ، لكنه فى حكم الميت ٠٠

◆ **وبعد أن يقوم الزائر بالمظاهرة المألوفة تحية للمريض واظهارا لعواطفه نحوه ، يهمس له موسكا مطالبا اياه بأن يفرح ويغتبط « فليس يليق بوارث أن يغالى فى الحزن ٠ »**

كورفينو : وهل أنا وريث فولبون ؟

موسكا : ولا أحد غيرك يا سيدى !٠٠ وقد فضلك على الباقين تبعا لنصيحتى أنا ٠٠

كورفينو : أنت ياموسكا أعز أصدقائى ، ولسوف تكون شريكى فى الثروة ٠٠!

◆ **ويذهب كورفينو، فيجلس فولبون وموسكا يستعرضان محصول اليوم: آنية من الذهب ٠٠ لؤلؤة ٠٠ وماسة ٠٠ حقيبة ملأى بالنقود الذهبية٠٠ «ماذا ، انها طريقة للثراء أنجع من سرقة تحف الكنائس!» ٠٠ ويعرب فولبون عن شوقه الى الاحتفال بحظه المواتى، بالرقص، والابتسامات، والقصف والمجون! ٠٠ فان الثعلب العجوز**

ما يزال متعلقا بمتع الحياة !٠٠ بل انه يريد من موسكا أن يجد له امرأة جميلة « لها وجه يأسر اللب !»

موسكا : ان زوجة «كورفينو» تتوافر فيهاهذه الشروط ٠٠ بشرتها أنصع من الثلج، وشفتاها تغريانك بأبدية من القبل !

فولبون : وكيف أستطيع أن أراها ؟

موسكا : هــذا غير ميسور ، فهى فى حرز حريز ـ مثل ذهبك ! ـ لا تخرج من البيت قط ، ولا تتنسم الهواء الا من النافذة ٠٠!

فولبون : ولكن يجب أن أراها يا موسكا ٠٠

موسكا : اذن فلتذهب متنكرا ، لئلا يتعرف عليك أحد !

فولبون : متنكرا ؟٠٠ حسنا ٠٠ هيا بنا ٠

- ٢ -

فاذا كان الفصل الثانى فنحن فى مواجهة منزل كورفينو ، وقد تنكر فولبون فى زى تاجر دجال يبيع الادوية والعقاقير السحرية ٠٠ وتنكر موسكا فى زى مساعده ٠٠ فاعتلى الاول مقعدا خشبيا يقع أسفل نافذة كورفينو مباشرة وراح يروج لبضاعته ، ويعلن عن مرهم عجيب يشـفى كل مرض أو علة تحت الشمس !

فولبون : اذا أردت أن تحيا سليما من كل مرض٠، مستمتعا بالقوة والصحة اللتين تسران عشيقتك ٠٠ فاستعمل هــذا المرهم وأنت تشفى من الالم والبؤس وكل مكروه ٠٠!

◆ ثم يعلن أنه سيقدم قارورة من المرهم السـحرى لاول شخص يلقى اليه بمنديله ٠٠ وعلاوة على القارورة سوف يهدى الى الشخص المذكور شيئا أثمن من كل ذهب العالم !

وتثير كلماته فضول « سيليا » زوجة كورفينو ، فتطل من نافذتها وتلقى اليه بمنديلها ‥ عندئذ ينحنى لها « فولبون » فى احترام ويقدم اليها هديته الموعودة : علبة من « البودرة » تحفظ لها جمالها وشبابها على الدوام ، فتظل أشبه بالهة لا تشيخ قط !‥ ثم يشرع الرجل فى اطراء جمال سيليا ... ولكن كورفينو يصل فى تلك اللحظة ويطرده بعيدا ـ دون أن يتعرف على شخصيته ! ـ فيعود فولبون الى داره ثملا بفتنة المرأة ، عاجزا عن مقاومة شوقه اليها !

فولبون : لست أطيق الحياة الا اذا أعنتنى يا موسكا على الحظوة بتلك المرأة !‥ خذ ذهبى وجواهرى ، وكل ما أملك ، وأحضرها الى هنا !

موسكا : سوف أبذل ما فى وسعى ‥ سأرحل فورا للبحث عن حيلة أحضرها بها ‥ فاذا نجحت ظفرت بالثراء والزهو بمقدرتى ‥!

- ٣ -

فاذا كان الفصل الثالث فنحن فى بيت كورفينو ، وقد جعل صاحب الدار يعنف زوجته ويؤنبها لانها ألقت بالها الى بائع العقاقير :

كورفينو : انك قد وقفت وأصغيت بأذنيك الفضوليتين الى غزل أولئك المهرجين ودعاباتهم ‥!

سيليا : ياسيدى العزيز ، انك تحرمنى من الخروج من باب المنزل ، فهل تنوى أن تحرم على النظر من النافذة أيضا ؟

كورفينو : بكل تأكيد ‥ سوف أخمد أنفاس الفسق

قبل أن يستشرى ، وأعلق فى رقبتك قفلا ثقيلا !٠٠ **(يسمع طرقا على الباب)** والآن اذهبى ، ولا تدعى بصرانسان يقع على وجهك المجلل بالعار !

◆ تخرج سيليا من الغرفة فى الوقت الذى يدخل فيه موسكا، خادم فولبون ٠٠٠ انه يحمل الى كورفينو أنبـاء سيئة ، فان صحة فولبون قد تحسنت بفضل مرهم الدجال السـحرى ، الامر الذىشجع الاطباء فوصفوا للمريض علاجا تكميليا عجيبا: امرأة جميلة فياضة بالشباب والحيوية ، كى تضفى عليه من شبابها شبابا ٠٠!

ثم يستطرد الخادم موسكا : « وفى سـبيل هذه المهمـة الكريهة انتدبت أنا ٠٠ ولقد تطوع أحد الاطباء بتقديم ابنتـه للمريض ، بغية أن يحظى برضاه قبل أن يكتب وصيته !!

ثم يناشد موسكا كورفينو بلهجة حارة :

موسكا : حل ياسيدى بينها وبينه اذا استطعت، والا فقدت ارثك الهائل !٠٠ فهل تعرف امرأة من العاهرات ، أو حتى من ذوى قرباك ، كى توصيها بأن تسرع الى المريض قبـل ابنة الطبيب ، فتفسد علاج تلك و « تقتله » بعلاجها هى ؟٠٠ فكر فى واحدة ٠٠ تذكر ، تذكر ، تذكر يا سيدى بربك !

كورفينو : لقد اعتزمت أن أرسل زوجتى اليه ٠٠ فما من انسان يستطيع أن ينتزع الارث من يدى بعد أن صار منى قاب قوسين أو أدنى !

◆ ويؤكد موسكا لكورفينو أنما من شىء يمكن أن يحول الآن بينه وبين أن يغدو وارث فولبون الوحيد : «ففى نكسته القادمة

سوف نتركه يموت٠٠سنجذب الوسادة من تحت رأسه ، فيموت من ضيق التنفس ! »

كورفينو : اذهب الآن اليه مسرعا وبشره بأنى سأحضر اليه زوجتى ٠٠٠ عسى أن تعين قبلاتها على اخماد أنفاسه !

- ٤ -

فاذا كان الفصل الرابع فقد ذهبت سيليا ـ مجبرة ، برغم ارادتها ـ الى منزل فولبون ، بصحبة زوجها كورفينو ، كى ينفذا خطة موسكا !٠٠ فى الوقت الذى يكون فيه عند المريض زائر آخر هو « بوناريو » ابن كورباشيو ٠٠ لقد أخبره موسكا أن أباه يعتزم حرمانه من الميراث لصالح فولبون !٠٠ ولكى يثبت اتهامه يعمد موسكا الى اخفاء الابن فى دولاب ، كى يسمع بأذنيه دليل خيانة أبيه !٠٠ وحين يصل كورفينو وزوجته سيليا يضطرب موسكا ويخشى افتضاح ألاعيبه وألاعيب سيده لكل من « الورثة » الطامعين فى الارث !٠٠ لكنه يعتمد على ذكائه لانقاذ الموقف ، فيحدث بوناريو :

موسكا : لقد أرسل والدك يقول انه سوف يتأخر بعض الوقت ، فاذا أردت أن تقضى فترة الانتظار فى غرفة المكتب التى فى آخر هذا الممر فستجد فيها ما يروقك من الكتب المسلية التى تعين على قتل الوقت ٠٠

وإذ يتخلص من بوناريو على هذا النحو ، يستدير الى كورفينو وسيليا :

موسكا : لم أكن أتوقع قدومكما مبكرين هكذا ٠٠

كورفينو : أردت أن أسبق الطبيب وابنته الى الظفر بالحظوة لدى سيدك ٠٠!

◆ وعندئذ يهنىء موسكا كورفينو على ذكائه وحسن تصرفه ، ثم ينسحب الرجلان تاركين سيليا وحيدة مع فولبون !٠٠ فتنظر الحسناء باشمئزاز الى الشـــيخ المحتضر الراقد على الفراش ٠٠ ولكن فجأة يقفز المريض من فراشه ويهرع اليها ، فتتراجع مذعورة صارخة ٠٠ ويسمع بوناريو الصرخة فيخف لنجدة المستغيثة ٠٠ وفى الهرج الذى يسيطر على الموقف يصاب موسكا بخدش من سيف بوناريو ٠٠ ثم يفر الاخير مع المرأة التى أنقذها ٠٠ فى الوقت الذى يصل فيه أبوه كورباشيو

كورباشيو : ماذا جرى ؟

موسكا : ابنك يا سيدى ٠٠ لقد وقف على نيتك بشـــأن تجريده من الميراث ـ ولا أدرى من الذى أطلعه على الامر ـ فجاء كى يتجسس عليك وأقسم أن يقتلك !

كورباشيو : هذا التصرف يزيدنى اصرارا على تجريده من الارث ٠٠!

◆ **وفى هذه اللحظة يدخل فولتور فيستنتج فورا أن شيئا غير عادى يأخذ مجراه فى البيت ٠٠ وحين يطلب من موسكا ايضاحا ، يومىء اليه هذا كى يخلو به ليفضى اليه بجلية الامر ٠٠ فاذا فعل قال له :**

موسكا : لا تخش شيئا ٠٠ فانك ما تزال الوريث الوحيد !

فولتور : اذن فما هذه المؤامرة الخاصة بوصية كورباشيو وحرمانه ابنه من الميراث ؟

موسكا : ان غرضى الاوحد هو أن أكفل لك ميراثا مزدوجا ، من ثروتى هذين الشيخين اللذين على عتبة الموت !

ثم يخرج الجميع فينفرد موسكا وفولبون :

فولبون : ماذا نفعل الآن ؟

موسكا : عسى أن تنصلح الاحوال ..

فولبون : انى أتوجس شرا .. وأحس برطـــوبة زنزانة السجن تتراءى لى فى أفق المستقبل !

- ٥ -

لكن زنزانة السجن لا تكون من نصيب فولبون وموسكا .. بل من نصيب بوناريو وسيليا .. فقدأبلغ السلطات عن الاول أبوه ، ووشى بالثانية زوجها ، مدفوعين كليهما بطمعهما فى ثروة فولبون ..!

وتشاء المصادفات أن يكون المدعى العام الذى يتولى اتهـام الشابين المقبوض عليهما هو فولتور ، الذى يطمع بدوره فى ثروة فولبون ويبغى ارضاءه بالانتقام له من المرأة التى استعصت عليه .. كيما يظل وريثه الوحيد !... ومن ثم فهو يلفق ضد المتهمين ـ بوناريو وسيليا ـ قضية زنا !.. ويصدق المحلفون رواية الاتهام ، فان المتهمين لا يملكان شاهدا على نقاء صلتهما غير ضميريهما .. بينما يتحالف ضدهما ـ زورا ـ جميع الشهود: كورباشيو ، الذى يبغى التخلص من معارضة ابنه فى وصيته .. وكورفينو، الذى يحقد على زوجته لانها أبت الخضوع لشهوات

المريض الثرى وصرخت مستغيثة فأفسدت المؤامرة ! ٠٠ ثم موسكا ، الذى يبغى الانتقام من الشابين اللذين أفسدا خطة سيده بشأن الاستئثار بثروة والد الفتى ، والحظوة بالمرأة الفاتنة ٠٠ !

ويصل فولبون ــ آخر شهود الاثبات ــ الى قاعة المحكمة محمولا على محفة ، وقد اتخذ هيئة المحتضر المشرف على الموت !

فولتور (مترافعا ضدالمتهمين) : وهذا ياحضرات المحلفين هو الشيخ الفانى الذى يريد بوناريو أن يصوره فى صورة الرجل المغتصب ٠٠٠٠ فتأملوا عينيه ، ويديه ٠٠ ثم احكموا : أهما يدا رجل يقوى على أن ينهش نهدى امرأة ؟

كلا بالطبع !٠٠ ويقتنع القضاة بأدلة الاتهام ، وبان فولبون شيخ عاجز يحتضر ، ومن أجله يستحق الباغيان الآثمان أن يعاقبا ٠٠ ومن ثم يحكمون على بوناريو وسيليا بالسجن ، ويشكرون فولتور على الخدمة الكبرى التى أداها للعدالة بتقديمهما للمحاكمة ٠٠٠!

- ٦ -

فاذاكان الفصل الاخير فنحن فى منزل فولبون مرة أخرى ٠٠ حيث نراه فرحا بالخدعة التى انطلت على القضاة ، الى حد أنه يصرح لخادمه موسكا بأنه قانع بهذه النتيجة أكثر مما لو كان قد حظى بالمرأة الحسناء !٠٠ وامعانا فى اللهو والمزاح يعمد البخيل الى اعداد وصية مؤقتة يوصى فيها بكل ثروته لخادمه موسكا ، ثم يعمل على نشر شائعة قوية تزعم انه قد مات !٠٠ وهو يبغى من ذلك أن يرى بنفسه تأثير هذا النبأ على كل من أصدقائه المنافقين !

ولا يكاد هؤلاء الطامعون فى الارث : كورباشو ، وكورفينو، وفولتور ، يسمعون النبأ حتى يهرعون الى بيت مورثهم كالطيور المندفعة الى الشرك ! ويختبىء فولبون فى مكان يرقب منه موسكا وهو يتلو على ثلاثتهم وصية سيده المتوفى !

وتدهش الوصية ثلاثتهم ، ويثير غضبهم وغيظهم ايصاؤه بثروته لخادمه !٠٠ لكن الخادم لا يأبه لهم ولا يعبأ بغضبهم ، وانما يعاملهم ويخاطبهم بكل احتقار :

موسكا : والآن اذهبوا، أيها التعساء المتكالبون على المال٠٠٠ واقفلوا أفواهكم ، والا رويت مؤامراتكم لعامة الناس ٠٠ فلو نطقتم بحرف لاطلقت لسانى من عقاله كى يشبعكم تشهيرا و « تشنيعا » ٠٠ فعودوا اذن الى بيوتكم والزموا عقر دوركم ٠٠٠ وموتوا بغيظكم !

لكن الانذال الثلاثة الذين خابت آمالهم يأبون التسليم لغريمهم دون قتال !٠٠ ولا سيما فولتور ، الذى يصر على أن يثأر من موسكا ولو وشى بنفسه هو فى غمار انتقامه ٠ ومن ثم فهو يتوجه الى القضاة الذين أدانوا بوتاريو وسيليا كى يعترف لهم ببراءة الشابين ٠٠!

وفى المحكمة يلتئم شمل جميع أطراف القضية ، بما فيهم موسكا بل وفولبون ، الذى تنكر فى زى ضابط بوليس ٠٠!

فولتور : يا حضرات القضاة ٠٠ لقد حبكت خيوط اتهامى لهذين الشابين بدافع الطمع ٠٠ لذلك يطالبنى ضميرى الآن بالتعويض والتكفير ، والاعتراف بأسماء الاثمة الحقيقيين ٠٠ انهم موسكا و ٠٠

فولبون (ضابط البوليس) ينتحى بفولتور جانبا ويهمس له:

صه ٠٠ لقد كلفنى موسكا أن أصارحك بأن فولبون ما يزال حيا ، وانك ما تزال وارثه الوحيد !

فولتور (حائرا) : والآن ، ماذا أفعل ؟٠٠٠

فولبون : اعدل عن روايتـــك ٠٠ قل انك مريض ، وانك لاتفقه شيئا مماروته الساعة ٠٠!

◆ **وازاء ذلك يتكلف فولتور أنه أصـيب بنوبة صرع !٠٠ وحين يفيق منها يزعم أنه لايعرف بماذا تفوه منذ برهة ٠٠٠ ويؤكد انه لم يقصـــد أن يدلى بأى اعتراف ، وليس لديه ما يقوله ٠٠ ثم يضيف الى ذلك ان موسكا برىء من كل اثم ، وان فولبون لم يمت ٠٠!**

فولبون (الى موسكا) : لقد حسبت أن كل شىء قد ضاع ، فاذا كل شىء بخير ٠٠ فتعال يا موسكا ٠ اخبرهم انى ما زلت على قيد الحياة !

◆ لكن موسكا ، الذى يملك فى يده الوصية المؤقتة التى ترك له فيها سيده كل ثروته ، يأبى أن يطيع رب نعمته ٠٠ ويصر على أن فولبون قد مات !

موسكا (يواجه المحكمة) : يا حضرات القضاة ، ان سيدى المحبوب « فولبون » قد مات ، ولقد عدت توا من تشييع جنازته!

فولبون : بل ان فولبون ، أيها السادة الاماجد ، ما يزال حيا ! **(ثم ينزع أدوات تنكره)** أنا فولبون ، وهــذا خادمى الخائن ٠٠ والآن أيها السادة ، ما دمنا جميعا حاضرين ٠ فلنعد النظر فى عقوبة كل من المتهمين ٠٠!

◆ ويسود المحكمة جو من الهرج والمرج ، والدهشـــة ، والتعليقات، والاعترافات، ثم يتضح الموقف كله على حقيقته٠٠

وعلى ضوئه يطلق سراح بوناريو وسيليا ۰۰۰ ويحكم علـــى موسكا بالسجن المؤبد ۰۰ وعلى كوربفينو بأن يقاد فى زورق يخترق قنوات البندقية كلها وقد وضعت على رأســـه أذنا حمار !۰۰ ويشطب اسم فولتور من جدول رجال القـــانون ويفصل من منصبه ۰۰ أما كورباشيو فيحكم عليه بالنفى المؤبد فى أحد الاديرة ۰۰ وأما فولبون ــ الثرى البخيل ــ فيزج به فى السجن وتصادر ثروته لصالح الدولة ۰۰!

ويتوجه رئيس المحكمة الى الحاضرين بالقول :

ــ والآن، وقد افتضح أمر الجميع ، فسحقا لهم۰۰ وليتعظ كل من رأى عقابهم على رذائلهم البغيضة ، ويأخذ من قصتهم درسا لا ينسى : ان الاشرار يتغذون كالوحوش حتى يسمنوا۰۰ ثم يكون مصيرهم : الذبح !

(ســــتار)

الخالدون

عظماء .. في غير السياسة

عزيزى القارىء ...

فى الاعداد الماضية قدمت لـك على التوالى قصص حيـاة : «ديفاليرا» ، و«غاريبالدى» ، ثم «لويس باستير» ، و«اميل زولا»

واليوم اقدم لك عظيما آخر ، اختارت له الاقدار ميدانا آخر من ميادين العظمة والخلود ، غير ميدان السياسة أو الطب أو الادب .. هو «ماركونى» مختـرع اللاسلكى ، الذى يستحق منك ان تبارك كفاحه العلمى كلما جلست الى الراديو فادرت مفتاحه ، لتصغى الى اعـذب الالحان .. أو آخر الانباء !

وفى الاعداد التالية اعرفك باذن الله بهؤلاء الذين تشتاق الى معرفتهم منذ بعيد : برنارد شو ، لورد بيرون ، شيللى ، براوننج ، دانتى .. بيتهوفن ، شوبان ، تشايكوفسكى ، شوبرت .. فولتير ، شوبنهاور ، نيتشة ، ارسطو ، افلاطون .. بوذا ، كونفوشيوش .. داروين ، اينشتين.. شكسبير ، جوته ، روكفيلر ، اديسون ، فورد .. بلزاك ، ديكنز ، والتـر سكوت ، ديمـاس ، دستويفسكى ، موباسان .. كولمبوس ، الاسكندر المقدونى ، بطرس الاكبـر ، فردريك ، بسمارك .. مايكل انجلو ، رفاييل ، ليوناردو دى فنشى ، وغيرهم

ماركوني
قصة حياته وكفاحه فى
سبيل العلم والاختراع
MARCONI
by
HENRY THOMAS

نبـــوءة ..!

ـ « أنظرى !.. يا لكبر أذنيه ! » .

فأجابت أم الطفل المولود قريبتها المدهوشة : « انه بهاتين الاذنين سوف يستطيع التقاط أخفت الاصوات من الهواء ! ».. وكانت الام تعنى انه سيصير موسيقيا ، فقد كانت هى ذاتها من المغرمات بالموسيقى .. ولكن الاقدار كانت تهيىء للطفـــل مستقبلا فذا ، أخطر شأنا وأبعد صيتا من كل ما توقعته أو تمنته له أمه !

وشب الصبى منذ حداثته مجتهدا ، واسع الآمال ، ذا طبيعة حالمة .. ولعله ورث سعة الخيال عن أمه الايرلندية ، ونشاط ومهارة اليدين عن أبيه الايطالى .. وبتلكما اليدين النشطتين استطاع أن يحول أحلامه الى حقائق !

◆ وقد ولد (جوجليلمو ماركونى) فى ٢٥ ابريل ســـنة ١٨٧٤ ببلدة « بولونيا » الايطالية ـ البلدة التى قال فلكى قديم فى احدى نبوءاته عنها : « انها سوف تهب العـــالم هبتين عظيمتين : احداهما للمعدة والثانية للحضارة والعقل ! » .. وقد تحققت نبوءته فعلا ، تحقق الجزء الاول منهـــا حين فكر قصاب من قصابى المدينة فى ابتكار طعام جديد للناس ، هو طعام (السجق) ـ الذى يسمى بالايطالية « بولونيا » ، نسبة الى اسم المدينة ـ وتحقق الجزء الثانى من النبوءة حين اخترع الطفل الذى نحن بصدده : اللاسلكى !

شغفه بالمعرفة والاطلاع

◆ وقد تلقى ماركونى دراساته جميعا على أساتذة خصوصيين ، فان أباه الذى كان مزارعا ثريا أبى أن يدخله المدارس العامة .. فصار الفتى ينكب على المجلدات التى تحفل بها مكتبة أبيه فى ضيعته بناحية (بونتشيو) - قرب بلدة بولونيا - فيغترف المعرفة منها فى نهم وشغف شديدين ... وهكذا هضم الفتى مئات الكتب فى شتى الموضوعات ، وكان مولعا بصفة خاصة بما يدور منها حول الكهرباء والكيمياء والآلات البخارية .. وكان دائما يحاول أن يطبق علمه عمليا بواسطة التجربة ، محدثا نفسه بمنطق التشكك : «انهم يقولون كذا وكذا ، ولكن كيف أصدق ما يقولون دون أن أجربه بنفسى ؟ »

وذات يوم أنشأ لنفسه معملا خاصا صغيرا أسماه « معمل الساحر » ، وحين تيسرت له الاسباب نقل اهتمامه من معمله الصغير « البيتى » الى المعامل الكبرى فى خارج البيت. وحاول مرة أن يستخرج « النترات » من الهواء ، ولكن التجربة باءت بالفشل ... وان يكن فشله قد لفت نظره الى ظاهرة هامة ، الى « مخزن الكنوز » الذى فى الهواء .. فقد لاحظ ازدحام الهواء بتموجات صوتية لا حصر لها ، تنتظر من يلتقطها ويحصرها ثم يعيد توزيعها على صورة محسوسة ! وكان الفضل فى اكتشاف هذه الظاهرة الى كبر أذنيه وحساسيتهما المرهفة!

وهكذا راح الفتى يسائل نفسه فى حيرة وامعان فكر : « أين تذهب وماذا يحدث لملايين الكلمات والاصوات التى يلفظها أو يحدثها الناس فى كل لحظة كما تنثر الحبوب فوق سطح

بحيرة !؟٠٠ هل هى تضيع فى الهواء وتذهب الى الابد ، أم تظل سابحة فى الفضاء على غير هدى فى انتظار آلة خاصة تلتقطها؟»

يد المصادفة ٠٠!

◆ وذات يوم ، فيما هو يقلب فى رأسه هـــذه الفكرة ، وقعت فى يده مجلة بها مقال عن تجارب العالم الالمانى « هنريش هرتز » ، فقفز قلبه بين ضلوعه !٠٠ ها هو يعثر أخيرا عـــلى مفتاح اللغز الغامض !٠٠ ذلك ان البروفسور هرتز قد اخترع جهازا كهربائيا يرسل شرارة من أحد أركان الغرفة الى ركنها المقابل دون أية واسطة ملموسة أو أســلاك !٠٠ فكيف تعبر الشرارة الغرفة ؟ لا شك انها تعبرها على متن تموجات الهواء ، كما تعبر قطعة الخشب عرض البحيرة على متن أمواج الماء !٠٠ فاذا ثبتت صحة ذلك حقا ، أفلا يصير فى الامكان توجيه الصوت من مكان الى مكان ؟٠٠ **وما دام فى الامكان ارســـال شرارة كهربائية أو صوت ما بين أركان الغرفة ، أفلا يمكن ارسالها عبر الحقل أو المدينة ، أو الاقليم ، أو القـــارة ٠٠ أو ربما المحيط ؟ ان المسافة التى يستطيع الصوت أن يقطعها عبر الهواء تعتمد على قوة الدفعة الكهربائية ، كما تعتمـــد المسافة التى تستطيع قطعة الخشب أن تقطعها فوق سطح الماء على قوة يد الصبى التى تقذف بها !!**

◆ وكانت الفكرة فذة فى بساطتها !٠٠ أو كما وصـــفها ماركونى نفسه بعد أعوام : « كانت من البداهة والوضوح من الوجهة المنطقية الى حد جعل من المستغرب أن أحدا لم يفكر من قبل فى اخراجها الى حيز التنفيذ !٠٠ بل الى حد انى رجحت

أن يكون هناك علماء أكثر نضوجا وخبرة قد سلكوا ذات الطريق وانتهوا الى ذات النتائج ٠٠ ذلك ان الفكرة كانت منذ البداية بالنسبة لى أقرب الى الواقع بحيث أدهشنى أن تبدو النظرية فى رأى الآخرين خيالا غير قابل للتصديق والتحقيق!»

تشجيع الام ٠٠ وسخرية الاب!

◆ وبلغ الفتى العشرين، وهو ما يزال دائبا على تجاربه ، ساخرا من سخرية أساتذته ذوى الشعر الاشيب ٠٠ ثم صنع بالاشتراك مع أخيه (الفونسو) جهازا حاول به اجراء تجربة ارسال الشرارة التى قام بها العالم الالمانى (هرتز) ، ولكنه فشل ٠٠ فأعاد فك وتركيب أجهزته وآلاته ، المرة بعد المرة ، ولكن النتيجة كانت فى كل مرة واحدة : الفشل دائما !٠٠ حتى بدأ الشك يتطرق أخيرا الى قلبه : « ترى هل يكون الاساتذة ذوو اللحى البيضاء على صواب آخر الامر؟»

واشتد بالفتى النحول ، والاصفرار ، فرجاه أبوه فى الحاح أن يفيق من « أحلامه الجنونية » ويخلد لعمل جدى فى أية وظيفة محترمة !٠٠ وحذرته أمه من خطر الاصابة بانهيار عصبى لو استمر فى مجهوده المضنى ٠٠ أما أصدقاء الاسرة فكانوا يتأملون حاله وهم يهزون رؤوسهم قائلين فى أسف

ظاهر : « أغلب الظن أن الامر سينتهى به الى مصحة الامراض العقلية ! »

« لكنى لم أفقد قط شـــجاعتى » يقول ماركونى ٠٠ وانما استمر الفتى فى تجاربه « الجنونية العقيمة » حتى قال لابويه يوما انعنده مفاجأة لهما ، ودعاهما الىغرفةمعمله ، حيث ضغط زرا صغيرا ٠٠ وكم كانت دهشتهما حين سمعا أزيز جرس يدوى فى غرفة من غرف البدروم يفصل بينها وبين المعمـــل طابقان !

قالت له أمه متعجبـــة : « ولكن كيف فعلت ذلك ٠٠٠ فى حين أنه لاتوجد أسلاك تصل بينالغرفتين ؟!» ٠٠ فأجابهـــا ابنها فخورا : « نعم ، لا توجد أسلاك البتة ٠٠ فلقد اخترعت جهازا لنقل الصوت بلا سلك ! »

فقبلته أمه والدموع تطفر من عينيها قائلة : « فليباركك الله يا ابنى » ٠٠ أما أبوه فاكتفى بهز كتفيه وهو يبتعد قائلا : « اذن فقد اخترعت اللاسلكى ؟ وماذا فى هذا ؟؟ »

◆ وظل السنيور ماركونى (الاب) يسخر من تجارب ابنه ٠٠ لكنه لم يضن عليه بالمال ، فنفحه بمبلغ خمسة آلاف ليره (أىنحو ألفجنيه) كىيواصل «اختباراته الجنونية» !٠٠ فأمد المبلغ الفتى بحماس مضاعف جعله يجاهر بقوله : « اننى بهذا التشجيع سوف أسمع العالم صوتى ! » ٠٠

لكن أباه لم يبخل عليه بالسخرية حتى فى تلك المناسبة ، فأجابه قائلا : « بل حاول أنتجعل هذا التشجيع يكسو جسدك بالثياب أولا !٠٠ ان اختراعك يبدو فى نظرى بلافائدة عملية »

ـ « ربما ٠٠ ولكننا سنرى ! »

واستأنف الفتى تجاربه بهمة لا تعرف الكلل !

وكانت تلك الفترة من مراحل جهاد ماركونى (١٨٩٣ — ١٨٩٥) فترة اكتشافات و « احتمالات » علمية عظيمة ٠٠ فقد أحس قادة العلم فى تلك السنوات انهم قد بلغوا فجر عصر نهضة علمية كبرى ، وخاصة فى ميدان الكهرباء ٠٠ ألم يتوصلوا الى جعل التيار الكهربائى يخترق صخرة من الجرانيت أو جدارا سميكا ؟٠٠ وهكذا كتب العالم الانجليزى « سير وليام كروكس » يومئذ يقول : « **لقد فتحت أمامنا مغاليق دنيا جديدة وعجيبة٠ فها نحن بازاء احتمال نجاح اختراع فذ محير، هو اختراع التلغراف الذى بلا سلك !٠٠ وليس هذا مجرد حلم من رؤى فيلسوف خيالى ، وانما هو أمر يوشك أن يغدو حقيقة واقعة** ٠ فان جميع الوسائل اللازمة لجعله فى متناول البشر فى حياتهم العادية قد أصبحت على وشك الاكتشاف ، وغدت أمورا معقولة وواضحة من وجهة نظر الباحث العالم ، الى حد أننا بتنا نتوقع أن نسمع فى أية لحظة انها قد خرجت من حيز الاحتمال الى دنيا الحقائق الواقعة »

لا كرامة لنبى فى وطنه ٠٠!

◆ وقد قدر لنبوءة هذا العالم الانجليزى أن تتحقق أولا فى انجلترا ٠٠ فان الحكومة الايطالية رفضت أن تشجع ماركونى فى أبحاثه ، فاضطر المخترع الشاب ـ البالغ من العمر اثنين وعشرين عاما ـ الى أن يشد رحاله الى لندن ، وبصحبته أمه الايرلندية ٠٠ وهناك وجد الفتى الايطالى آذانا مستعدة لتقبل « مزاعم » اختراعاته بعطف بالغ ، كما وجد جمهورا مستعدا

لان يتسلى بأنباء « السحر » الايطالى الوافد على بلاده !

واستقبل ماركونى عند وصوله نفر من الصحفيين الانجليز، فابتدره أحدهم وهو يشير الى الآلات التى اصطحبها « المخترع» معه : « أتريد أن تقول ان آلاتك هذه تصلح لشىء ؟ » ٠٠ فأجابه الشاب فى ثقة : « نعم ، انى أعدها كى ترسل اشارات عبر الهـــواء »

ــ حتى خلال الضباب ؟

ــ حتى خلال الضباب !

ــ أتعنى أن تقول أن اشاراتك سوف تخترق أى شىء ، وكل شىء ؟

ــ ان تجاربى تجعلنى أعتقد ذلك !

◆ ومضى الفتى فى تجاربه قدما حتى نجح فى أن يجعـل رسائله اللاسلكية تقطع مسافة مائة ياردة ٠٠ ثم ظل يضاعف قوة جهاز الارسال حتى صارت الرسائل تقطع مسافة ثلاثة أميال ، فثمانية أميال ، فثمانية عشر ميلا ٠٠ حتى جاء يوم ٢٧ مارس سنة ١٨٩٩ فضغط ماركونى مفتاح جهاز نصبه فى قرية « ويمرو » الواقعة على الشاطىء الغربى بفرنسا ٠٠ بينما كان مساعده يصيخ السمع بجوار جهاز استقبال نصب فى ميناء دوفر عبر بحر « المانش » !٠٠ وبعد ثوان من الترقب المرهف سمع ماركونى اشارة من مساعده يقول فيهـــا : « رسالتكم وصلت على أتم صورة ! »

واذ ذاك تهافت الحاضرون على المخترع الشاب يهنئونه ٠٠ لكن ماركونى نحاهم عن طريقـــه قائلا فى لطف : « أما وقد غزونا القنال ، فقد صارت مهمتنا المقبلة أن نقهر المحيط ! »

انجلترا تحتضن الاختراع !

◆ وفطنت الحكومة الانجليزية الى أهمية وخطورة الاختراع الجديد ، فخفت الى تشجيع ومعاونة المخترع الايطالى بكل صور التشجيع والمعاونة ٠٠ كما تحمس نفر من رجال الاعمال الانجليز فأسسوا شركة مساهمة « للتلغراف اللاسلكى » جعلوا رأسمالها مائة ألف جنيه !

وفعل التشجيع والترحيب فعلهما فى نفس ماركونى، فانكب على آلاته وتجاربه ينشد المزيد ٠٠ ثم أنشأ سلسلة من المحطات على طول الساحل الانجليزى ، وزود عددا من السفن بأجهزة لاسلكية ، فسهل عليها أن ترسل اشارات من وسط البحار تنبىء عن أماكنها أو تطلب النجدة عند اللزوم !٠٠ وعند هذا بدأ المتشائمون الساخرون يتراجعون عن موقفهم ويقتنعون ، فى بطء ، بأن « هناك فى هذا (اللاسلكى) شىء نافع ، آخر الامر ! »

وذات ليلة متكاثفة الضباب من أبريل سنة ١٨٩٩ أجريت التجربة الحاسمة ، التى أثبتت قيمة اختراع التلغراف اللاسلكى بصفة جدية ٠٠ ففى عتمة الظلام الحالك اصطدمت السفينة « ماتيوز » فى عرض البحر صدمة خطيرة ، فما ان أرسل جهاز اللاسلكى فيها اشارة الاستغاثة حتى حدثت المعجزة ٠٠ التقطت الجهات المختصة الاشارة فسارعت قوارب الانقاذ الى مكان السفينة الغارقة فأنقذت جميع ركابها !

تطور الاختراع

◆ حتى ذلك الوقت كان ماركونى قد نجح فقط فى ارسال اشارات قصيرة المدى ٠٠ لكن أحلامه كانت أوسع مدى من

ذلك ، كانت تطمعه فى أن تخترق اشاراته الاطلنطى ، الامر الذى اعتبره كبار العلماء وأساتذة الاكاديميات حلما وهميا !٠٠ فلما نشر « ماكليور » فى جريدته مقالا أشاد فيه بما بلغه ماركونى من نجاح وما ينتظره من نجاح أعظم تصدى له أستاذ فى جامعة « كلارك » محتجا على نشر « أكاذيب خرافية » على الجمهور ، مدعما احتجاجه بالقول انه من المستحيل أن تعبر الاشارة اللاسلكية مسافة بعيدة فوق سطح الكرة الارضية ، لان قوانين الطبيعة تحول دون ذلك ، نظرا لكروية الارض !

تلك كانت مزاعم ونظريات العلماء ٠٠ لكن تجارب ماركونى ضربت بها كلها عرض الحائط !٠٠ وأظهرت ان الموجات الصوتية تسير فى الهواء فى انحناء يوازى انحناء سطح الكرة الارضية ٠٠ ومن ثم تستطيع تلك الموجات أن تحمل رسالة عبر الاثير حول الارض كما تستطيع أمواج المحيط أن تحمل سفينة حول الارض ٠٠!

ومضى ماركونى فى تجاربه لتحويل تلك الاحلام الى حقائق٠٠ وشيئا فشيئا استطاع إطالة مدى المسافات التى تعبرها اشاراته اللاسلكية الى خمسة وعشرين ميلا ، فخمسين ميلا ، فخمسة وسبعين ميلا !٠٠ ثم دعى للسفر الى أمريكا كى يذيع باللاسلكى على الولايات الامريكية المجاورة نتائج السباق الدولى للزوارق بين فريق (كولومبيا) وفريق (سامروك)، فجاءت النتيجة نجاحا باهرا لماركونى !٠٠ وانتهز المخترع تلك الفرصة فركز جهوده فى بحث مسألة زيادة أبعاد أجهزته اللاسلكية حتى تستطيع عبور المحيط بين أمريكا وأوربا٠ وفى احدى المناسبات سأله صحفى فى شك ظاهر : « أتعتقد أحقا أن ذلك ممكن

ياسنيور ماركونى ؟ » فأجابه المخترع: «لا أستطيع أن أعتقد غير ذلك . كل ما يلزمنى فى سبيله اعداد جهاز ارسال يكون من القوة بحيث تطوى رسائله أمواج الاطلنطى ! »

اللحظات الرهيبة !

◆ نحن فى يوم الخميس ١٢ ديسمبر سنة ١٩٠١، وقد جلس ماركونى مكتئبا متوجسا أمام مكتب فى بناية (جون كابوت) التذكارية ـ الواقعة فى قمة برج فوق تل عال على شاطىء (نيوفوندلاند) ـ وأمسك جهاز استقبال تليفونى قرب أذنيه، وراح يتطلع ببصره الحاد من خلال النافذة نحو المحيط المصطخب .. ان الامواج شديدة الهياج اليوم .. فهل ترى يتمكن من التقاط الاشارة اللاسلكية التى أعدت العدة لارسالها فى تلك الساعة من انجلترا عبر الاطلنطى الى أمريكا ؟

مضى ينقل بصره من الامواج البعيدة المصطفقة عند الافق الى صفحة السماء .. ثم الى السارى الذي ثبتت فى أعلاه بضع أسلاك قصيرة يفصل بينها عازل من النحاس ...

واستبد به القلق ، ترى هل تقوى الاسلاك على مقاومة العاصفة الهوجاء التى تقترب قادمة من الافق وهى تسوق أمامها رقع السحاب المتكاثفة؟.. فى كثير من التجارب السابقة مزقت عواصف أقل من هذه أسلاك الاجهزة ، فهل يحدث ذلك

اليوم ؟٠٠ كلا ، انه يجب ألايحدث ٠٠ ان قارتين كاملتين تنتظران فى لهفة نتيجة هذه التجربة ولسان حال سكانهما هو التأكيد فى سخرية « مستحيل أن يحدث هذا ! »

◆ لبث ماركونى ينتظر ويترقب ٠٠ كان يعلم أن ذلك ممكن أن يحدث ، ولكن ؟٠٠ وكان موعد البدء بارسال الاشارة من انجلترا قد جدد فى الساعة الثالثة بتوقيتها المحلى ، وهى توافق الساعة الحادية عشر والنصف بتوقيت (نيوفوندلاند)٠٠

لكن منتصف الساعة الثانية عشرة مضى ، والثانية عشرة ، ثم الثانية عشرة والربع ٠٠ وماركونى جالس ينتظر الفرج ، واجف القلب !٠٠ ما من صـوت يسمع سـوى عصف الريح واصـطفاق الامواج !٠٠ ألعله مخطىء آخر الامر ؟٠٠ ولعل جمهور الساخرين هم الذين على حق ؟

الثانية عشرة والثلث ٠٠ الثانية عشرة والدقيقة الخامسة والعشرين ٠٠ والثانية عشرة والدقيقة التاسعة والعشرين ٠ ماللدقائق تتباطأ فىسيرها ؟٠٠ لكأن كل شىء يمهد للفشل المحقق ٠٠ كم سيضحك العالم ساخرا من المخترع الدجال ! أواه يارب !

الثانيـة عشرة والدقيقة الثلاثين ، وفجأة أرهف ماركونى سمعه ٠٠ ترى هل حواسه تخدعه ؟٠٠ بل كلا ٠٠ فها هو صفير الجهاز يسمع خافتا ، ثلاث مرات ، معبرا عن حرف "S" وفقا لقواعد الشفرة ٠ هل وقعت المعجزة أخيرا ؟

لكن ماركونى عاد الى فندقه دون أن يحدث أحدا عن نتيجة التجربة ٠ أراد أن يتحقق أولا فىاليومين التاليين من نجاحها ،

فانه كان قد أوصى مساعده المقيم فى انجلترا أن يرسل الاشارة فى ثلاثة أيام متتالية ..

وكانت النتيجة واحدة فى الايام الثلاثة : نجاحا باهرا !.. ان ماركونى على أتم استعداد الآن للتحدث الى رجال الصحافة.. وهكذا طلعت جريدة (نيويورك تيمس) فى صبيحة ١٥ ديسمبر سنة ١٩٠١ وفى صدرها بالخط العريض هذا العنوان « جوجليلمو ماركونى يعلن أعظم كشف علمى فى العصور الحديثة . . لقد عبرت الاشارة اللاسلكية المحيط الاطلنطى .. الخ »

وبينما كان العالم كله يصفق للمخترع العبقرى ، كان ماركونى نفسه قد انصرف فى سكون الى مواصلة تجاربه !!

المرأة .. أخيرا !

◆ وفى مارس سنة ١٩٠٥ أعطى ماركونى نفسه أجازة من عمله الشاق ، كى يتزوج من امرأة ايرلندية من النبيلات تدعى « بياتريس اوبريان » ، ابنة رجل اسمه اللورد « اشيكين ».. **لكن وفاقهما الزوجى لم يدم أكثر من فترة شهر العسل القصيرة ، ثم تلت ذلك تسع عشرة سنة من الخلاف الدائم والشقاق المستمر !.. فان ماركونى لم يكن من طراز الازواج الذين يتفرغون لزوجاتهم وتوافه حياتهم البيتية . لم يكن يمت الى زوجته بقدر ما كان يمت الى العالم المتمدين كله !.. ورغم ان الزواج أثمر ثلاثة أطفال فانه انتهى آخر الامر بالانفصال والفسخ (عام ١٩٢٤)**

لكن ماركونى أعاد التجربة فى سنة ١٩٢٧ - تجربة الزواج

والحياة العائلية ، لاتجارب اللاسلكى ! ـ وفى هـــذه المرة تزوج من ايطالية حسناء هى الكونتس (ماريا كريستينابيزى سكالا) ٠٠ ونجح زواجه الثانى ٠٠ فقدعلمته الايام أن «يلهو» بعد أن تقدم فى السن ، فاشترى يختا جميلا وأعده كى يصلح قصرا ومعملا فى الوقت نفسه ٠٠ وأعانته حياته الجديدة على أن يسترد هدوء أعصابه ويغدو أكثر ارضاء لزوجته ، وعناية بتوافه الحياة البيتية ٠٠!

السنوات الاخيرة ٠٠

◆ وكانت السنوات الباقية من حياته سنوات عود حثيث الى الشباب ٠٠ « فالعلم يجعل الانسان شابا مهما شاخ ! »٠٠ وتتابعت على حياته الاحداث ، البهيجة والاليمة على الســواء : ففقد عينه اليمنى فى حادث سيارة ٠٠ ونال جائزة (نوبل) فى العلوم ٠٠ ومضى فى تحسين اختراعه الأكبر (الراديو) حتى بلغ به أقصاه ٠٠ وفيما هو يفكر فى احتمال الاتصال لاسلكيا بالكواكب السماوية ٠٠ فاجأه الموت وهو على ظهـر اليخت (الليترا) فى ٢٠ يوليو سنة ١٩٣٧ ٠٠ « فأبحر على سفينة أخرى ، كى يستأنف اكتشافاته فى بحر آخر ! »

MASTERING
SHYNESS
by
C.H. TEEAR
B A
كيف تقهر "مرض"
الخجل!
للعالم النفسانى س . هـ . تيار

هــذا الكتاب

الخجل صفة من اشيع الصفات النفسية ، بحيث لا يكاد يخلو منها فرد من الافراد . بيد انها ككل شيء في الحياة يمكن ان تتضخم فتغدو « ورما » خبيثا او « عاهة نفسية » مرذولة وضارة بصاحبها اعظم الضرر .. !

فالشخص الشديد الخجل شخص مروع ، منزعج ، مضطرب الحياة : لانه شخص لا ثقة له بنفسه ، فلا سبيل له الى الطمانينة على حقه ، أو الاستمتاع باطايب العيش السانحة له ، لان توتر اعصابه المستمر يحول دون ذلك ..

وقد يحب الخجول الناس ، ويميل الى معاشرتهم ، والانس بمجالستهم ، بيد أنه يشعر ان ثمة حاجزا يحول دون وصوله الى تلك الامنية !

وليس ذلك الحاجز هو لب المشكلة ، وانما لب المشكلة هو جهل الشخص الخجول بان هذا الحاجز الذى يفصل بينه وبين ميله الى مخالطة الناس انما هو من صنع نفسه ، ولا وجود له فى الواقع الا فى وجدانه الخاص .

ويغلب ان يكون ذلك الخجل المرضى ناجما عن صدمة اصابته فى طفولته ، أو فى صباه الباكر ، فاثرت فى وجدانه ، ثم اختمر ذلك التاثير فى اعماقه حتى غدا عقدة من عقد النقص تضفى على سلوكه كله لونها الخاص .

ولا مندوحة لمن يريد الخلاص من تلك العقدة ان يعرف اسبابها الاولى ، عن طريق تحليل نفسيته والبحث فى ماضيه . فقد انقضى ذلك الزمن الذى كان يقال فيه للمريض بمرض نفسانى «تذرع بقوة الارادة تتغلب على خجلك الشديد» .. فقوة الارادة قد تعالج العرض الظاهر ، ولكنها قد تضاعف العلة الكامنة .

وهدف هذا الكتاب ان يبين للناس طريق التخلص من هذا الخجل الزائد ، وان يعينهم بالتحليل والشرح المبسط على استعادة الصحة النفسية .. ويحطم الحوائل التى تحرمهم من التمتع بمباهج الحياة الاجتماعية ..

الناس فريقان

◆ الناس فريقان : فريق منهم يجد غاية السعادة فى صحبة الجماعة ، والاندماج فى الجمهور ، فتجد أفراده يهشون ظاهرا وباطنا للقاء الغرباء ، والتعرف الى أصدقاء جدد • وهؤلاء هم الانبساطيون أو «المتفتحون للحياة» ••• وقل أن يصاب أحد من أهل هذا الفريق بالخجل الشديد ذى المضاعفات •••

أما الفريق الثانى فيكره صحبة الجماعة ، ويضيق بالجمهور ، ولايهتم فى الحياة اهتماما جديا الابأمر واحد أو أمرين ، ينصرف اليهما بجماع وجدانه • ولايمنح صداقته وألفته الا لعدد من الناس محدود جدا ، أما الباقون فلا يفتح لهم نفسه ، ولايميل الى المعاشرة القائمة على المجاملة السطحية والصحبة السهلة • وهؤلاء هم «الانطوائيون» ، ويغلب عليهم أن يكونوا من أهل الخجل والمصابين بمضاعفاته ••!

◆ والواقع أن لكل انسان من الناس « وسطا وجدانيا » لايستريح الا اذا وجده وعاش فيه • ولايمكنه أن يشعر بالسعادة الا فى ذلك الوسط • فليس معنى التغلب على الخجل ، بالنسبة للشخص المنطوى على نفسه بفطرته ، أن يغدو محور المسرح وباعث الحياة والحركة فى كل مجموعة يجد نفسه فيها • كلا ، وانما الغرض طبعا هو ألا يضيق بالوجود فى الجماعة ، وألا يبدو للناس ظاهر النفور أو المخالفة للمجموع •• وانما يكون قابلا للاندماج فى الجمهور ، لايشقيه الزحام والضجيج ••

الخجل شىء •• وحب الهدوء والعزلة شىء آخر !

ومن الناس من جبلوا بطبعهم على حب الهدوء •• وليس فى حب الهدوء عيب ، فالهدوء شىء آخر غير الخجل المفرط •• فقد

يكون المرء هادئا بطبعه ، ولكنه ليس مفرط الخجل ٠ **والفارق بين الهادىء والخجول أن الهـادىء يحب العزلة حقا ، ويميل الى الائتناس بالقراءة ، أوالصمت ، أوتربية الحمام ، أو جمع طوابع البريد ، أو زراعة الزهور ٠٠ الخ ٠٠ وبالاختصار فهو لايميل الى ضجة المجتمعات ٠٠ أما الخجول فهـو راغب فى قرارة نفسه فى الاندماج فى المجتمع ، ولكنه يشعر بعجزه عن تحقيق هذه الرغبة بسبب خجله ، وهذا هو مصـدر شقائه بعـزلته « الاجبارية » ، على عكس الرجل الهـادىء الذى ينعم بهذه العزلة ويقنع بها كل القناعة ٠**

◆ وللخجل المفرط مضاعفات ، أولها التقزز العصبى والنفور من مخالطة الناس ، مع وجود رغبة كامنة فى تلك المخالطـة ، مما يجعل نفس الخجول مسرحا لصراع بين الاقدام والاحجام ٠٠ فذلك النفور العصبى ماهو الانتيجة لخوف مكبوت من الناس ! ٠٠ فعلينا اذا كنا انطوائيين محبين للعزلة أن نتبين أولا كنه حبنا للعزلة ، وهل هو ناجم عن تفضيل صحيح للاعتكاف ، أم هـو «هروب» من الناس مبنى على الخوف منهم !

ويجب أن نتنبه الى ظاهرة شائعة لدى الانطوائيـين ، هى خداعهم لانفسهم ٠٠ فهم لايسلمون بأنهم يخشون الاختلاط بالناس ، بل يزعمون أنهم مطبوعون على الهـدوء والعـزلة أصلا ! ٠٠ ذلك أن المصابين بعقدة النقص ميالون بالفطـرة الى انكار وجود تلك العقدة ، والى نسيان مبعثها المكنون فى اللاشعور ٠

ويلاحظ أن الشخص المصاب بداء الخجل المفرط اذا تقادم عليه العهد وهو فى عزلته ، وعاش مدة طويلة بلاصديق ، وبغير عشراء يرتفع بينه وبينهم التكليف ، انقطع بأفكاره عن أفكار

الناس ، وفقدت آراؤه مرونة الحياة التى لاتتيسر الا بالمناقشة والاحتكاك والتمحيص ، وصار ضيق الافق ، شاذا فىآرائه ، شديدالتمسك بوجهة نظره التىتنقصها الحصافة والنضوج٠٠ فهو دائما كثير التوجس ، مختل الميزان ، يجســم الصغائر ، ويقيم للتوافه وزنا غير سليم ، وربما توهم منالامور ما لاوجود له ، ومن الاهانات والمكائد مالم يخطر لاحد ببال ٠٠ فهو لشدة نفوره من الناس يحسب أنهم يكنون له من الشعور مثــل مايكنه لهم ٠٠!

ولما كان كل سلوك للانسان له سبب ، فانه يجب عــدم السكوت على هذه الحالات الشــاذة ، بل ينبغى المبادرة الى علاجها ٠ وأهم أشواط العلاج هوتشخيص الداء ، فمتى عرفنا سبب العقدة ، سهل حلها ٠٠ بل ان مجرد معرفة سبب العقدة قد يكون أحيانا كافيا لعلاجها وانتفاء أعراضها ٠

والتغلب على عقدة الخجل بوجه الخصوص يلزم لهعاملان:

أولا : القضاء على الكبت الذى يحجر على الرغبة الطبيعيــة فى الاختلاط بالناس ٠

وثانيا : تحرى السبب الذى نجمت عنه عقدة الخجل تحريا رائده الامانة التامة والتدقيق ٠

جريرة الآباء ٠٠!

◆ وعقدة الخجل ـ شأنها فى ذلك شأن سائر الاضطرابات النفسانية ـ تبدأ فى الغالب الاعم مع بداية عهدالطفولة ٠ ذلك أن هذا العهد هو الفترة التى نكون فيها عاجزين عن نفع أنفسنا أوالدفاع عنها بسبب افتقارنا الى الذخيرة اللازمة منالتجارب٠

فعلاقاتنا بغيرنا من الناس فى نعومة أظفارنا ، ولاسيما علاقاتنا بوالدينا ، على أكبر جانب من الاهمية ... **فالوالدان على الخصوص هما المسئولان عن بناء الاساس الثابت من الذكريات التى تؤثر فينا وتوجهنا فى مستقبل حياتنا : ان الى الخير والفلاح ، وان الى الشر والشقاء !..** فسعادة الطفل تتوقف الى حد كبير جدا على معاملة البالغين له وشعورهم من جهته . فاذا عاد الوالد مثلا من عمله مجهدا بعد يوم شاق ، فانه يكون على الارجح ضيق الصدر بكل مايصدر عن أطفاله ، فتهتاج أعصابه وينهال عليهم بالتأنيب أو بالصد من حيث كانوا يتوقعون العطف والتدليل والاقبال . كذلك لايندر أن يغار الاخوة الكبار من اخوتهم الصبيان أو الاطفال الصغار لغير سبب ظاهر من حيث كان هؤلاء يأملون منهم اللطف والايناس .. وفى وسعنا أن نقيس على هذا المثل عشرات الاسباب التى تجعل الكثيرين منا ينشأون غير واثقين من أنفسهم فى كل مايتصل بمعاملة الناس لهم . **وليس الخجل الا نتيجة فقدان الثقة فى مودة الناس بسبب تجارب ترجع الى عهد الطفولة ، تنطوى على الالم والاذلال ..**

◆ فالقاعدة العامة ان الانسان يتجنب بطبعه كل موضوع قد يثير فى نفسه ذكريات مؤلمة . ولهذا السبب يميل الكثيرون الى تجنب الاحتكاك بالناس لان ذلك الاحتكاك مقرون لديهم بأسوأ الذكريات من عهد الطفولة ، حين احتكوا بغيرهم لاول مرة ، فأصابهم ذلك الاذلال أو الصدود الذى عجزوا عن الدفاع عن أنفسهم ازاءه ...

وهذه هى علة العلل فى عقدة الخجل ، يحمل جريرتها

أول من يحملها : الآباء ، ثم رفاق الصبا وزملاء الدراسة ...

مسئولية المعلمين فى المدرسة !

فأهم مافى الموضوع اذن هو اكتشاف أصل هذه العلة بالضبط . ولكن هذا ليس سهلا ، لسبب بسيط مؤداه أن الانسان مجبول على الاتجاه الى نسيان موضوع آلامه القديمة اتجاها لاشعوريا ، ولكنه مقصود . وهذا النسيان هو الذى يعرف باسم « الكبت » . فنحن نجنح الى اغراق الاثر السيىء فى أغوار تيار الوجدان ، بحيث تغوص تحت الوعى ، لكى تحل محلها فى العقل الواعى ذكريات مفرحة أوأقرب الى ارضائنا .

ولكن ينبغى أن نتنبه الى أن أى تجربة حديثة من نوع التجربة القديمة المؤلمة كفيلة ببعث هذا الماضى ان لم يكن بتفاصيله فبجميع آثاره المؤلمة !.. فنحن قد لانتذكر ظروف الالم القديم ، ولكننا قطعا نتذكر الشعور المؤلم نفسه ، بكل مايتصف به من شدة .. ولنضرب لذلك مثلا فنقول : تصور انك طفل صغير فى أول مراحل الدراسة ، وان المدرس طلب اليك الوقوف والقراءة فى وسط الفصل بصوت عال . وان هذا المدرس قاس متهكم . فلاشك اذن أنك متلهف على ارضائه لتوقى غضبه وعقابه . ولاشك أيضا أن هذا التلهف نفسه من شأنه أن يثير أعصابك ، فيجف حلقك ، ويصعد الدم الى وجهك فيتعثر لسانك وتتلعثم !

ومتى شعرت باضطرابك فى القراءة أحسست بالنقص أوالدونية ، وزاد من وطأة هذا الشعور ماوجهه اليك الاستاذ من تقريع ، ولاسيما وان سائر رفاقك قد سمعوا هذا التقريع !.. يضاف الى ذلك أنك تخشى ان تصل الشهادة المدرسية الخاصة بك فى آخر الفترة الى البيت وفيها درجة

زرية فى المطالعة فيسوء مركزك فى البيت . ولما كانت المدرسة والبيت هما كل عالمك فى هذه السن الصغيرة ، فلاغرو ان خيل اليك بعد ذلك ان العالم كله يستصغر شأنك وينظر اليك نظرة ازدراء ..!

◆ والذى يهمنا من هذه العوامل كلها هو تألمك من الظهور بمظهر غير لائق على ملأ من الآخرين . **فهذا الشعور المؤلم يرسب فى أعماق نفسك ، حتى اذا كبرت لازمك منه أثر : فما ان تهم بدخول غرفة غاصة بالناس ، أو بابداء رأى وجيه فى مناقشة تدور أمامك ، أو بالحديث الى شخص غريب أو مجموعة غرباء ، الا ويتنبه لديك فى كل حالة من هذه الحالات ذلك الشعور القديم بالنقص وبالمذلة أمام المجموع** ، فيستولى عليك التردد وتتعثر فى الحديث وترتبك خطواتك .. هذا اذا بدأت الحديث أصلا أو دخلت من باب الحجرة ، لان الاغلب أنك ستتجنب الموقف منذ البداية تحاشيا لتكرار المأساة !

فمثل هذه الذكريات القاسية هو السبب فى انطواء الكثيرين من الناس على أنفسهم وانزوائهم انزواء «مرضيا» ..

التنقيب فى ذكريات الطفولة !

◆ واذن فأول ماتجب العناية به لعلاج عقدة الخجل هو البحث الدقيق الدائب فى ذكريات الطفولة . وأول ماينبغى أن ينصب عليه هذا البحث هو علاقاتنا بوالدينا : هل كنا نشعر بالامان والاطمئنان والثقة فى حبهم لنا ، أم كانوا ضيقى الصدر بنا بحيث لم نكن ندرى ماسيبدر منهم نحونا فى أى لحظة من اللحظات ..؟!

فاذا فرغنا من هذه المرحلة انتقلنا الى البحث فى مرحلة الدراسة ، فهى لاتقل أهمية عن المرحلة السابقة لها : فهل كنا سعداء أيام المدرسة ؟ واذالم نكن سعداء فى تلك الايام فما هو السبب ؟ ثم هل كنا نحب مدرسينا ؟ وأى هؤلاء المدرسين كانوا أحب الينا ، ولماذا ؟

وهذه النقطة الاخيرة ، ونعنى بها أى المدرسين كان أحب الينا وسبب ذلك الحب ، من أهم نقط البحث فى الموضوع : لان الصفة التى جذبتنا الى مدرسنا المحبوب يغلب أن تدلنا بطريق العكس على الصفة التى نفرتنا من غيره • فاذا كان هذا المعلم المحبوب ممتازا بالاناة والشفقة ، فمعنى ذلك أننا كنا فى أشد الحاجة الى الاناة والشفقة ، وان افتقارنا اليهما فى المدرسة كان علة شقائنا بها !•• ومن هنا ننتقل الى بحث مسألة قوية الصلة بهذه : هل كانت علاقاتنا بالزملاء وبوالدينا تصطبغ بضيق الصدر والقسوة أم لا !؟

◆ وطبيعى ان عقلنا الواعى سيكون أقرب الى تزويدنا بذكريات سارة فى هذا الصدد ، لسبب بسيط جدا هو أن الذكريات السارة لاتخضع لعامل الكبت • ولكن علينا أن نقاوم هذه العقبة ونركز ارادتنا لمحاولة تذكر الامور غير المستحبة ، بل المؤلمة !•• ثم نربط هذه الذكريات البغيضة بعضها ببعض ونحللها ونحلل آثارها فينا •• على أن ندون هذه الامور ، ونعود الى المحاولة يوما بعد يوم ، مع تكرار التسجيل •• فان ذلك من شأنه أن ينشط ذاكرتنا ويستدر المكبوت فيها استدرارا لم يكن يخطر لنا على بال ، فلاتلبث جذور العقدة النفسية وعلتها المكنونة أن تتضح لنا ••

كيف « نروض » خجلنا ؟

◆ ومتى اكتشفنا العلة الاصلية للخجل صار علينا بعد ذلك أن نجردها مما نسج حولها من تهاويل الآلام والمخاوف والمذلة ، وأن نزنها وزنا صحيحا بالقياس الى حياتنا فى مجموعها .. ومؤدى ذلك الوزن أن نقدر أنفسنا تقديرا دقيقا ، أى ندخل فى اعتبارنا مزايانا ومواهبنا ، كما ندخل فى اعتبارنا عيوبنا ونقط الضعف فينا ..!

ويجب أيضا ألاننسى ان الخجل المفرط قد لايكون سببه عقدة قديمة ذات جذور فى العقل الباطن . فقد يكون سبب هذا الخجل المفرط هو الافتقار الى فرص لمقابلة الناس ، وعلاج ذلك هو التحامل على أنفسنا وخلق مناسبات لمقابلة عددمعقول من الناس بحيث نكتسب المران على المقابلة والحديث معهم .

ولعل العصر الحديث يساعدنا كثيرا على خلق هذه المناسبات ، بل لعله يتطوع بخلقها لنا : فالتردد على دور العبادة خطوة أولية نحو المران على مخالطة الناس والاشتراك معهم فى عمل من أعمال الجماعة . يضاف الى ذلك الاشتراك فى الندوات الثقافية والاندية الرياضية والمنظمات الاجتماعية والسياسية ، فان ذلك كله ممايتيح لنا التعرف الى الناس بأقل مجهود نتكلفه من أعصابنا ، فى محاولتنا ترويض خجلنا !

◆ والمهم ألانهتم لفشلنا أوشعورنا بالضيق فى المحاولات الاولى .. بل نمضى فى التجربة ، موطنين النفس على أنه من المحتمل جدا أن تصادفنا بضع عقبات على صورة صد أو اعراض أونفور من جانب بعض أعضاء هذه الهيئات والمجتمعات ، ولكننا حريون على كل حال أن نكتشف فى هذه الجماعات أشخاصا

يلذ لنا أن نعرفهم ، لانهم يشتركون معنـــا فى اهتماماتنا ، ولاشك أن هؤلاء سيرحبون بصداقتنا • وهكذا نتقدم ببـطء ـولكن في ثقة وثبات ـ نحوالائتلاف بالناس والانس بصحبتهم •

وقد يكون سبب الخجل أحيانا أن يكون لـدى الشخص عيب جسمانى ظاهر أوعاهة تجعله يعتقد أنه أقل من ســائر الناس ، وموضع نفورهم !•• ومثل هـذا الشخص يجب أن يعلم علم اليقين أن النـاس لايكترثون فى الغالب بعاهاته مالم يتطوع هو للفت نظرهم اليها !•• يضاف الى ذلك أنه ما من شخص ، مهما كانت عيوبه الجسمية ، الا وفيــه مزية تحبب الناس فيه لوأنه اســتطاع ابرازها بحيث تكون موضــع تقديرهم •• وعندئذ ينعم بماينعم به سائر البشر من الصداقة والمودة وحسن المعاشرة، حتى لينسى عاهته كما ينساها الناس!

كن متفائلا ••!

◆ فالقاعدة الذهبية فى معاشرة الناس هى أن راحتنـا مع أنفسنا شرط أساسى لراحتنا فى صحبة النـــاس !•• لذلك يجب أن نجعل من نقط ضعفنا عوامل لبناء شخصيتنا ، لا عوامل لهدمها •• فلا نقر فى أنفسنا أن الحياة قاسية شاقة ثم نكتفى بالكآبة والخمول ، كلا ! بل يجب أن نروض أنفسنا على استخراج اللذة من المسرات البسيطة التى تتاح لجميع الناس ، كى نشعر بالتعويض عن متاعبنا فى الحياة • فقصارى القول أن سلوكنا فى الحياة ينبغى أن يتسم بالشجاعة والتفاؤل ••

والمشاهد المؤلم أن من يرى الحياة سوداء اللون تســود الحياة فى وجهه فعلا ، ومن يتوقع منها البلاء تكون بلاء عليــه فعلا ، والتحسر المستمر ينتهى بتخاذل مزمن يباعد بيننا وبين

السعادة ، لاننا سنخطىء فى تأويل مايسنح من الخير والمودة : فاذا تودد الينا شخص أوأظهر العطف حملنا ذلك منه على محمل التعطف والتنازل والتفضل !٠٠ واذا تحمس بعضهم فى القول أو ارتفع صوته فى المناقشة حملنا ذلك منه على معنى الايذاء والزراية !٠٠ الخ

◆ فالمعول اذن على التفاؤل ، وعلى مدى قدرتنا على أن ندخل فى ذهننا اليقين بأننا مهما كانت أخطاؤنا فنحن أهل لتقدير الناس ، بحيث نستبعد جنوحهم الى الاساءة الينا طواعية ولغير سبب قوى جدا ٠٠!

أما اذا اعتقدنا العكس فاننا سنتحرى تجنب الناس ٠ وليس يمنع من نشوء هذه العقيدة أن نكون من أهل الامتياز٠ بل انه يحدث للكثير من الممتازين الشاعرين بامتيازهم أن يعتقدوا فى الناس سوء التقدير لمواهبهم ، ولاسيما اذا اتسمت محاولاتهم الاولى فى مخالطة الناس وكسب تقديرهم بالفشل ٠ ومثلهم فى ذلك كمثل الممثل أوالموسيقى النابغ الذى يأنس من الجمهور سوء التقدير لاول وهلة فيأبى أن يؤدى دوره أمامه بعد ذلك !

وغير نادر فى ذلك الفريق من أصحاب المواهب أن ينتقلوا من النقيض الى النقيض : فاذا لم يكونوا محور التقدير الكامل منذ البداية انتقلوا بسرعة الى النقيض ، فينسحبون من الميدان نهائيا !٠٠ ويغلب أن يكون هذا ناجما عن علة فى التربية الاولى ، **فان تجاربنا فى الطفولة مفروض فيها أن تعلمنا كيف نتقبل الحقيقة المرة ٠٠ ونوطن أنفسنا على أن الآخرين لهم حق مثل حقنا فى الظفر باهتمام الناس ، واننا لايمكن أن نكون محور اهتمام الناس كله ، وفى كل وقت ٠٠!**

◆ فالمسلك الصحيح يفرض على صاحبه ألا يتعلق بالمستحيل، وان يعلم أن كل شخص معرض للفشل ، وان السعادة فى الحياة ليست مرهونة بالشهرة أو المكانة الاجتماعية التى تفوق المألوف !٠٠ ولعل أكثر الناس استمتاعا بالحياة هم أولئك الذين ارتاحت نفوسهم الى الواقع ، فهم لايرون فى أنفسهم أكثر مما يرى فيهم الناس !٠٠ ولكن ما كل انسان يستطيع هذا ، ولذلك نرى معظم الشقاء ناجما عن لهفتنا على تجنب النقد ، ولهفتنا على ارضاء الناس وكسب رضاءهم أو كسب اعجابهم وتقديرهم ، فكأننا عبيد لكل من نعلق على رضاهم أهمية كبرى !٠٠ فى حين أنه حسبنا من رضا الناس أن نحاول انصافهم والترفق بهم ، وليكن رأيهم بعدذلك فيناما يكون !٠٠ فالغالب أن يشغل الناس بذات أنفسهم عن انتقادنا ، وأما اعجابهم بنا فأمر متروك للظروف ٠٠ فليكن هدفنا أن يقبلنا الناس قبولا عاديا ، وأن نكون جزءا من المجموع ، مطمئنين الى أن التقدير والاحترام سيسعيان الينا حين يأتى الاوان ٠٠

حكمة الحياة ٠٠!

◆ ولابأس فى أن أروى هنا ماذكرته سيدة عجوز لصحفى راح يتحدث اليها فى يوم عيد ميلادها المئوى ، وقد راقه ـ بل راعه ! ـ ماتتحلى به من ذكاء خارق ونشاط واهتمام غريب بمشاكل اليوم ، مما لاينتظر من «بنت الامس» ٠٠ قالت :

ـ لاشك عندى فى أن الناس بوسعهم أن يعيشوا ضعف أعمارهم الحالية لو أنهم راضوا أنفسهم على عدم الاهتمام والاغتمام لكل صغيرة وكبيرة ٠٠ فانك اذا جلست الى جانبى ونظرت معى الآن من نافذتى لادهشك ماتلاحظه من اسراع

الناس فى غدوهم ورواحهم ، وهـم مكروبون ، حتى مايرون مايقع تحت أنظارهم من ألوان الجمال ودواعى الابتسام ٠٠ ولو أنك عمرت كما عمرت أنا ، لادركت أن مشاكل الحيـاة تحل نفسها بنفسها فى الوقت المناسب ، وان الاكتراث لها والقيام والقعود من أجلها لايجديان فى حلها فتيلا ٠٠ ويغلب أن يكون ما اضطربنا له تافهالايساوى كل هذا العناء الذى عنينا أنفسنا به !

والحق أن هذه السيدة على صواب : فانه ممايقصر الاعمار أن نرهق أعصابنا بكثرة التوتر ، وقلبنـا بسرعة النبض ، بسبب الغضب أوالقلق ٠ فدع القلق تضحك لك الحيـاة ، وتطول ٠٠ تطول ماديا ، وتنتعش أيضا ٠٠ لان صلاتنا بالناس لايفسدها شىء كمايفسدها القلق والتوتر ٠٠!

◆ وأحسب زيارتنا لطبيب الاسنان خيرمثل يضرب لمواجهة الشدائد : فاننا نروض أنفسنا عندما يشرع الطبيب فى اعداد ضرس فاسد للحشـو على أن نحتمل صدمات الالم ، فنتشبث بجانبى المقعد، وتتصلب أعضاؤنا ٠٠ كذلك الصلات الاجتماعية بالنسبة للشخص الخجول : ضرس يجب أن يحشى ، ويجب أن يحتمل الالم فيه بشجاعة ٠٠٠ ولو أننا عرينا شخصا خجـولا من ثيابه أثناء حديثه مع شخص غريب عنه ـ ولاسـيما من الجنس الآخر ـ لرأيناه متصلب العضلات كأنه جالس عـلى كرسى طبيب الاسنان ! ويغلب عليه أن يجد صعوبة فى تركيز ذهنه فيمايقوله له محدثه ، أومحدثته ، لفرط انشغاله بمغالبة توتر أعصابه ٠٠!

كيف تقهر الخجل أثناء الحديث ٠٠

◆ فأما هذا التوتر العضلى والتصلب فى الاعضاء ، فعلاجه

انمايكون عن طريق المحاولة والمجهود المتعمد والمران ٠٠ فعلى الخجول أن يخاطب نفسه باستمرار ، مكررا أن محدثه انسان مثله ، وليس أسدا سيأكله لقمة سائغة !٠٠ ومن ثم فلاداعى للتوجس والخوف منه ٠٠ ثم يجتهد في التنفس بشكل طبيعى، ذلك أن التنفس الطبيعى هو مفتاح الحركة الطبيعية الحرة فى الجسم كله ٠٠٠ ثم يحاول أن يصرف ذهنه عن التفكير فى نفسه ، الى التفكير فى حديث محدثه أومحدثته ٠٠!

ويزعم الاطباء أن ذا الجسم الصحيح حري أن لايحس بوجود أعضائه ، على عكس العليل أوبمن في عضو من أعضائه ورم ٠٠ فالجسم المنتظم يعمل ويؤدى وظيفته دون أن يحتاج الى تفكير من عقلنا الواعى ٠ كذلك الصحة النفسية ، اذا كانت على مايرام ، تمت أمورنا وصلاتنا مع الناس بدون أن تحتاج الى تفكير واع من جهتنا ، وبدون أن نحس بالموقف اطلاقا !٠٠ وأما اذا كانت لنا عادات قبيحة أثناء الكلام أوالحركة ، فيجب أن نراقبها كى نكف عنها ، ولكن بدون قلق ، لان القلق والتفكير فيماعسى أن يقوله الناس ، أوماذا عساهم قد قالوا فعلا ، لايمكن أن يساعدنا على حل الاشكال ٠٠

وأما اذا كنت تشكو من ضعف فى القدرة على التعبير ، فخير ماتصنعه أن تقرأ بصوت عال كل يوم فى البيت نصف ساعة ، وأن تتجنب استعمال الجمل الطويلة المعقدة فى حديثك ٠٠ واعلم أنه فى استطاعتك أن تكسب سمعة اجتماعية طيبة دون أن تكون محدثا بارعا ، وذلك بأن تكون « مستمعا » بارعا ، فالناس قد يحبون من يحسنون الانصات الى كلامهم ــ ولاسيما الفارغ منه ! ــ أكثر ممايحبون ذوى الالسن والمنطق ٠٠٠

جرائر الخجل

◆ واذا كان الارتباك والتوتر والتلعثم والتعثر من مضاعفات الخجل التى نعانى منها بيننا وبين أنفسنا حين نتصل بالناس، فثمت جرائر للخجل تبدر منافى حق الناس أنفسهم ، اذ نتجنب اللياقة فى معاملتهم بسبب عقدة الخجل لدينا • وأهم هذه الجرائر ، التى قد تجتمع منها أكثر من واحدة فى الشخص الواحد هى :

أولا : الخلط بين المعارف السطحيين العابرين والاصدقاء الحميمين ، فالمرضى بالخجل لايعرفون الحد بين الفريقين ، ويعاملونهما معاملة سواء ، فيها رفع للتكليف ••

ثانيا : وهم عادة يتوقعون من كل شخص يلتقون به أن يحبهم ويغدق عليهم الوفاء والرعاية ويهتم بأمورهم كافة ••

ثالثا : واذا أصابهم مكروه أوشعروا بألم نفسانى أوشقوة ، توقعوا من جميع الناس أن يشاركوهم آلامهم وشقاءهم •

رابعا : واذا سعدوا بشىء خيل اليهم أن كل انسان يجب أن يطير لسعادتهم فرحا ، فلا شغل للناس الامايشغلهم ، ان خيرا وان شرا ••

◆ **وهذه كلها طبعا أخطاء فى السلوك قد تنجم عنها متاعب نفسية ومادية للشخص •• فانه حرى أن يصدم حين يجد**

من الناس خلاف ما يتوقع ، فيحمل ذلك على محمل الفتور أو الكراهية له والتصغير من شأنه !.. واذا قوبل بشىء من التحفظ ممن يرفع معهم التكليف بلا تبصر ، « صعبت عليه نفسه » وتألم لذلك ألما شديدا ، وربما حقد على الشخص حقدا ظالما ، لانه أول تحفظه تأويلا غير صحيح ..

والغالب على الشخص الخجول أن يعيش من جراء هذه «الفصول» أو «الصدمات» فريسة للقلق ، والتوتر العصبى ، والآلام النفسية المبرحة ، التى لا تقاس أبدا بالتوافه التى سببتها !.. ذلك أنه يعلق أهمية كبرى على الحركات والالفاظ التى تصدر عن الناس ، ومعظم الناس سطحى فى تفكيره ، غير دقيق فى اشاراته وتعبيره ...

وعلاج ذلك طبعا أن نضع نصب أعيننا أننا جزء من ملايين من نظرائنا فى هذا العالم ، وانه لاداعى مطلقا لان يهتم الناس بنا اهتماما يفوق تلك النسبة ، وهى نسبة واحد الى عدة ملايين ! اللهم الا أن يكونوا أصدقاءنا الحميمين أو أهلنا الاقربين

◆ وهنا « مربط الفرس » كما يقولون . فالمعول على التمييز بين الاصدقاء الحميمين والاهل الاقربين وبين المعارف السطحيين ... بحيث ينبغى أن لا نتوقع من المعارف أو الغرباء

أن يشغلوا بنا انشغالا حقيقيا أويحسوا نحونا احساسا عميقا بمعنى الكلمة . فقد يلعب الواحد منهم معنا النرد أوالكونكان، وقد يتحدث الينا فى الترام ، أويتبادل معنا « آخر نكتة » .. ولكنه لايزيد على ذلك كثيرا ، ولانشغل باله اذاغبنا عن وجهه ، لاننا لسنا « عاملا فعالا » فى حياته الوجدانية ، مالم تنشأ بيننا وبينه صلة عاطفية قوامها اهتمام مشترك بشيء ما .. أو تعاطف نتيجة لامتزاج أوتشابه فى الرأى أوالمزاج يتجاوز السطح الى الاعماق ... **فلا يلومن المرء الا نفسه اذا توقع من هؤلاء أكثر ممايجب ، كما لايلومن الانفسه اذا انتظر الحنان والتدليل من «الثدى الصناعى » الذى يجود اذا ملأته باللبن، ويبخل اذا تركته لحاله ..!**

فالغالب على الناس أن يمنحونا مودتهم الظاهرة فى الرخاء ، وألا يعنوا أنفسهم بنا فى الشدة ، عملا بالمثل الذى يقول « اضحك تضحك معك الدنيا ، وابك تتركك تبكى وحدك !».. وهذا طبيعى وان بدا قاسيا ، ذلك ان الناس مستعدون للاهتمام بنا ومشاركتنا فيما لايكلفهم مشقة نفسية أومجهودا عاطفيا أوماديا ... أما إذا احتاج الامر الى هذا المجهود ، فهنا يضنون، والغرم علينا اذا توقعنا منهم غير ذلك ، فكل امرىء حسبه متاعبه وشغل نفسه . فيجب أن نوطن أنفسنا على ألا نكون عبئا ثقيلا على الناس ، فلانكلفهم بمعرفتنا أوصحبتنا ألما نفسانيا أومجهودا وجدانيا ، والا نفروا منا حماية لانفسهم من هذا العبء ! ـ وهم محقون ، ونحن المخطئون ـ ولم ننج من السخرية فوق هذا وذاك ، فالمفروض أن نحتفظ بمتاعبنا لانفسنا ولمن يعنيهم أمرنا ، ولانكشف عوراتنا النفسية لمن

لايهتم بها ٠٠ ذلك أقرب الى المنطق وأصون لكرامتنا ٠

أما اذا وجدنا شخصا ، ولوكانت معرفتنابه غيرعميقة ، يهمه أن يكشف لنا عن متاعبه ، فيجب علينا أن نكون من الكرم بحيث نصغى له ونظهر له الاهتمام ، حتى لانجرح كبرياءه اذا كان خجولا ٠٠٠ فان انتظار الاقل من النـــاس ، ومنح الاكثر ، آية السلوك الراقى والخلق الكريم ٠٠٠ فاذا وجـدت بعد ذلك اقبالا ومشاركة قلبية ممن حولك ، فأنت الرابح دون أن تتعرض للخسارة بانتظار ماقد لايحدث ٠٠٠ كما ان اضفاء المودة والعطف على من حولك يزيد من حبهم لك ويحملهم عـلى التعلق بك ٠٠٠

◆ والخلاصة ان السعادة يجب ألاتتعلق بعلاقتنا بالناس ، لان قلوب الناس خواء لايعتمد عليها ٠ وانما يجب أن تتعلق سعادتنا بذات أنفسنا الى أقصى حد ٠ ومن هنا جاءت أهميـة الهوايات الخاصة والتعلق بالفنون ، وحب المهنة التى نزاولها ، فان ذلك يجعلنا لانهتم بآراء الناس فينا اهتماما مبالغا فيـه يجر علينا الوبال ٠٠٠ ونكون أكثر استعدادا لتقبل النـــاس على علاتهم بغير تعاسة ولاتحسر ٠

القناعة كنز !

◆ ومن أكبر الاخطاء أن يقارن الانسان نفسه بمن هم أسعد منه حالا وأكثر توفيقا فى صلاتهم الاجتماعية ، فهم موضـع الاعجاب ومحط الانظار ومحور الالتفاف ٠٠ فذلك لايؤدى الا الى الحسد والقلق ، وخير من هذا وأولى أن نتمتع مع المتمتعين بسحر حديث مثل هذا الشخص الجذاب ٠٠ مع محاولة دراسته واستخراج أسرار فتنته وجاذبيته الخاصة ، عسى أن يفيـدنا

ذلك فى المستقبل ٠٠٠

ولكن حذار من التقليد ، مثل حذرنا من الحسد والغيرة التى تفسد علينا حياتنا ٠ لان التقليد دائما مدعاة لمسخ الشخصية ، والتكلف والسخرية ٠٠٠ وانما الخير كل الخير فى الاقتباس والتنقيح بمايلائم طبيعتنا الخاصة ٠٠٠ فربما كانت للشخص الذى نغبطه صفات ليست لنا أصلا ، مثل الوسامة المفرطة ، أوالطول الفارع أوخفة الدم ٠٠ **فعلينا أن نتقبل نصيبنا من هذه المزايا بصدر رحب ، وأن نقنع بما قسم لنا ـ ولايكلف الله نفسا الا وسعها ـ عالمين أن الطبيعة حبت كل انسان بميزة خاصة ، فعلينا أن نفتش عن ميزاتنا ونبرزها فى غير اقتحام أوابتذال ، وعلى الله الاتكال !**

كذلك اذا حدثت من شخص فعلة أو « فصل بارد » ، كان علينا ألانقوم ونقعد ويغلى الدم فى عروقنا غيظا ٠٠٠ بل الاولى أن نتلمس له العذر ٠ والغالب أننا اذا وضعنا أنفسنا فى مكانه فسوف نجد له عذرا ونحن نلوم !٠٠ أما اذا لم نجد له عذرا ، فالخير كل الخير فى اهماله ، باعتباره شخصا ساقط المروءة ٠٠

وقد يجد الشخص صعوبة فى أخذ نفسه بهذه القواعد فى بداية الامر ، غير أن المثابرة والتمرين كفيلين بوصوله الى النتيجة المطلوبة ، فيزول منه هذا الخجل المفرط ومايجنيه عليه من المتاعب التى ترجع كلها الى «توافه» فىواقع الامر ٠٠!

الخجل الجنسى

◆ ومن الناس من يشعرون بالراحة مع أهل جنسهم ، أما مع الجنس الآخر فهم خجولون جدا ، وهذا راجع الى عوامل

جنسية لاشعورية يغلب أن تكون عقدة نقص . فمثلا اذا كانت طفولة الفتاة قد انقضت بين نساء متشددات غرسن فى نفسها الغضة الفارق الجنسى بينها وبين اخوتها الذكور ووالدها ... فانها تنشأ وتشب شديدة الارتباك فى معاملة الرجال ، بناء على خوف مكبوت منهم !.. فالارجح أن سلوكنا الجنسى بعد البلوغ متوقف على جو طفولتنا فى البيت الى حد كبير جدا ، فالرجل الذى كانت له فى طفولته أم مستبدة حرى أن ينشأ على كراهة النساء أوتجنبهن والخجل منهن . فيجب أن نبحث عن العلة بين ذكريات طفولتنا ، فان ذلك من شأنه أن يساعدنا على معالجة سلوكنا الشاذ والوصول الى الحالة السوية بسهولة .

حاجتنا الى الاصدقاء

◆ ولاينبغى أن نغفل عاملا هاما فى علاج الخجل المفرط وعقدته ، هو وجود صديق حميم مخلص نفضى اليه بمتاعبنا ، كى يهونها علينا ..!

وليس معنى هذا طبعا أن نجعل من صديقنا هذا المسكين « آلة استقبال » نذيع عليها ليل نهار شكاوانا واضطراباتنا النفسية باستمرار .. فالصديق ليس « حائط المبكى » ، بل هو حرى أن يضج ويمل هذه المهمة المزعجة للاعصاب . وانما أهمية الصديق أن يسرى عنا لحظات الضيق الشديد التى يلتبس علينا حلها بأنفسنا ..

وللصداقة شرط يجب أن ننهض به كاملا ، وذلك الشرط هو بذل المودة والعطف بمثل السخاء الذى ننتظرهما به من صديقنا ، وأن نواسيه كما يواسينا فى أى وقت . ويجب كذلك أن نوطن النفس على الايثار ، بحيث نضرب صفحا عن

كل ماقد يكون بيننا من خلافات فى الرأى أوالمزاج ، وأن نتحمل من الصديق مالايخلو منه انسان من ضيق الصدر وسرعة الغضب

وليست هناك طريقة معينة للحصول على صداقة أى شخص ، صداقة حميمة مخلصة . فلكل شخص ظروفه فى هذا الشأن . وانما المعول طبعا على قدرتنا على ابراز مزايانا الشخصية فى حالة الصداقة ، واظهار أننا أهل للوفاء والمودة والمشاركة الوجدانية فى غير اثرة أو أنانية ، فذلك ممايغرى الناس بالركون الينا ، وبالاستعداد لان نركن اليهم ... كما ينبغى أن نبدى لمن يروقون لنا أننا على استعداد لمصادقتهم ، كى نفتح لهم الباب ، فاذا كانت رغبتهم متبادلة مع رغبتنا تقدمنا فى طريق المودة ، وأمكن قيام الصداقة المطلوبة التى يبرهن الزمن والتجربة على مقدار صلاحيتها .

الصداقة والجنس

◆ والاغلب فى الصداقة أن تكون بين شخصين من جنس واحد ... وان كانت هناك طبعا صداقات مختلطة بين الجنسين .. بيد أنها نادرة جدا ، لان جذور الجنس فى النفس لاتساعد على قيام «الصداقة الافلاطونية » جزافا ، بل لابد من توفر النضج العاطفى والاتزان التام فى الطرفين حتى لايفلت الزمام .. فيصبح على «افلاطون» السلام !

ومهما يكن من أمر الصداقة بين الجنسين المختلفين ، فهى لاتقوم بريئة صافية الا على الاساس الذى تقوم عليه الصداقة بين أفراد الجنس الواحد : وهذا الاساس هو وجود قسط مشترك من الافكار والامزجة والاخلاق والاهتمامات الشخصية بين الطرفين ... **وحتى الاهتمامات الفردية ، مثل القراءة، من**

الامور التي تساعد على قيام الصداقة ، لان هواية الاطلاع تجعل العقول متقاربة •• وتفتح المجال للمناقشة والتقدير المتبادل ، لان المرء مجبول على تقدير من يتجهون فى الحياة مثل وجهته ، وهو يشعر نحوهم بنوع من القرابة العقلية أوالعاطفية التى لاتقل عن قرابة اللحم والدم ••!

وغنى عن البيان أننا يجب ألانتسرع فى تخير الاصدقاء ، بل يجب أن ندقق ونختبر قبل أن نضفى صداقتنا على أحد ، اذا أزدنا أن تكون الصداقة شيئا باقيا متينا يعتمد عليه مع نقلب الظروف والاحوال ••

وأما أولئك الذين لايهتمون فى الحياة بشىء معين فلا يلومون الاأنفسهم اذا أعوزهم الصديق الحميم !•• اذ ماذا يحمل الناس على حبنا اذالم تكن لنا مزية معينة أوذوق خاص أولون محدد ؟ ان الناس لايسيغون شيئا لا طعم له ولا رائحة ولالون ، الا أن يكون الماء ، أوالهواء •• بل ان لهذين طعما ولونا ، والا لما أحببناهما !••

◆ ويلاحظ بهذه المناسبة أن صداقات الرجال أقوى من صداقات النساء ، لان الغيرة عامل لاينفصل عن حياة الانثى ، ولذلك يندر أن تحب امرأة امرأة أجمل منها وأحظى باعجاب الرجال ••• فاذا كانت الصداقة للرجل تقوى ثقته بنفسه عن طريق المودة والتشجيع ، فهى تقوى ثقة المرأة بنفسها عن طريق الشعور بالتفوق على صديقتها •••

وبعض الظن اثم على كل حال •••

حدث ذات يوم

من قصص التاريخ ومآسيه

عزيزى القارىء ...

تنطوى صفحات التاريخ على قصص من الواقع الحى اروع من كل خيال .. بل انها كثيرا ما تكـون المنبع الذى يستقى منه خيال الروائيين وحى الكثير من قصصهم واعمالهم الفنية الممتازة ..

لذلك رأيت أن اقدم لك فى هذا الباب الجديد باقة من قصص التاريخ الشائقة التى تجمع بين المتعة ، كمادة للقراءة الطلية .. والصدق ، باعتبارها حقيقة وقعت فعـلا ذات يوم .. ثم الفائدة الثقافية التى لا تجارى ..

وسوف تقرأ فى هذا الباب فى الاعداد القادمة من «كتابى» بعون الله : ماساة «تيبريوس» حاكم روما المتوحش .. سبايا بيزنطة الفاتنات .. غرام نابليون بمارى فاليفسكا .. «جوانا» ملكـة اسبانيا التى جنت من الحب والغيرة .. ماساة النسر الصغير (ابن نابليون)، أو «ملـك روما» .. لعنة جلنـكو .. امبراطورية «اتيلا» .. ماساة جنيفر .. نهاية الجنرال «ناى» (اشجع الشجعان!) .. قصة الليدى جين جراى .. لغز الجلاد .. الحائنة ذات الفراش القاتل .. رحلة ماجيللان .. لخ

لوكريشيا بورجيا

بين الحقيقة .. والخيال !

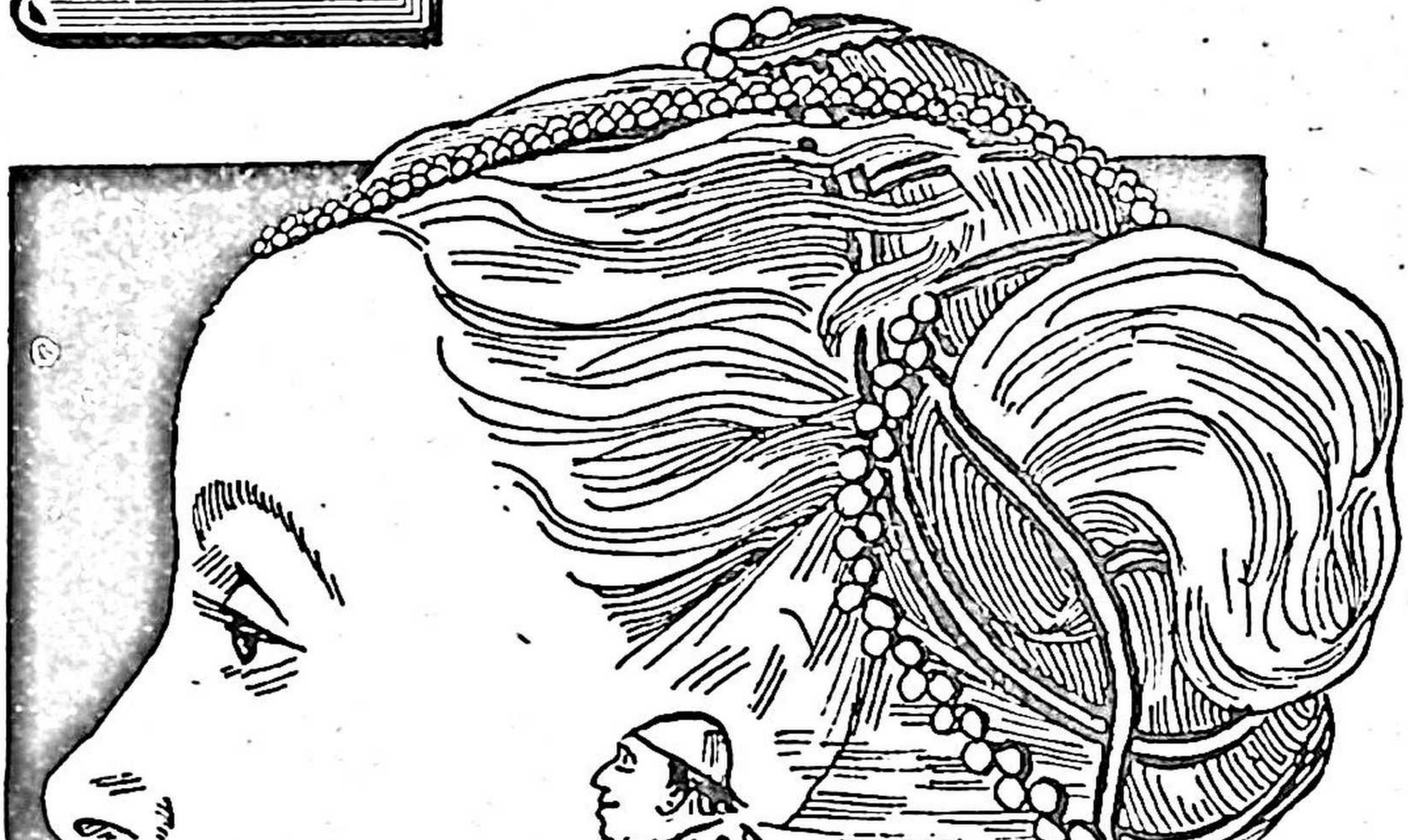

أنموذج عصر ..

◆ ما من عصر يأخذ بمجامع القلوب ، لما تميز به من التفتح وحب الجمال ، والاقبال على الحياة بالعقل والحس والوجدان ، مثل عصر النهضة Renaissance .. ولكنه ـ كعصور الانتقال جميعا ـ حافل بالمفارقات والهزات العنيفة ، شأنه فى ذلك شأن فترات المراهقة فى حياة الحيوان ، أو فترات التسنين فى حياة الاطفال .. ففيه تجتمع المتناقضات ، وتسير فى موكب واحد : نهضة الفكر ، ونهضة الدين ، و«نهضة» الفسق والفجور .. جنبا الى جنب !

وما من امرأة يتمثل فى حياتها وظروفها ذلك العصر الحافل ، مثل «لوكريشيا بورجيا» ، الحسناء الخلابة التى تنحدر من صلب الجالس على عرش البابوية يومئذ «اسكندر السادس» ، والتى نسج خيال المؤرخين والقصاصين حولها من تهاويل الدنس وخرافات المؤامرات مالم ينسج مثله حول امرأة اخرى .. فهى انموذج الجمال الرقيق والقسوة الباغية ، وانشودة شعراء العصر ، واحدوثة السوء فى آن واحد .. !

واذا كان عجيبا أن تكون امرأة من البشر «ابنة» للبابا الذى يتزعم الكهنوت الكاثوليكى ، ذلك الكهنوت الذى يحرم الزواج ، ويفرض العفة الجنسية فى السر والعلانية ... فان ذلك ليس اعجب مافى حياة تلك المرأة ، لان علاقتها المريبة باخيها السفاح «سيزار بورجيا» كانت أشد من نسبها غرابة ، وأدعى لالتفات الناس وتقولهم ، وافتنانهم فى تجريحها .. !

فمن هى «لوكريشيا بورجيا» ؟ .. وما هى قصتها «الحقيقية» ؟

آل بورجيا ..!

◆ ولكن قبل أن أروى لك قصة لوكريشيا بورجيا ، مستقاة من أسانيد التاريخ وكتب المحققين ، ينبغى أن تعرف أولا شيئا عن الاسرة التى انحدرت منها ..

فمن هم آل بورجيا ؟

انهم أسرة تجرى فيها دماء العرب المراكشيين ، توطنت اسبانيا ، واختلطت في عروق أفرادها دماء أجناس متباينة ٠٠ فكان لهذا النسب المختلط أثره الواضح فى اتقاد حيويتهم ، وحدة عواطفهم ، وجمـــــوح رغائبهم ٠٠ فهم لايبالون عرفا ولايرهبـــون قانونا ، لان فوران الدماء فى عروقهم يجعلهم مسخرين لارضاء شهواتهم كما تسخر الغريزة أسراب الطـــير فى الهجرة عبر المحيط فيهلك منها من يهلك وينجو منهـــا من ينجو ، وهى مع ذلك لاتستطيع عن هذا المسلك المحفوف بالمهالك منصرفا !

ونبه لآل بورجيا فى اسبانيا ذكر ، ولانقول ذكر طيب، فقد كان للنباهة فى القرن الخامس عشر ناموس لايطابق بالضرورة ناموس الاخلاق : وانما تكفى فيه قوة البأس وشدة السطوة واحكام التدبير للوصول الى السيادة ، فى غير تقيد بشريعـــة الرحمة أوالشرف ٠ فقد يكون الرجل شريفا بالمكانة والعنوان، وهو غير شريف بالسريرة والوجدان ، لانه انما ارتفـع فوق أشلاء شرفه الى مكانة الشرف ٠٠!

◆ وعلى عادة الاسر الشريفة فى ذلك الزمان ، تفرق أبناؤها فى طلب العلى بين ميادين الجيش والكنيسة ووظائف الدولة ٠٠ فكان من الاسرة أساقفة وكرادلة ، ووصل أحد كرادلة بورجيا الى عرش البابوية تحت اسم « كالكست الثانى» ٠ وهـــذا البابا هو عم البابا اسكندر السادس والد بطلتنا لوكريشـــيا بورجيا ٠

وما أن ارتقى كالكست الثانى عرش بطرس الرســـول حتى تدفق أبناء الاسرة من اسبانيا الى روما ليحفوا بعـــرش

عمهم ولينتشروا فى أرجاء ايطاليا انتشار الجراد !٠٠ ولاغرو، فهذه المملكة قد صارت فى ظنهم ميراثا مشروعا لهم ، وليس الامراء والملوك المتفرقون على ولاياتها والوارثون لعروشها الا حوائل غير مرغوب فيها تقوم بينهم وبين التركة التى أهلتها لهم قرابتهم للكاهن الاعظم٠٠ وبهذه العقلية انبث آل بورجيا فى جميع ميادين النفوذ فى ايطاليا ٠٠!

البابا الثانى ٠٠ من آل بورجيا !

◆ ومابلغ «رودريجو بورجيا» ابن أخ البابا سن الخامسة والعشرين حتى نصبه عمه كردينالا ، والكرادلة هم أمراء الكنيسة المقدسة ٠ فكان هذا الشاب فتنة الانظار فى روما – عاصمة الدنيا يومذاك – بجماله الفائق ، وذوقه الرائق ، وحبه للترف ، ومغالاته فى البذخ ، واقباله على اللذات ، وتهوره فى المغامرات ، ولاسيما ما اتصل منها بأسباب الغرام ، أوهدف الى الانتقام : **فكم من قلب غادة مخدرة استولى عليه ، وكم من نبيل من أرقى البيوتات فارق الدنيا بايعاز منه ، أواختفى فى قاع نهر « التيبر » فلم يسمع به أحد بعد ذلك ، وان تهامس الناس ان الكردينال بورجيا الشاب له اصبع فى ذلك الاختفاء !؟**

ولكن حذار أن يتبادر الى الذهن أن الكردينال كان فظا غليظ القلب ، غليظ الطباع ! حاشا ! بل انه كان آية الظرف واللطف ، عذب الحديث ، لين العريكة ، يملك غضبه ويأسر القلوب بمجاملاته ٠٠ ويتعلق بالفنون الجميلة ، ويشجع أربابها ، ويقتنى التحف النادرة ٠٠ وهكذا سرعان ماغدا وهو كردينال أظهر شخصية فى روما !٠٠ وحتى بعد موت عمه لم يأفل نجمه ، بل توالى بعد عمه أربعة باباوات كان كل منهم

يزيده قربى ، حتى اذا مات رابعهم وجد الطريق الى عرشيه ممهدا ، لانه غدا بمضى الوقت ومثابرته على حبك الدسائس وعقد المحالفات واتقان المناورات أقوى شخصية فى شبه جزيرة ايطاليا قاطبة !

غرام آثم ٠٠ ثمرته لوكريشيا !

◆ ولئن كثرت غزوات الكردينال الشاب فى عالم الهوى ، فان غرامه الاكبر ولاشك كانت «فانوتساكتانى» ٠٠ فقد كان لايكاد يهجرها حينا حتى يعود اليها ، فيظهرها فى قصره ليخفيها بعد حين ٠٠ ويغار عليها ولكن لايلبث أن يزوجهاويدفع مهرها !٠٠ فاذا مات زوجها نشد لها زوجا آخر ، ولايضيره أن تنجب منهما ، مادامت لاتضن عليه بقربها كلما حن اليها ، فالحق أن هذه المرأة كانت ملء قلبه وعقله على الدوام ٠٠!

فلما ارتقى عرش البابوية كان له منها ثلاثة أبناء : ولدان وبنت غاية فى الرقة هى لوكريشيا ٠٠ فأما الولدان فقد اعترف بهما وخلع عليهما الالقاب وولاهما المناصب !٠٠ وأما الفتاة فكانت ريحانة قلب أبيها ، حتى لقد صيرها أكثر فتيات ايطاليا حظا من التعليم الراقى والتدليل والحلى وأدوات الزينة ٠٠ فأتقنت على صغر سنها الاغريقية واللاتينية ، وحفظت مأثور الشعر ، واطلعت على أهم ثقافات العصر ٠٠ ولكنها الى هذا كانت متفتحة الخياشيم لرائحة المباذل التى يتمرغ فيها والدها ، وأخواها الكبيران دوق جانديا ، وسيزار بورجيا ٠٠

◆ وكان سيزار ـ أوقيصر ـ هو أشد الاخوين شكيمة ،

فكأن الدماء التى فى عروقه ذوب من نار الجحيم !٠٠ ولكنه كان أيضا أقرب الاخوين الى قلب أبيه ، وأقرب الاخوين الى قلب أخته لوكريشيا ٠٠ بل انها كانت تحبه وتعجب به اعجابها بأنصاف الآلهة ٠٠ فى نفس الوقت الذى ترهبه فيه رهبة ليس لها حد ! والواقع أن ظل هذا الاخ سيظل مسيطرا على حياة لوكريشيا الى آخر نسمة ، فيلفها فى لفحة من أواره ويضفى عليها قتاما حالكا من سحب دخانه ٠٠ فقد كان سيزار بورجيا شعلة فذة من نار متقدة أتت على الاخضر واليابس ، ثم أتت بعد ذلك على نفسها !

فهو لم يكن يتصور ، بنفسيته الطموح ، أن يكون الى جانب سلطانه سلطان فى سائر شبه الجزيرة الايطالية !٠٠ فكل أمير يجب أن يعنو لسيطرته ، وكل أمارة اما أن تدخل تحت رايته أو تفقد استقلالها ٠ ويستوى عنده أن يصل الى هدفه بالحرب ، أو بالقتل ، أو بالسم ، أو عن طريق غواية النساء ٠٠!

وجريا على هذه القاعدة رأى سيزار أن يجعل جمال شقيقته لوكريشيا شركا من شراكه !٠٠ وكانت قد بلغت الرابعة عشرة ، فأمرها أن تظهر فى حفلات الفاتيكان ، لتبهر الانظار بجمالها وأناقتها ٠ وأطاعت لوكريشيا عن طيب خاطر ، فهى تواقة الى جذب الانظار واكتساب الاعجاب ، وفى طبيعتها المرحة ودمائها الفوارة التى ورثتها عن آل بورجيا مايجعلها تحب تلك الحياة الجديدة وتقبل عليها بجوارحها كافة ، كى تغدو بعد قليل «أسطورة » هى مزيج من الموسيقى والنار !٠٠ وغادة تترنم بالجمال ، وتلتهم اللذات والآجال !

الزواج الاول !

◆ فلما بلغت لوكريشيا السادسة عشرة من عمرها كانت قد غدت أشهر فاتنات ايطاليا وأخلبهن حسنا ، فتوالت على ذويها طلبات الزواج منها ، لكن والدها وشقيقها كانا يردان تلك الخطبات فى تلطف ، انتظارا لماهو أعظم وأنفع !٠٠ حتى وقع اختيارهما بعد طول الروية على « جيوفانى سفوررزا » ، سليل أسرة سفوررزا التى تعد من أقوى الاسر الايطالية وأعرقها ، بحيث لم يكن فى شبه الجزيرة ، ولا فى أوربا كلها من لايعرف لاسم سفوررزا سمعته العالية وشرفه وجاهه العتيد ونفوذه الضخم ٠

وقبلت لوكريشيا ذلك الخطيب راضية، لانه كان ظريفا لبقا رقيق الحاشية ، شأن الرجال فى ذلك العصر الذى اتسعت فيه آفاق الثقافة وشاع الترف والتحرر ٠ وماتمت مراسم الزواج وانتهت احتفالاته الفخمة فى الفاتيكان ، تلك الاحتفالات التى حضرها البابا بنفسه وانطلق فيها من كل القيود فرحا بابنته الحبيبة ، حتى سار العريس بعروسه الى « بيزارو » ، حيث قصر سفوررزا العتيد ، الذى لايزال قائما الى اليوم شاهدا على مكانة تلك الاسرة ومقامها وغناها الخيالى ٠٠٠

وفى ذلك القصر عرفت لوكريشيا أهدأ وأسعد أيام حياتها ولامراء ٠٠ فقدنعمت فيه بالراحة ، والترف ، وطمأنينة البال ٠٠ وأهلتها تربيتها الناعمة ، وبراعتها فى الموسيقى والرقص والغناء ، وثقافتها الواسعة ، لاشاعة المرح والاناقة والادب فى جو بلاطها الجديد ، فلم تشعر بأدنى قسط من السآمة ، بل ملأت حياة زوجها وحاشيتها أنسا وبهجة ٠٠

وكانت بساتين قصر بيزارو الواسعة ، ورياض المدينة الزاهرة الغناء ، مسرحا جميلا لنزهاتها فى الاصيل ، على ظهر جوادها أوعلى قدميها ، وللسباق مع زوجها وبطانتها فى باكورة الصباح ٠٠ أما المساء فللسمر ، ومطارحات الادب والغناء ، والرقص والطرب ٠٠ تحف بها أميرات ناعمات فى مثل سنها ، من زهرات آل سفورزا وأنسبائهم الكرام ٠

من القصر ٠٠ الى الدير !

◆ بيد أن هذا الصفاء لم يكن مقدراله أن يدوم طويلا ٠ فما انقضت على ذلك الزواج أربعة أعوام ، حتى بدأت روما تتحدث عن أن العلاقة بين لوكريشيا وزوجها ليست على مايرام ، وان الحسناء أبعد ماتكون عن الرضى بحياتها الجديدة !

وفى الوقت الذى انتشرت فيه حول عرش الفاتيكان هذه الشائعات ، وصلت الى لوكريشيا من أبيها وأخيها رسائل تنم عن عدم رضاهم عن سلوك زوجها السياسى ، فهو يعرقل خطط الكرسى البابوى لبسط نفوذه على شبه الجزيرة والتهام الامارات المستقلة التى يقوم عليها أبناء الاسر الكبرى فى ايطاليا ٠٠!

ومن أعجب المفارقات أن البابا وسيزار بورجيا ابنه أخذا ينددان فى تلك المناسبة بسفورزا ، بحجة أنه ابن «غير شرعى» لابيه ، مع أنهما كانا يعلمان ذلك منذ البداية!٠٠ ومع أن هذا الامر لم يكن منتقدا ، لشيوعه فى ايطاليا فى ذلك الوقت ٠٠٠ ثم ، من كانت لوكريشيا ؟ وأخوها سيزار ؟ ألم يكونا مولودين غير شرعيين ، ولمن ؟ للرجل الذى لاينبغى له

سيزار بورجيا

أن يكون رجلا بحكم وظيفته ، للحبر الاعظم خليفة بطــرس الرسول !

واشتدضغط البابا وابنه الداهية سيزار على لوكريشيا ، كي تعلن سخطها على زوجهــا وتهجره الى روما غاضبة ، توطئة لتطليقها منه !٠٠ فلم يسـع التعسة غير الاذعان لذلك الاخ الذى كان يبهـرها بشخصيته الجبارة ، حتى لم تكن لتتصور امكان اقدامها على مخالفته ٠٠!

وأحس سفورزا بمايحاك حوله ، فأسرع الى روما لتصفية الموقف ، ولكى يعرض على البابا خدماته السياسية والعسكرية برهانا على براءته ٠٠ ولكنه اســـتقبل فى العاصمة أسوأ استقبال !٠٠ **وهنا ظهرت حقيقة نفسية لوكريشيا ، فمـن الثابت أنها أوعزت الى سكرتير زوجها المغضوب عليه أن يختفى خلف ستارة فى حجرتها كي يتسمع الى الحديث الذى سيدور بينها وبين أخيها سيزار بصدد زوجها، حتى يبلغه ذلك الحديث فيكون على حذر ٠٠!**

◆ وحضر سيزار الى مخدع أخته وقد أخـذ زينته الفخمة على عادته ، فلبس القلائد والمخمـــل والدرع والقبعة ذات الريش ، وراح يقص عليها بطريقته الناعمة الماكرة مادار بينه وبين زوجها ، وكيف أنه تمسك بها وأصر على رفض تسـوية

الطلاق التى عرضها عليه ٠٠ وكيف انه ضاق بهذا الاصرار ، فقرر التخلص منه نهائيا ، امابالحديد ، واما بالسم ٠٠ فموتا يجب أن يموت على كل حال ، وبأى شكل من الاشكال !

وتظاهرت لوكريشيا بالرضوخ لقرار أخيها الذى تعلم علم اليقين أنه لاسبيل الى عدوله عنه ٠٠ ولكن سفورزا كان قد أخذ حذره بذلك التدبير الذى دبرته له عن طريق سكرتيره ٠٠ فما انقضت على اجتماعها بأخيها الا دقائق معدودات حتى كان زوجها سفورزا قد تذرع بحجة تجربة جواد جديد جاءه من تركيا ، فامتطاه وأسرع يسابق الريح على صهوته ، فارا من روما الى مكان آمن !

ولم يغب عن فطنة سيزار أن لوكريشيا لابد قد احتالت بحيلة ما لتحذير زوجها ٠٠ فلما رأت هذه ان الريبة بدأت تحيط بها ، تكدرت علاقتها بأسرتها فاعتزلتها فى دير ! ٠٠ وأثناء وجودها فى الدير وقعت أبشع جريمة تلطخ بها تاريخ شقيقها سيزار بورجيا :

الجريمة الغامضة ٠٠٠ الاولى !

◆ فقد قيل – فيماقيل – ان شقيقى لوكريشيا : دوق جانديا وسيزار بورجيا ، كانا يتنافسان على عشق شقيقتهما ٠٠ ولكن ذلك من التقولات التى تفتقر الى دليل ، وانما أكبر الظن أن تنافسهما كان على قلب سيدة أخرى من غانيات روما ، وان والدتهما جمعتهما على مائدتها تلك الليلة لتصلح بينهما ٠ وقد تم الصلح بالفعل ٠٠ وخرجا على أثره من لدنها فانطلقا معا على صهوتى جواديهما ، يتبع كلا منهما خادم

يحمل مصباحا · وكانت ليلة حارة من ليالى شهر يونية ٠٠ فلما بلغا مفترق الطرق مضى كل منهمـــا الى قصره ٠٠ لكن الصبح لم يلبث أن طلع بخبر غريب ، مؤداه أن دوق جانديا لم يعد الى قصره فى تلك الليلة !

وساد القلق دوائر الفاتيكان٠٠واضطرب البابا اضطرابا شديدا ، فأمر بتفتيش كل منازل الحى المتاخم لنهـــر التيبر ـ ذلك الحى الذى اتجه اليه الدوق حـــين فارق أخاه ـ لكن البحث لم يفض الى شىء على الاطلاق ، حتى ولا أدنى أثر ، وان كان مفهوما ان وجهة الدوق كانت بيت غانيـــة معينة اتصلت بينه وبينها الرسل فى الايام الاخيرة ، وشوهد تابعه يسـلمه رسالة منها وهو فى بيت والدته مع أخيه !

وفجأة عاد الى قصر الدوق جواده الذى كان يمتطيه ، وقد تلطخ سرجه بالدماء!٠٠ وان هى الا أيام حتى طفت على وجه الماء جثة الدوق ، والذهب ملء جيوبه ، ممايقطع بأن القتل لم يتم بقصد السرقة ٠٠ فسبق الى الظن فى البداية أن الجريمة وقعت بتدبير سفورزا !٠٠ ثم انصرف الناس بعد ذلك الى الاعتقـــاد بأنها انتقام للشرف قام به زوج الغانية التى كان الدوق قـد اتصل بها أخيرا ٠٠ وأخيرا انتهى المرجفون الى اتهام شـقيقه سيزار بتدبير ذلك الاغتيال كى ينفـــرد بتركة آل بورجيا ، وبعطف أبيه البابا ، ويخلوله الجو فى عشق أخته لوكريشيا٠٠!

ومهما يكن من شىء ، فاننا نستبعد أن يكون البـــابا اسكندر السادس غرا الى هذا الحد ، وأن يكون عطفه الابوى شاذا بحيث يغفر لاحد ولديه أنه قتل الآخر ٠٠!

◆ ولنعد الى لوكريشيا ٠٠ فماذا كانت تصنع فى هذه الاثناء ؟

كانت حبيسة الدير ، تذرف الدمع السخين منـــذ عام كامل !٠٠ فزوجها السابق قد راح يملأ ايطاليـــا ، بل أوربا كلها ، بالاراجيف التى تصم والدها وأخاها بالفسق، وبمن؟ بها هى! كى ينتقم بهذه التهم المشينة من الاسرة كلها !٠٠ وهكذا صار الناس يتسامعون ويتناقلون أحاديث ليـــالى الفاتيكان الحمراء ، التى يتجرد فيها الرجال والنساء ، ومنهم البابا وابنه وابنته ، من ملابسهم جميعا ـ حتى ورقة التوت ! ـ فاذا سكروا راحـوا يتخالطون مخالطـــة علنيـــة فاضحة ٠٠٠ فاذا مل الناس ترديد هذه الرواية بدأوا يتناقلون رواية أخرى مؤداها ان البابا يصحب ابنته الى شرفته المطلة على « الاسطبلات » لكى تشهد معه نزاء طلائق الخيل على اناثها ، كى يثير شهوتهـــا ويحملها على النوم بين أحضانه ٠٠!

زواج ثان ٠٠

◆ وذات يوم نما الى سمع لوكريشيا أن أخاها قد تزوج ابنة ملك نابولى ، وانها هى قد خطبت ـ دون علمها ـ الى ابن أخت ذلك الملك نفسه ، مقابل بائنة قدرها أربعون ألف دوقية ذهبا ٠٠٠ وكان العريس الجديد «ألفونس» غلاما جميلا لايتجاوز السادسة عشرة من العمر !

وفرحت الحسناء المكبوتة العارمة الحيوية بذلك العريس الذى وجدت فيه منجما بكرا للملذات تستطيع أن تســـتغله أكمل استغلال ٠٠ فنسيت بين أحضانه المتعطشة المنهـــومة ذكرى زوجها السابق «سفورزا » ، الذى تجاهل فضلها عليه فى انقاذ حياته وجزاها عليه جزاء سنمار ، بتلك الحمـــلة من التشهير والتشنيع ٠٠!

ويبـــدو أن لوكريشيا كانت فى أوج السعادة فى تلك الايام ، فقد راحت تجوب مدن ايطاليا ، وتحضر الحفـــلات ، وتتقبل الاوسمة ومفاتيح القلاع التى تمر بها ٠٠ وكأنهـا فى رحلة شهر عسل طويلة ، مزهوة بعريسها الصغير الذى كان الاجماع معقودا على أنه أجمل غلام فى العالم ، والذى لم تلبث أن أنجبت منه ولدا أسمته «رودريج»

◆ بيد أن السياسة تدخلت مرة أخرى فأفســدت مابين زوجها وأسرتها ٠٠ ففارقها ألفونس غاضبا ، أوبالاحرى هاربا بعمره الى بلاط خاله فى نابولى !٠٠ وعندئذ هرعت لوكريشيا الى عرش أبيها ، فجثت عند قدميه باكية مرتغدة الفـرائص ، اشفاقا على الزوج الذى أحبته بكل قلبها ، وبكل جارحة فى جسمها الفوار برغائب الشباب ، من أن تصيبه مكائدأخيها٠٠!

لكن الاب راح يهدىء من ثائرتها ، ويحاول التسرية عنها بما أغدقه عليها فى الاسابيع التالية من الهبات ، والحفـــلات الباهرة ، وألقاب التشريف ٠٠ ثم جعل ينقلها من بلد الى بلد كى تبدل الهواء ، آملا أن تجد فيماتتنافس المدن فى احاطتهابه من مظاهر الحفاوة ماينسيها خلو أحضانها من الزوج المعشوق، الذى اختفت آثاره عنها ، وانقطعت أخباره !

بيد أنها لم تهدأ مع ذلك ، ولم تفتـــأ تتنسم أنبـــاء «ألفونس» ٠٠ حتى تمكنت من الاتصال به ، وأقنعته بالعودة الى أحضانها اللهفانة !٠٠ ولاتسل عن فرحتهما المنتشية باللقاء بعد ذلك الفراق ٠٠ ولكنها كانت فرحة قصـــيرة الاجـــل ، سرعان ما أعقبتها ليال مسهدة ، حافلة بالنذر، والتوجس، والرهبة!

٠٠ وأخيرا صدقت النذر ، ففيما كان ألفونس الجميـــل

يهبط ذات يوم درج كاتدرائية القديس بطرس الرسول، بيعة الفاتيكان الكبرى ، هاجمه خمسة رجال مسلحون ملثمون وأثخنوه جراحا بخناجرهم ثم ركنوا الى الفرار قبل أن يستطيع أحد اللحاق بهم !

◆ وحمل ألفونس الى الفاتيكان بين صراخ لوكريشيا ولوعتها المشبوبة ، فانكبت عليه تمرضه ولاتفارق سريره خوفا عليه ، وأرسل خاله ملك نابولى طبيبه الخاص لعلاجه ، فأخذ شبابه يتغلب على المرض والجراح ، وسار فى طريق البرء والعافية .

ولكن .. هل يتركه سَيزار بورجيا يبل من مرضه ويفلت من قضائه الذى قضى به عليه ؟ معاذ الشيطان ! فهذه شرذمة ملثمة من القتلة تقتحم مخدعه والسيوف مشرعة فى أيديهم ، فيقطعونه اربا تحت سمع لوكريشيا وبصرها !

ولطمت المسكينة خدها وشقت ثوبها جزعا من ذلك المصير الذى أوصلها اليه طمع أخيها الاثيم .. وليت بليتها اقتصرت على ذلك .. وانما الذى زاد نكبتها ايلاما ان ألسنة السوء نسبت اليها الاشتراك فى المؤامرة ، وزعمت أنها استدرجت الفتى الى جوارها كى يقتل ، وانها لجأت الى أخيها ليخلصها من قيود الزوجية ، لان شهواتها العارمة ضاقت بذلك القيد الشرعى السخيف !

وهكذا اعتزلت لوكريشيا العالم الظالم ـ الظالم لها مرتين ـ فى جناحها بالفاتيكان ، متفرغة لاحزانها الكبار ، محرمة على أخيها ولوج بابها ، غيرمتعزية عن هذه النازلة التى هدمت سعادتها حين خالتها قد بلغت الاوج ..

وزواج ثالث ..!

◆ وفى أثناء هذه الاحداث الجسام والاضطرابات العنيفة كان بيت « استه » الذى يضم عرشى «مانتوا» و «فيرارى » ، يبهر الانظار بأبهته وازدهار الآداب والفنون فى رحابه .. فقد كانت «ايزابيلا ديسته » ربة ذلك التاج المجيد درة فريدة فى سمو الخلق والمهابة ونصاعة التاريخ ، فصالونها أزهر صالونات الشعر والفلسفة والفنون كافة فى أزهر عصر بالفنون والشعر .. والانتساب الى ذلك الصالون ، فضلا عن الاتصال بذلك البيت العريق ، شرف تتقطع دونه أعناق أرباب البيوتات فى ايطاليا كافة !.. وكانت تقوى الاميرة وطهارتها وتمسكها بالآداب الراقية أمرا مشهورا ، فهى لاتتسامح فى ماكان يتسامح فيه الناس عادة فى ذلك العهد من الهفوات والنزوات ..!

وكان للدوقة ايزابيلا أخ بقى فى « فيرارى » بعد أن نزحت أخته الى مانتوا حين تزوجت دوق ذلك الاقليم ، وكانت الدوقة حريصة على أن تكون خليفتها فى « فيرارى » وبلاطها العتيد ـ أى تلك التى سيتزوجها أخوها المذكور ـ جديرة بتقاليد ذلك البيت المجيد الطاهر ..!

لكن تلك العروس الموعودة كانت لوكريشيا بورجيا دون غيرها ! لوكريشيا التى صارت فى حياتها أسطورة من أساطير الفسق والجريمة!..ومن هنا أحست الدوقة ايزابلا لدى سماعها النبأ كأن كابوسا ثقيلا قد جثم على صدرها .. لكنها لم تجرؤ على المعارضة لان جيوش سيزار بورجيا والامارات المتحالفة معه كانت تحدق بدوقية « فيرارى » من كل جانب ،

كما يحدق ملك نابولى بجانبها الآخر ، فانذلك الزواج الكريه كان ضرورة سياسية لابد منها ، والاكان ثمن رفضطلب البابا ضياع عرش «فيرارى» من أسرتها الى الابد ٠٠!

وهكذا تزوجت لوكريشيا للمرة الثالثة ، وهى لم تجاوز العشرين من عمرها بعد ! وتزوجت شابا كان يعتبر حملها لاسم أسرته الشريف ، وشغلها مكان والدته القديسة ، عملا من أعمال التدنيس لذلك الشرف !٠٠ وقد تزوجته كارهة ، لانها كانت لاتزال تبكى زوجها الذى قتل غيلة أمام عينيها ٠٠ وان كان قد أرضى غرورها أن تنتسب الى أسرة « استه » وأن تخلف الدوقة المشهورة بقداستها وهيبتها على ذلك العرش !٠٠ والواقع ان فرحها بأنتغدو امرأة أخ «ايزابلا دوقة مانتوا » كان أعظم من شوقها الى متع الزواج ذاتها ٠

وكأنما أراد البابا أن يعوض ابنته عن أحزانها ، فأقام لها عند زواجها أفراحا لم يسمع بمثلها من قبل ، بهجة ، وأبهة ، وبذخا ٠٠ حتى ملأها الزهو ، وأنساها شبح ماضيها الاليم ٠٠ ولو الى حين ٠٠٠

وطالت هذه الافراح حتى ملتها لوكريشيا ، وتاقت الى الارتحال عن الفاتيكان الذى شهدت فيه ما أقض مضجعها وكدر هناءتها مرارا وتكرارا ، وفوق ذلك فقد كانت شديدة اللهفة على أن تشغل عرشها الجديد التليد ٠٠٠ فودعت أباها وداعا سجل مؤرخو العصر ما امتاز به من رقة وشجن : فالبابا اسكندر السادس يبكى لفراق ابنته ، والابنة تنتحب ، وهو يصب على جبينها المشرق بركتين : بركة الوالد وبركة الحبر الاقدس ٠٠!

وخـــرج موكب لوكريشيا من روما الى فيرارى كأفخـم ما تخرج مواكب العواهل والاقيال٠٠ يتبع مركبتها الملكية مائة وثمانون فارسا من علية الاشراف ، على صهوات جياد أصيلة فوقها سروج الفضة والذهب والديباج ٠٠ وأما ستور عربتها فمزدانة باللآلىء واليواقيت !٠٠

وألهتها الرحلة وماحف بها من احتفالات واســتقبالات على طول الطريق عن اجترار أحزانها ٠٠ ولكنها ما ان وصلت الى « بيزارو » ، القصر الذى تزوجت فيه رجلها الاول ، حتى هاجت أشجانها واعتذرت لحاشيتها بحاجتها الى دخول الحمـام لغسل رأسها ، واحتجبت عنهم طويلا وهم يحسبونها تضـفر شعرها الاشقر وترجله ٠٠ فى حين كانت العروس تبكى الايام الرخية التى قضتها فى ذلك القصر ، وتتمنى لو أنها دامت ولم تهب على سعادتها الاعاصير ٠٠٠

الزوج الثالث !

بيد أن هذا الشجن كان عارضا ، لان لوكريشيا لم تكن من المنطويات على أنفسهن ، فما أسرع مانسيت الاحـــزان فى غمرة ما استقبلها من المواكب والافراح ، ولاســـيما فى « بنتيفيليو » ، حيث وجـدت عريسها قدخف الى استقبالهـا بنفسه ، ولم يكن قد ذهب الى روما لعقدالزواج ، بل أناب عنه فى ذلك وفدا من نبلاء «فيرارى» ٠٠

خيبت ظن الشامتين !

◆ ومالقيها عريسها حتى نسى غضبه وسخطه ، ونسى ما امتلأت به أذناه من مثالبها وفساد سيرتها ، فقد استولت على قلبه برقتها وظرفها ووداعتها ، فأحبها من كل قلبه ٠ ولكن هذا لم يكن فى ذاته شيئا مذكورا ، بالقياس الى ما ينتظرها من الصعوبات فى عاصمة دوقيتها ، فالاعين كلها متجهة اليها٠٠ لتحصى عليها سكناتها ، وتزنها بميزان دقيق ، زادت فى دقته تقاليد ذلك البلاط الموروثة وآدابه المتزمتة ٠٠٠ **وكان يزيد من صعوبة مهمتها ما أضفاه زواجاها السابقان الداميان على تاريخها من ظل شائن ٠٠٠ وهى فوق هذا شديدة الشبه بأخيها سيزار الذى يرهبه الناس جميعا ويفزعون منه كما يفزعون من الشيطان ٠٠!**

ولكن حفلات استقبالها العديدة أتاحت لها فرصة وأى فرصة لكسب جميع القلوب ، والقضاء على جميع التخرصات ، بمافى عينيها الزرقاوين من صفاء ، ومافى حديثها العذب من رقة ، ومافى حركاتها ونظراتها من وداعة وفرط أدب وحياء ٠

◆ أجل انها قد كسبت جميع القلوب ، قلوب الرجال على الاقل ! أما النساء ، ولاسيما الاميرات قريبات زوجها ، فماكان أشد غيظهن لشدة أناقتها وفخامة ملبسها ورواء زينتها !٠٠ وزاد من غيظهن أنها أبدت من التقوى والاستقامة والتحشم وأعمال البر ما أخرس ألسنتهن عن التقول عليها ٠٠!

وفى ظل من رعاية زوجها الثالث وحبه لها الذى يقرب من العبادة ، ولدت له أربعة أطفال ، وتمكنت دعائمها فى بلدها الجديد ، حتى اذا مات والدها الحبر الاعظم اسكندر السادس ،

بكته ٠٠ ولكن فى غير حرقة ولامرارة !٠٠ فانها كانت قد اطمأنت الى مكانتها المستمدة من نفوذها الشخصى ، وليس من نفوذ أبيها !

ولاشك أن حزنها كان أدهى وأعظم على أخيها سيزار الذى أحبته كثيرا ، وعانت بسببه أشد مايمكن أن تعانيه امرأة من النوازل الجسام ٠٠٠ فلمامات الوالد اضطر الولد الى الرحيل الى اسبانيا مهد الاسرة الاول ، وهناك أصابه الموت جريحا فى صفوف الجيش الاسبانى ٠٠!

وبموت سيزار بعد موت والدها انقطع آخر ماكان يصل لوكريشيا بماضيها التعس ، الملطخ بالجريمة والدنس ، ودخلت فى طور غريب من الورع والتعبد !٠٠ حتى تغنى الشعراء – وعلى رأسهم «اريوست» – بعفتها وتقواها ، ونزلت على نفسها سكينة رجحت على كفة الزعازع التى تعرضت لها فى العشرين سنة الاولى من حياتها ، قبل زواجها الثالث ٠٠!

ذلك هو الثابت قطعا من أسانيد التاريخ ، وان كان حب التهويل قد غلب على خيال فيكتورهوجو فصور لوكريشيا شريرة حتى النهاية ، وزعم أنها حملت سفاحا من عشيق لها فى بلاط زوجها ٠٠ وهو أمرغير صحيح ، ولامبرر له الاأوهام الشعراء !

نهاية حياة ٠٠

◆ ولكن حياة التوبة والسلام لم تطل ، فان طفلها الرابع قد أرهقها حمله ووضعه ، فاعتلت صحتها ، وأدركت أنها على وشك الرحيل عن هذا العالم الذى جربت فيه طعم كل شىء ، من الحلو الى الحريف الى مرارة العلقم !٠٠ فكتبت الى البابا الذى

خلف والدها على عرش بطرس الرسـول تستلهمه الدعاء والغفران ، تتويجا لتسعة عشر عاما من التقوى سلختها فى رحاب الزوجية الاخيرة ...

وكأنمـا استجابت السماء دعاءها ، وأرادت أن تؤكد توبتها ، فاذا بأحد أحفادها القاصين يطوب قديسا من قديسى الكنيسة الكاثوليكية باسم «فرنسوا بورجيا»..!

◆ وكأنما كانت لنهاية لوكريشيا فى أحضان الدين والصلاح هزة عنيفة فى قلب أمها «فانوتزا» ، بعد وفاة عشيقها اسكندر السادس وولديها القتيلين جيوفانى دوق جانديا ثم سيزار بورجيا .. فختمت المرأة حياتها الصاخبة الآثمة بالتوبة والاعتكاف فى دير ، الى أن ماتت ..!

وهكذا انتهت حياة امرأة لم تتجاوز الاربعين ، اختزلت فى سنيها القصار نقائض الدنيا والدين .. ولكن المسكينة بقيت معروفة باثمها الاول ، وأبى الناس أن يتسامعوا بتوبتها النصوح ، لان الناس يحبون الفضائح ، ويتلذذون بالآثام ، ان لم يكن بالفعل ، فبالكلام ..!

لوكريشيا بورجيا .. كمايصورها الخيال !

◆ والآن ، وقد طالعت القصة الواقعية لحياة « لوكريشيا بورجيا » كما يسجلها التاريخ فى هذا الكتاب القيم الذى لخصته لك فيما سبق .. فلعل من الطريف أن أردف القصة الحقيقية لهذه الشخصية التاريخية بقصتها الاخرى الخيالية ، كما صورها اديب فرنسا الكبير « فيكتور هوجو » فى مسرحيته الغنائية العالمية المعروفة باسمها، وقد مثلت لاول مرة على مسرح اوبرا «سكالا» بميلان سنة ١٨٣٤ ، وفى اوبرا باريس سنة ١٨٤٠ ، ولندن سنة ١٨٣٩ ونيويورك سنة ١٨٤٧ .. وغناها المغنى العالمى كاروزو فى المتروبوليتان سنة ١٩٠٢ ... الخ

واترك لك فيما يلى ان تقارن بين شخصيتى لوكريشيا : الحقيقية .. والخيالية !

— ١ —

◆ ترفع الستار .. فاذا نحن فى شرفة قصر « جريمانى » بمدينة البندقية، ذات ليلة من ليالى الصيف فى بداية القرن السادس عشر ، حيث اقيمت حفلة ساهرة حضرها عدد كبير من المدعوين ، بينهم من يحملون ارفع واعرق الاسماء فى ايطاليا فى ذلك العصر ..

بين الضيوف البارزين نرى الشاب اللامع الدوق « اورسينى » ، وقد التف حوله نفر من الاصدقاء المرحين ، الذين يستطيعون ان يفخروا جميعا — ما عدا واحدا — بنبل محتدهم !.. لكن هذا الواحد المجهول الاصل ليس محتقرا من رفاقه ، بل لعله على العكس اكثرهم حظوة بالحفاوة والاعجاب ..!

انه يدعى « جينارو » .. وهو لا يخجل من الاعتراف بانه لا يعلم شيئا عن نسبه وابويه ، وانه قد نشأ فى كنف صياد فقير .. لكنه لم يكد يلتحق بجيش البندقية حتى اشتهر ببسالته النادرة فى الحروب التى خاضها.. وقد كفلت له بطولته ، بالاضافة الى وسامة محياه وجاذبية نظراته ، صداقة الكثيرين ومحبتهم . وكان الدوق اورسينى ، الارستقراطي العريق ، يفخر بانه يدخل في عداد هؤلاء الاصدقاء ..!

ونسمع جانبا من الاحاديث التى تدور بين المدعوين ، فاذا الموضـــوع الرئيسى المشترك بينها هو ـ كالعادة ـ سرد أحدث الفظائع التى ارتكبها افراد أسرة بورجيا القوية ، التى كانت تمسك بزمام السلطة العليا فى ايطاليا كلها ، والتى كانت مكروهة مرهوبة الجانب بسبب جرائم افرادها العـــداونية التى تتميز بالقسوة وسبق الاصرار !.. ولما كان الدوق أورسينى من الد إعداء آل بورجيا ، فانه لا يتردد فى أن يصفهم لجلسائه بأسوأ الاوصاف والنعوت ..

◆ وهو الليلة يتحدث عن فظائع « امراة » من أسرة بورجيا ، هى الليدى ((لوكريشيا بورجيا)) ، التى ورثت ـ رغم جمالها الفائق الذى جعلها من أندر نساء زمانها فتنة ورواء ـ اميز خصال أسرتها ، وهى الاعتـــداد بالنفس ، والتعلق بالقوة والسلطان .. كما ورثت ـ مثـل شقيقها سيزار ـ نزعة الشر والعدوان التى تجعلها لا تتورع عن أستخدام أعنف الوسائل كى تشبع مطامعها وشهواتها ·· بحيث كان جزاء كل من يجرؤ على الوقوف فى طريقها وعرقلة خططها : طعنة فى الظلام ، او جرعة من شراب مســـموم !·· وكان ضحاياها من جميع الطبقات ، أرفعها وادناها على السواء !

لكن الشاب الباسل « جينارو » الذى عاد حديثا من ميدان الفروسية والشرف ، يضيق ذرعا بتعداد جرائم الخيانة والغدر ، فينأى بنفســـه عن الجماعة كى يتمدد على أرض الحديقة بجوار احدى القنوات ، وسرعان مايستغرق فى النعاس ··

ولا تمضى لحظات حتى يقبل « جندول » انيق منزلقا على صفحة القناة فى سكون ، بمحاذاة حدائق القصر ، وقد جلست فيه امراة بارعة الجمال ، لا تكاد تلمح الشاب النائم حتى تؤخذ بوسامته ، فترسو بزورقها عند المكان الذى رقد فيه ، وتتسلل الى جواره !

انها ليست سوى السفاحة الرهيبة « لوكريشيا بورجيا » ، قد جاءت الى البندقية فى مهمة سرية، ولم تتردد فى ان تضع قدمها فى ارض الد اعدائها ·· لا لغرض الا لمجرد ارواء نزوة طارئة من نزواتها !

ولا تكاد تنحنى فى صمت فوق الشاب الوسيم النائم حتى يفيض قلبها بغتة بشعور من الرقة الخالصة ، فقد عرفت فى الفتى : ابنها !·· فلذة كبدها ·· الطفل الذى جاء ثمرة غرام خفى من عهد شبابها الباكر !

وترتجف المرأة انفعالا بامومتها التى بعثت الى الحياة فجاة ، وفرحة بوسامة مولودها ، فترفع يده الى شفتيها فى رفق ٠٠ وتلثمها !

◆ لكن الشاب يستيقظ على قبلتها الناعمة ، فيذهل اذ يجد نفسه وحيدا الى جوار هذه الفاتنة الغريبة عنه ، التى كان لها من جمالها وشبابها الباقى رغم عوادى الزمن ما يخلب لب « جيذ'رو » ، فيتودد اليها من فوره ويشتبك معها فى حديث ممتع ٠٠ يروى لها قصة حياته ، وماضيه وحاضره ، فى ثقة الشباب وسذاجته ، فيلقى من عطفها وحدبها ما يجعله يناشدها ان تبوح له باسمهـــا !

لكن لوكريشيا تابى عليه ذلك ٠٠ انها لا تريد أن تدمر احترامه الظاهر لها بالافصاح عن شخصيتها ٠٠ ولا هى تجرؤ على الاعتراف له بحقيقة امومتها له ، بعد ان افلحت فى كتمان سر مولده عن الجميع طيلة هذه السنين !

ولا تكاد تودعه وتستدير لتذهب حتى يقبل أورسينى وبقية اصدقائه ليتفقدوه ، فيلمحون المرأة وهى تبتعـــد ، ويعرفون شخصيتها ٠٠ واذ ذاك يبادرون الى مصارحة صديقهم جينارو بانها ليست سوى «لوكريشيا بورجيا» البغيضة التى سردوا عليه منذ هنيهة الكثير من فعالها القظيعة ٠٠!

ورغم أن جينارو يصدم بهذه الحقيقة ، الا أنه قد تورط فى الواقع فى أسر فتنتها ٠٠ ومن ثم يسعى بكل الطرق الى لقائها ، ولا تسنح له فرصة لذلك الاوينتهزها ٠٠ وهكذا تقوى المقابلات المتوالية من صداقته لهـا وتدعم الصلة بينهما ٠٠ لكن هذا الهيام الظاهر بين الاثنين لا يلبث ان يسترعى انتباه زوج لوكريشيا « الرابع » ، الدوق الفونسو ـ وكانت المرأة قد تخلصت من أزواجها الثلاثة السابقين سواء بالسم أو بمختلف وسائل القتل الاخرى ! ـ فتحتدم فى صدره نار الغيرة على زوجته الى الدرجة التى تحمله على ان يقسم لينتقمن من الاثنين !٠٠

◆ ومن الناحية الاخرى تثير صلة جينارو بالمرأة انزعاج أصدقائه ، وفى مقدمتهم الدوق اورسينى ، فيجعلون همهم أن ينقذوه من وصمة الاتصال بمن تحمل اسم بورجيا البغيض ويجرى فى دمها سمه اللعين !٠٠ وهكذا لا يجدون فرصة الا ويوسعون صديقهم لوما وتقريعا من اجل وقوعه فى حبائل هـــذه الداهية التي لن تلبث ان تجلب عليه الكوارث ٠٠!

لكن جينارو يجد نفسه مسوقا ، بقوة لا تقاوم ، نحو هذه المرأة الجميلة التى لا تظهر لهغير الرقة الخالصة ٠٠ ورغم عجزه عن وصف أو تكييف الشعور الذى يحسه هو نحوها ، فانه يستمر على صلته الوثيقة بها ، متجاهلا تحذير أصدقائه وتقريعهم ٠٠ وان لم يعدم لحظات تلدعه فيها حملاتهم المرة فيتنبه من غفلته ليلوم نفسه فى عنف واحتقار على ضعفه وخضوعه لامرأة عرفت بالشر والخلق السىء ٠٠!

— ٢ —

◆ فاذا كان الفصل التالى فنحن فى ميدان عام بمدينة « فيرارا » يقوم على جانبه قصر بورجيا ٠٠ وقد التقى « جينارو » باصدقائه فكرروا لومه وتوبيخه من أجل صلته بالسفاحة لوكريشيا ٠٠ ويمعن الرفاق فى حملتهم على المرأة حتى يفلحوا فى ايغار صدره ضدها واثارة حفيظته وحقده عليها ، فيندفع فى طيش واستهتار بالعواقب الى باب قصرها ليمحو من عليه بخنجره الحرف الاول من اسم « بورجيا » ، تاركا منه الحروف الباقية « اورجيا » ، التى تتضمن التباسا بين معنيين احدهما ممقوت مثير للسخرية !

لكن عين الدوق « الفونسو » ـ زوج لوكريشيا ـ تقع على الشاب وهو يرتكب فعلته الطائشة ، فيامر رجاله بالقاء القبض عليه وايداعه احدى غرف القصر ٠٠ ثم ينهى الى لوكريشيا نبأ اقدام « احدهم » على محو الحرف الاول من اسم الاسرة ، فتثيرها الاهانة التى ينطوى عليها ذلك الفعل وتطالب بالبحث عن الفاعل ومعاقبته بالموت ، جاهلة ان الفاعل ليس غير جينارو !

عندئذ يعمد الزوج ، وقد حانت فرصته للانتقام منها ومن « عشيقها » المزعوم ، الى اصدار أمره بتنفيذ رغبتها دون ابطاء ، فيمضى الخدم لاحضار « المجرم » كى يمثل بين أيدى قضاته تمهيدا لتنفيذ الحكم !

◆ لكن عين لوكريشيا لا تقع على المحكوم عليه حتى يصيبها الفزع والانزعاج، فهى تتبين فيه ابنها الحبيب !٠٠ وعندئذتروح تستعطف زوجها وتساومه على انقاذ حياة السجين ٠٠ لكن الدوق يعتصم بعناده واصراره ، ويتهمها علنا بان الفتى هو عشيقها المفضل ، ومن ثم ينبغى ان يموت امام عينيها !٠٠ وبعد تكرار التوسل والاستعطاف ، يقرر الدوق ان اقصى ما يستطيع ان يسمح لها

به ، اكراما لها ، هو أن يمنحها حرية اختيار الوسيلة التى ينفذ بها فى الفتى حكم الاعدام !

وازاء تحرج الموقف على هذا النحو ، يفيض اليأس بلوكريشيا .. فهى لا تجرؤ أن تلوث ماضيها بالافصاح عن أمومتها للشاب ، وهى لا تقوى على أن تدعه يقتل تنفيذا للرغبة الطائشة التى طالبت هى بها .. وهنا يتفتق ذهن السفاحة المجربة عن مخرج من مأزقها ، فتعلن أنها قد اختارت للسجين أن يموت بشرب جرعة من نبيذ أسرة بورجيا المسموم الشهير !

يغتبط الزوج بتغلب مشيئته على كبرياء زوجته وغطرستها ، فيمضى الى مكان النبيذ المسموم ثم يعود حاملا فى يده كاسا منه مترعة ، يناولها للفتى التعس ويجبره على ان يجرعها حتى الثمالة !.. ثم يطلق ضحكة تهكم شامتة وهو يغادر الغرفة تاركا زوجته وعشيقها يتبادلان الوداع الاخير !

◆ لكنه قد نسى فيما يبدو أن آل بورجيا يملكون القدرة على أن يشفوا مثلما لهم القدرة على أن يقتلوا ، بسمومهم الغامضة المجهولة !.. وهكذا لا يكاد الزوج يغادر المكان حتى تعمد لوكريشيا الى اعداد « ترياق » يبطل مفعول السم القاتل الذى تناوله جينارو منذ قليل ، ثم تسقيه اياه .. وحين تطمئن الى بدء ظهور آثار الترياق فى جسم الفتى تسارع الى تهريبه الى خارج القصر عن طريق ممر غير مطروق ، وهو لم يسترد بعد وعيه الكامل .. ثم توصيه بان يعود من فوره الى البندقية ، حيث تامل أن يكون آمنا من كل شر !

— ٣ —

◆ فاذا كان الفصل الاخير فقد عادت لوكريشيا فانغمست فى شرورها وآثامها ، ومؤامراتها السياسية والشخصية ، بعد أن حرمت متعة رفقة ابنها الذى كان ضالا فوجد ، وبعد أن تحررت من تاثيره الناعم عليها !

وكانت قد اقسمت ان تنتقم من الدوق اورسينى واصدقائه الاربعة الذين وشوا بها لدى صديقهم جينارو ، فاعتزمت ان تنفذ حكمها القاتل اثناء حفلة رائعة تقرر أن تقام فى قصر الاميرة « نجرونى » ، وهى امراة كانت حفلاتها تضم الضحايا الذين يستقر عزم السفاحة على التخلص منهم !

فاذا حلت الليلة الموعودة رأينا الماكرة تدس السم فى قارورة من النبيذ

الشهى أعدت لكى يشربها الاعداء الخمسة الذين تبغى موتهم ٠٠ ثم تختبىء فى ركن تستطيع أن تشهد منه نتيجة مؤامرتها ٠

ويشتد صخب جماعة اورسينى ، وقد لعبت الخمر برؤوسهم ، ويطرب اورسينى زملاءه باغنية مرحة ثملة ٠٠ وخلال التصفيق الذى يعقب ذلك تظهر لوكريشيا من مخبأها وتنهى الى غرمائها شامتة بلهجة التشفى القـاسية أن النبيذ الذى شربوه مسموم وانهم سيلقون حتفهم بعد دقائق معدودات ! ٠٠ ثم تامر أتباعها باحضار النعوش الخمسة التى سوف يدفنون فيها ٠٠ كى يروها باعينهم !

◆ فى تلك اللحظة ، وقد بلغ انتقامها غايته ، تبصر لوكريشيا ما يجمد الدم فى عروقها : تبصر ابنها جينارو قادما من الغرفة المجاورة ، فقد أهمل تحذيرها وبقى فى البلدة !٠٠ ويعلن الفتى انه هو بدوره قد شرب من النبيذ المسموم ، وانه يحسن بها أن تعد له نعشا سادسا يوضع فيه جثمانه !

يفاجأ الحاضرون بهذه المقاطعة المفجعة لطربهم ولهوهم ، فينسحبون من قاعة الاحتفال واحدا بعد الآخر ، بوجوه شاحبة وخطى مترنحـــة ٠٠ وتبقى الام والابن بمفردهما !٠٠ وتبادر لوكريشيا ــ فى نوبة فزعها من تسببهـــا فى تسميم ابنها ــ الى اعداد الترياق المطلوب ، ثم تتوسل اليه باكية مستحلفة أن يتناوله من فوره ٠٠ ويبلغ من جزعها عليه أنها تعجز عن ضبط مشاعرها فتبوح له بانها ٠٠ امه !

لكن جينارو يأبى ان يتناول الترياق ، وقد اذهله أن يعلم ان هذه المرأة الرهيبة التى ملأه رعبا اقدامها على قتل أصدقائه الخمسة فى اصرار سابق ودون استفزاز ، هى امه !

وعبثا تحاول لوكريشيا ــ وقد رأت السم يسرى فى كيان ابنها سريانا سريعا ــ أن تغريه بتناول الترياق الذى يستطيع وحده انقاذه من الموت !٠٠ لقد صح عزمه على أن يضع حدا لحياته هو الآخر ، ما دام اصدقاؤه قد بات مصيرهم الموت المحتوم !

وهكذا يلقى بقارورة الترياق جانبا ، غير عابىء بيأس امه ولوعتها ٠٠ ولا تمضى دقائق حتى يسقط بين ذراعيها فاقد الحياة !

فى هذه اللحظة يدخل الدوق الفونسو - زوج لوكريشيا - الى الحجرة ، فتكاشفه زوجته ، فى نوبة يأس وحزن ضاريين ، بسر امومتها للشاب جينارو !

ولكن قبل أن يهضم الدوق كلماتها أو يدرك معناها تخر لوكريشيا على الارض !.. فان صدمة تسببها فى موت ابنها كانت اشد وطاة من أن تستطيع احتمالها ، فاقدمت - بتأثير الندم القاتل - على تنـــــاول جرعة من النبيذ المسموم ، القتها ميتة بدورها .. الى جانب جثة ابنها الحبيب !

وهكذا تلقى السفاحة الرهيبة جزاءها .. كما أراد أن يصوره خيـــال فيكتور هوجو ، مؤلف هذه التمثيلية !

عزيزى القارىء ...

قدمت لك فى كتابى الثانى محاكمة ((جورجيت هودو)) ملكة الجمال الباريسية التى قتلت خليلها لانه .. تزوج !

وفى ((كتابى)) الثالث قرات معى قصة ((جثث للبيع)) ، التى تقص اطوار محاكمة السفاحين ((بيرك)) و((هير)) بتهمة قتل العشرات من الضحايا دون ذنب ولا جريرة ، بغية ((بيع)) جثثهم لاساتذة وطلبة كليات الطب كى يمارسوا عليها تجاربهم ..

واليوم اقدم لك محاكمة من التاريخ القديم ، كان المتهم فيها شخصية من أعظم شخصيات الانسانية فى جميع العصور .. واعنى به حكيم أثينا الخالد: ((سقراط))

وفى الاعداد القادمة ساقدم لك بمشيئة الله مجموعة منوعة من القضايا والمحاكمات الكبرى التى احدثت دويا.. سواء فى الشرق أو الغرب ، ومنها : محاكمة ((مرجريت فهمى)) .. محاكمة ((فلورنس ماى بريك)) - وهى المحاكمة التى تعتبر سبة فى جبين القضاء الانجليزى - ثم محاكمة ((ستافسكى)) .. و((الكابتن كيد)) .. والتفصيلات الكاملة لقضية دريفوس .. والمحاكمات الجنائية التى لمع فيها نجم المحامى العالمى ((مارشال هول)).. وعشرات غيرها

الجريمة.. والعقاب

المحاكمات الكبرى

فى الماضى والحاضر

محاكمة سقراط
الفيلسوف الذى
دافع عن الحق حتى النفس الأخير!
TRIAL & DEATH
OF SOCRATES
by
PLATO

هذه القضية ...

لم يعرف التاريخ القديم قضية أهدر فيها العدل ، وجلل قضاتها بالخزى والعار مثل قضية سقراط ، ابى الفلسفة القديمة ، وراس حكماء اثينا .

وقد سجل لنا التاريخ عن هذه القضية وصفا رائعا قلما أتيح لقضية اخرى فى تاريخ البشرية أجمع : فقد كتب هذا الوصف قلم من انبه اقلام الآداب العالمية قاطبة ، فى اشراق بيانه ، وبراعة ادائه ، ولباقته فى ايراد الحوار وتصوير الشخصيات .. ذلكم هو قلم الفيلسوف الفنان افلاطون ، حوارى سقراط الاعظم ، وراس الفلسفة المثالية فى العالم القديم والحديث على السواء .

وقد أورد افلاطون أطوار تلك القضية فى ثلاثة من أعظم محاوراته التى لا تبارى ، هى : ((دفاع سقراط)) و ((فيدون)) و ((كريتون)) ... وعن هذه المصادر الثلاثة جمعت لك هذه الخلاصة الزاهرة ، التى تجلو لنا أعلى ما تبلغه النفس السامية الفاضلة البريئة من حب الحق والعدل والخير ، ومن طلب الحكمة عملا لا قولا ، الى الحد الذى يجعلها ترتضى الموت وتستعذبه .. لا نفورا من الشر فقط ، بل من مجرد التقاعد عن فعل الخير كما تتصوره تلك النفس الزكية .. !

وان سقراط بهذا لهو أول ((شهيد باختياره)) ، شهيد للحكمة والفضيلة !..واعظم قدوة وأسوة لكل مضطهد فى سبيل الحق والخير ..

فى ملعب التمثيل

◆ نحن الآن فى مدينة أثينا ، سيدة مدن بلاد اليونان ، ابان مجدها الزاهر ، فى ذلك العصر الذى أعقب غلبة اليونان على دولة الفرس ، وقد التمع نجم بنى الاغريق فى الفن والسياسة والحكمة والشعر .. وهاهى أنسام الربيع العطرة ، المحملة برائحة الكرم المزهر ، تهب من الروابى والتلال ، كأنها تحية الارض للاله «باخوس» — رب الخمر ، والطرب ، والملذات — فى أوان عيده السنوى ..

كان ذلك سنة ٤١٣ قبل مولد المسيح ٠٠ وقد ماج مسرح أثينا الكبير بجماهير الناس من جميع الطبقات والاعمار والاهواء : بكروا الى ذلك المسرح منذ بزغت الشمس فى مطلع النهار كى يظفروا بمقاعد ممتازة يشهدون منها درة جديدة سارت الركبان بخبرها ٠ ولا عجب ! فصاحب تلك الدرة هو أمير الشعراء الممثلين ، ورب الكوميديا فى عصره ، وأحدعمدائها فى جميع العصور بلااستثناء : « اريستوفان » العظيم (الذى قدمت لك فى «كتابى» السابق ملهاته الطريفة «سلاح المرأة »)

أمام ملهاته الجديدة التى تزاحم الناس منذالبكور ليشهدوها فى الاصيل ، فهى كوميديا «السحب» ، التى لاتزال تعتبر حتى يومنا هذا آية فى التهكم السائغ والفكاهة الحلوة البعيدة المرمى ٠٠

ويبدأ التمثيل ، فاذا الناس يلحظون بطل الرواية ، فيعرفون على الفور من هو المقصود بذلك التهكم ، ويأخذون فى الصياح ، بصوت منغم ، على مألوف العامة فى « الزفات » والمواكب ، موقعين الصياح بأكفهم فى نسق راقص :

ـ سقراط ٠٠٠ سو ٠٠ قراط ٠٠ سوقراط !

ذلك ان بطل تلك الكوميديا لم يقصد به الاحكيم أثينا وأشهر معلميها «سقراط » ! وقدمثله أريستوفان مبشرا بدين جديد ، داعيا الى آلهة غير آلهة اليونان ، هى آلهة «السحب» ٠٠ متخذا من هذه الدعوة ذريعة لفتنة الناس عن ايمانهم ، وابتزاز أموالهم ، وافساد الشباب على آلهم ٠٠!

ورود وأشواك ٠٠!

◆ وزاد فى حماسة الناس وهتافهم الماجن « سوقراط ٠٠ سوقراط » أنهم رأوا سقراط بينهم بلحمه ودمه ، يشهد الملهاة

كما يشهدونها !..

وما أن انتهى التمثيل ، بين صياح الناس واعجابهم بسياقه وحسن فكاهته ، حتى حملوا المؤلف الشاعر أريستوفان على الاعناق ، وراحوا يطوفون به المسرح هاتفين مهللين مكبرين:

- يحيا أريستوفان العظيم ! يحيا الشاعر الملهم ...

ولم يكن ذلك غريبا ، فقد ألف الناس فى أثينا أن يعقدوا فى عيد «باخوس» من كل عام مباراة للتمثيل فى « الطراغوذيا » و «الكوميذيا» أى المأساة والملهاة ، فكان أريستوفان يفوز كل سنة بالقدح المعلى فى مباراة الكوميذيا غير منازع ! ...

ولكن العجيب حقا أن يرى الناس فى نهاية ذلك التمثيل الشيخ سقراط ، على رأس كوكبة من أصحابه وحوارييه ، يتقدم الى أريستوفان الذى حمله الناس على الاعناق ، وقد حمل اليه بين يديه حزمة كبيرة من الورد ، مما يحمل الى الاعزاء وذوى القدر .. تعبيرا عن تقديره لبراعة الشاعر الممثل ، ولوكانت تلك البراعة على حسابه الشخصى ..!

بيد أن سقراطا لم يقدم الورد الى الشاعر كما تقدم الزهور عادة ، أى فى رقة ولين ، بل قذف بها فى وجه أريستوفان قذفا عنيفا ، فآذته أشواك الورد وخدشت محياه . فصاح الشاعر الثمل بخمرة النصر :

- ويحك ياسقراط ! لقد آذانى شوك وردك ...

فضحك الحكيم الشيخ وقال له :

- أماتكون لك فى أسوة حسنة يا أريستوفان ؟ لقد تحملت أنا أشواك فنك ، من أجل جماله وعطره الفواح .. فهلا تحملت أشواك ورودى من أجل جمالها وعطرها ؟ .. انك

اذن لمن الظالمين !

وضحك الناس على الشاعر الذى أضحكهم قبل ذلك على الفيلسوف الشيخ ، وبذلك ثأر الحكيم لنفسه قبل أن ينصرم النهار ٠٠!

هـذا الحكيم ٠٠

◆ فمن هو هذا الحكيم الذى تعرفه أثينا جمعاء ، حتى لقد استحق أن يكون موضوعا لرواية من روايات أريستوفان العظيم ، وهو متربع اذ ذاك على قمة مجده الشاهق ؟

هل هو معلم من معلمى الحكمة المأجورين ؟ أهو رجل من رجال السياسة والحكم ؟ أهو ثرى من الثراة أومحام من محترفى الخطابة ؟ أهو دعى من أدعياء الكهانة كما صورته ملهاة أريستوفان ؟

كلا ! وانما هو رجل من عامة الناس ٠ كان أبوه صانع تماثيل ، وكانت أمه قابلة تقوم بتوليد النساء ٠٠٠ فصار هو فى صدر شبابه مثالا كأبيه ، ثم احترف فى أواخر عمره صناعة أمه ، وهى التوليد ! فكان «يولد» الحقيقة من أدمغة الرجال ، كما كانت أمه تولد الاطفال من أرحام النساء !٠٠ أوهكذا كان الفيلسوف الساخر يتهكم ساخرا من نفسه ٠٠

ولم يكن سقراط رجلا وسيما كمعظم الاغريق ٠ كلا ! بل هو رجل قبيح الخلقة جدا ، كث الشعر ، ضخم الانف ،

غائر العينين ، ضخم الجسم ، منبعج البطـــن ، غير متناســق الاعضاء ٠٠ ولكنه ذو قوة عظيمة جدا ٠ وهو الى هـــذا خفيف الظل ، ساحر الحديث ، حاضر البديهة ٠ فما أن ينطلـــق فى الكلام حتى ينسى الناس قبح خلقته ، ويؤخذوا بسحر ذلك اللسان الفكه اللامع ٠٠!

◆ وكان عصر سقراط عصر ازدهار فنى واقتصادى ، على أثر نصر اليونان على الفـــرس ، فنجم عن ذلك تضخم مالى ، وأثرى الكثيرون من تلك الحروب ٠ واذا نشأت طبقـــة أثرياء الحرب ، كثرت الاباحية ، وذهبت الحدود ، وضـــاعت معالم التربية الموروثة ٠٠ فكان ذلك ايذانا بموجة من الانحـــلال الخلقى ، واهدار القيم الادبية ، واستباحة كل محرم !٠٠ ومن ثم قام نفـــر من أدعياء الحكمة ـ هم السفسطائيون ـ بتعليم هؤلاء الاثرياء الجدد قشور الجدل والفلسفة ، زعموا لهـــم أن لاحقيقة فى الدنيا ، وانما حقيقة كل انسان كما تبـــدو له ، فالحق متغير بتغير الاشخاص ، متغير باختلاف أهوائهم وحالاتهم ٠٠٠ ولاخير فى الدنيا الالذة الحس ، فكل انسان غير مقيد فى طلب السعادة والخير الابلذة جسمه واشباع شهواته !٠٠ وهكذا صار الاستهتار الخلقى بذلك التعليم الجديد فلسفة مقـــررة ، بعد أن كان عدوانا واختلاسا ٠

وهالت هذه الحالة سقراط ، فراح يغشى المجامع والملاعب ، يناقش أشهر الناس بالعلم ، ويلقى عليهم أسئلة تبدو ساذجة جدا ، ويتدرج من سؤال الى ســـؤال حتى يوقع الشخص فى الحرج والتناقض المضحك ، فيضحك منه السامعون ، ويبـــدو لهم جهله ٠٠!

◆ واشتهر سقراط بهذا الاسلوب الجديد فى الحوار والفلسفة ، وفتن به كثير من الشبان الاذكياء ، فصارت له حلقة تتبعه أينما حل لتستمع الى مناقشاته تلك ، التى يهدف منها الى تقرير قيم الاخلاق ، وخلود النفس بعد فناء الجسد ، واقرار مبادىء للخير أسمى من اللذة الحسية الطارئة ٠٠ **وكان سقراط يرفض مايقدم اليه من المال لقاء ذلك التعليم ، زاعما للناس أنه ليس حكيما ، وانما هو طالب حكمة ٠ وانه جاهل ، لايعرف شيئا سوى أنه جاهل !٠٠ فهو انما « يحاول » العلم عن طريق معرفة حقيقة نفسه ، ويدعو الناس الى معرفة أنفسهم بأنفسهم ٠٠ لان معرفة النفس أولى من معرفة العالم ٠٠**

وكان ذلك الاسلوب فى افحام الناس وتسخيف أحلامهم قمينا أن يبغضهم ويثيرهم ، فحقد عليه أدعياء الحكمة ممن يبيعون فتاوى الفساد ويعلمون الخطابة والجدل لقاء أجر ضخم ، لانه أظهر فساد رأيهم ، ونافسهم فأفسد عليهم « تجارتهم » بما آثر من الفقر والعفة ٠٠!

شهادة الآلهة عن سقراط !

◆ وذات يوم دق باب سقراط فى ساعة باكرة من الصباح ، فزمجرت زوجة سقراط ـ فقد كانت امرأة جاهلة سليطة اللسان ، تسخر من زوجها وتحتقره وتسبه ، لانه منصرف عن كسب المعاش الى التفلسف ومناقشة الناس تلك المناقشات التى تبدو فى نظر المرأة الساذجة مضيعة للوقت لاغناء فيها ! ـ وهمت أن ترد الطارق خائبا بعبارة من عباراتها الجارحة ، لولا أن سقراطا حال بينها وبين ما أرادت ، وأدخل صديقه

«شيريفون» مرحبا به ، سائلا اياه عن علة هـــذا التبكير .. فقال «شيريفون» :

– تعلم ياصديقى اننى كنت فى ركب الحجاج هذا العام الى معبد « دلف » .. وقد طلبت الى كاهنة الاله أبولو – اله الفنون الجميلة – أن تسأل الاله هذا السؤال : « هل فى الناس كافة من هو أحكم من سقراط الاثينى ؟» فاذا الجواب يأتينى من الاله بغير ابطاء أن ليس فى النـــاس كافة من هو أحكم من سقراط !

فصاح سقراط فى دهشة صادقة :

– عجبا !

– وفيم العجب ياســـقراط ؟ ألست قـــد حاججت بروتاغوراس وجورجياس ، وهما أشهر الفلاسفة ، فضلا عن بقية معلمى الحكمة من أساطين العصر ، فاذا بك تكشف للناس عن جهلهم ؟..

– صدقت ! ولكن جهلهم ياصاحبى لايثبت علمى وحكمتى فى شىء . فأنا لست الاطالب حكمة ومعرفة . وليس لى منهما شىء . فأنا أستوضح من يقــول الناس انهم أصحاب حكمة ومعرفة ، وكل ماتكشف لى من سؤالهم هو أنهم ليسوا عـلى شىء منهما . فهم لايعرفون شيئا . ولكننى أنا أيضا حيث كنت دائما : لا علم لى ولاحكمة . ولهذا ترانى أرد النـــاس الذين يرغبون الى فى تعلم الحكمة على يدى ، قائلا لهـم : « اعرفوا أنفسكم بأنفســكم !».. ذلك أننى تبينت أن لا علم لـدى المعلمين ، وان فاقد الشىء لايعطيه ...

– وذلك ياصديقى سقراط مايوغر صدورهم عليك ...

ـ لقد تذكرت شيئا لعله يفسر قول الآلهة انني أحكم الناس . فالناس لايعرفون ، ولكنهم يجهلون أنهم يجهلون ، فجهلهم مركب ! أما أنا فلا أعرف ، وأعرف أنني لاأعرف ... وذلك نصيب من العلم لاينازعني فيه انسان !

خيوط المؤامرة

◆ وانقضت سنوات منذمثلت ملهاة أريستوفان «السحب»، منددة بسقراط ، نامة عن حقد الكثيرين فى أثينا على هذا الرجل الفقير ، الحاد الذهن ، الالمعى الروح ، اللاذع اللسان!.. فلاعجب أن يزداد ذلك العدد من الخصوم والاعداء فى تلك السنوات الطوال .. وأن يجتهد أولئك الاعداء فى الايقاع بذلك الخصم العنيد !

ولكن ماذا تراهم قائلين عنه ؟ أانه لص ؟ كلا ! فانه العفة مصورة فى انسان ! أانه خائن لبلده متواطىء مع الاعداء ؟ كلا ! فانه كان ذاسابقة مشهورة من الشجاعة والاقدام والبسالة فى موقعتين سابقتين ، فقد قاتل — على كبر سنه — وصمدغير مكترث لبرد أوتعب ، ولم يفارق موضع حراسته أياما وليالى متصلات ، بغير طعام ولانوم !.. ذلك ان قوة هذا الحكيم البدنية كانت تضارع قوته الروحية : فقد أنقذ حياة القائد العظيم « ألسيبياد » فى موقعة «بوتيديه » ، بأن حمله وهو جريح على كتفيه بضع مراحل ، وهو الشيخ الذى اشتعل الرأس منه شيبا !.. أمافى موقعة « دليوم » فانه أنقذ حياة «زينوفون» حين سقط عن جواده وشجت رأسه .. ولما قرر الجيش الاثينى الانسحاب فى تلك الموقعة الخاسرة ، بقى سقراط فى المؤخرة ، يتقهقر بظهره فى خطى وئيدة جدا ، ليحمى ظهر

الجيش من هجمات المطاردين !

فلم يبق أمام أعداء سقراط اذن ، بعد تلك السابقة الحسنة فى الحرب والوطنية والنزاهة ، الأن يطعنوه فى عقيدته وفلسفته ، باسم الدين وباسم النظام الاجتماعى ٠٠ وهى ذريعة طالما انطلت على الغوغاء ! .

حبات الفول ٠٠!

◆ واذا كانت هذه هى التهمة التى يدبرونها له ، فأمام أى هيئة قضائية تراهم يرفعون الدعوى ؟ أأمام المحكمة العادية، التى يحدد القانون عدد رجالها ، ويقيد قضاتها بالنقط القانونية دون غيرها ، فلايباح أمامها الاالكلام فى «وقائع الدعوى» المجردة ، دون أى تطرق الى ظروفها وملابساتها ، حتى لايفتح الباب للخطابة والتأثير على عواطف القضاة ، وضنا بالقانون أن يكون حكمه الا عن طريق العقل وحده ؟

كلا ولا مراء ! فمثل تلك المحكمة يجلس للقضاء فيها «أهل الذكر» من رجال القانون ذوى الجد والخطر ، ولاينتظر منهم أن يدينوا سقراطا بتلك التهمة الظالمة !٠٠ فليس أمام الناقمين اذن الا تقديم الحكيم « الارستقراطى العقل والروح » الى محكمة العامة والدهماء ٠٠٠ تلك التى يسمونها « محكمة الشعب » أو « محكمة الشارع » ٠٠

فماتلك المحكمة ، ومن هم قضاتها ؟

انهم ليسوا قضاة بأى معنى من معانى تلك الكلمة فى الاصطلاح الحديث ٠ فلايشترط فى عضو تلك المحكمة الا أن يكون مواطنا أثينيا حرا له حقوقه المدنية ٠٠ ويتم انتخاب القضاة بالقرعة العمياء ، أى بحبات الفول ، كما جرت عادة

أثينا القديمة في اختيار الموظفين ! وهكذا يدخل فيهم البائع الجائل ، والمتسكع العربيد ، والحمار ، والقصاب ، وصياد السمك ، والمرابى .. الخ

فأمام هيئة مكونة من خمسمائة وخمسة وستين «قاضيا» على هذا الغرار البديع من الجهل وعدم التناسق والغرور بالمنصب الفضفاض ، سعى المتآمرون أن يقف سقراط ليؤدى حسابا عن نفسه ، ويدافع عن حياته الثمينة !

وماكان ليعجز أعداءه بعد هذا ـ وهم أصحاب المناصب والنفوذ والثراء فى أثينا ـ أن يحصلوا على موافقة السلطات على نظر قضية سقراط أمام « محكمة الشعب » هذه ، ليكون التأثير على القضاة أسهل ، واللعب بعقولهم ـ ان كانت لهم عقول ـ أقرب منالا ..!

صحيفة الدعوى ..!

◆ وفى الربيع من سنة ٣٩٩ قبل مولد المسيح قرأ الاثينيون هذا الاعلان الذى علق على « اللوحة الرسمية » فى دار الحكومة :

« ان مليتوس الاثينى يتهم سقراطا الاثينى ، ابن سفرونسك صانع التماثيل ، بمجافاته للعدالة ، وتهديده لنظامها ، لانه أولا ينكر وجود الآلهة التى تعترف بها الجمهورية الاثينية ، ولانه ثانيا يدعو الى آلهة جديدة ، ولانه ثالثا رجل فاسد مفسد للشبيبة الاثينية . وعقوبة هذه التهم : الاعدام!» .

واذا كان «مليتوس» هو الذى تصدى لاقامة الدعوى أمام محكمة الشعب ، فانه لم يكن الا «رأس الحربة » أو «مخلب القط » !.. وقد اختفى وراءه جل المحافظين ، أى جل المنتفعين من الفساد الذى يحاربه سقراط ، فساد العقيدة وفساد الفكر

وفساد الذمم ومقاييس الاخلاق !

ولعل أهم من ساهموا فى تلك الدعوى : « أنيتـوس» ـ الذى كان من أكبر رجال الدولة ! ـ وقد كتب صـحيفة الاتهام ، ثم «ليليتوس» الذى أعد مرافعته الطنانة التى ألقاها أمام المحكمة ، والتى ساعده فى اعدادها الخطيب المحترم ، معلم الخطابة «ليقون» السفسطائى !٠٠ وأغلب الظن أن الدافـع الذى حفز «أنيتوس» على محاربة سقراط وايذائه ، ان ابنـه كان من تلاميذ سقراط ، وانه تشرب بآرائه فنفر من تجارة أبيه ومهنته ، مفضلا الحكمة عـلى الجاه والثراء !٠٠ فكان أن أسرها أبوه لسقراط وعمل على القضاء عليه بنفوذه الظاهر والمستور ٠٠٠ والنفوذ المستور لرجال الجاه والمال كان دائما من أخطر العوامل فى أحداث التاريخ !

دفاع سقراط ٠٠

◆ ولما اقترب يوم المحاكمـة الموعود قال « هرموجين » حوارى سقراط لاستاذه :

– ينبغى ياسقراط أن تعـد دفاعك عن نفسك وتعنى باعداده ٠٠!

فسأله سقراط متجاهلا :

– وماذا كنت أفعل اذن طول حياتى ؟٠٠ ما أظننى كنت أفعل شيئا الا اعداد ذلك الدفاع ، فما انشغالى بالبحث عن كنه العدل والجور ، والشر والخير ، والحق والضلال ، الاعنايتى بتجنب الظلم والشرور وايثارى التزام العدل والخير ٠٠ وذلك ياصاحبى أكرم دفاع ٠٠ ثم اننى مافكرت فى تحضير «مرافعة» بالمعنى المعروف المألوف ، ألا خاطبنى من نفسى ذلك الصـوت

الذى تعرفون أنه يلازمنى ويكلمنى أحيانا كثيرة ، ونهانى عن مثل ذلك الاعداد ۰۰۰ ولعل مراد ذلك الصوت اذن أنه خيرلى لو مت ۰۰۰ وليس ذلك فى نظرى بالامر العجيب !

ثم تقدم اليه «ليسياس» ، أعظم خطباء العصر ومحاميه ، بدفاع بليغ منمق على الطريقة التقليدية فى محاكم الشعب، كى يحفظه ويلقيه أمام المحكمة ، فقرأ سقراط المرافعة معجبا بها ، ثم قال له :

ــ انها جميلة ۰ ولكن أترانى أقبل من يدك هدية قوامها حذاء فاخر جدا مما يلبسه النساء ، ولو كان على قدر قدمى ؟ اننى ياصاحبى لاأستطيع أن أنسى أننى رجل ، وأنه لايليق بى الاماينبغى للرجال ۰۰ !

ومن هذا ندرك أن سقراطا لم يعد دفاعه عن نفسه من قبل ، بل ألقاه ارتجالا ، وبوحى الساعة ، بحسب ماتوارد على خاطره من جو الاتهام والمحاكمة ۰۰ واذا نظرنا فى ذلك الدفاع رأيناه ينقسم الى ثلاثة أقسام :

فهو يبدأ بدفع التهمة وهدمها ۰۰ ثم يغلل الحقد عليه بكرامة رسالته وشرف دعوته الى الحق والفضيلة ۰ ثم يختم مرافعته بتبصير القضاة بمهمتهم و ۰۰ بدلا من ترضيهم والتذلل لهم على عادة أهل ذلك العصر ، نراه يجرح غرور أولئك القضاة ، ولاسيما حين يعلن أنه لايقبل أى حجر أو تقييد لحريته فى المستقبل ، فهو مصمم على دعوته متى أطلق سراحه !

أيها الاثينيون !

◆ فما أتم المدعون كلامهم حتى وقف سقراط وقال :

« أيها الاثينيون ! لقد عشت شهما شجاعا ، فثبت للعدو

فى ساحة الوغى ، ولم أزايل مكانى خوف الموت - كما يشهد بذلك كل انسان شهد تلك الحرب !٠٠ وما أرانى اليـــوم وقد علت بى السن مستطيعا أن أهبظ عن ذلك المقام فى الشجاعة والثبات ، فأتخلى عن رسالتى التى ألهمتنيها السماء ، عــلى لسان كاهنة الوحى فى معبد دلف ، والتى تهيب بى أن أبصر الناس بأنفسهم ٠٠ فاذا كان ذلك التبصيرهوماتسمونه افسادا للشباب الاثينى ،٠ ألا اذن فاعلموا أيها القضاة أنكم ان أخليتم سبيلى فى هذه الساعة ، فانى عائد من فورى الى ماكنت عليه من طلب الحكمة وتعليمها ، مهما يكن منكم بعد ذلك فى شأنى من رأى أوقضاء ٠٠!

وهنا علت من القضاة الخمسمائة همهمة غضب واستنكار، لمابدا فى لهجة «المتهم» من جفاء وتعال ، فكأنه أســـتاذ أمام تلاميذ ، بل كأنه القاضى وكأنهم هم المتهمون !٠٠ بيــــد أن سقراطا لم يبال بما بداله من غضبهم ، وانما استرســـل فى هدوء باسم مطمئن فقال :

◆ «واذا كان قولى هذا قدأغضبكم أيها الاثينيون ، فاعلموا اذن علم اليقين أنكم ان حكمتم على بالموت ، انما تسيئون بذلك الى أنفسكم ، ولاتسيئون الى ٠٠ لان الشر انما يحيق بأهله ، فضحية الشر والجور فاعلهما لاالمقصود بهما ٠٠ وليس الشر مايصيب الانسان من غيره ، أو من القضاء والقدر ، بل الشر مايجلبه المرء على نفسه بجريرته وجهله لحقيقة الخــــير ٠ فلئن ذهب البرىء ضحية لذلك الجهــــل ، فليس ذلك بضائره فى شىء ، لانه ظل نقيا بغـــير دنس ٠ أما المفترى الكاذب فذلكم هو الخاسر الخسران المبين !٠٠

وعلت همهمة الغضب مرة أخرى ، فلم يأبه لهاسقراط ، وانما ازداد اصرارا على لهجته فى التقريع والتوبيخ :

« ولاتحسبوا دفاعى هذا عن نفسى خوفا عليها ، بل خوفا عليكم أنتم أهل أثينا الاحباء ! فانى أخشى أن تفقدوا بفقدى رجلا لايعوض ، وليس له بينكم نظير . فانكم وحق الآلهة لن تجدوا من بعدى أحدا يبصركم بعوراتكم ويغمز جانبكم لتركضوا كالجياد السوابق الى غايات الخير والفضيلة والاحسان ، ولايرخى لكم العنان لتركضوا فى مهاوى الفتنة والضلال ، بجوادين من انتكاس العقل واختلاط الفهم ، ذلك الاختلاط الوبيل الذى دأبتم عليه !

وهنا ازدادت الضجة عتوا .. وأدرك رئيس المحكمة ماوراء ذلك ، فالقضاة قطيع من السوقة ، لايفهم القانون ، ولاأصول المحاكمات ، وانما يحكمون بأهوائهم وعواطفهم ، فقال لسقراط :

ـ أى سقراط ! أليس أولى لك ثم أولى أن تكسب عطف المحكمة بدلا من أن تتحداها بهذا الزهو والشموخ ؟..

فقال له سقراط :

ـ وماذا تريدنى أن أقول أيها الرئيس ؟ أتريدوننى حقا أن أترضاكم يا أهل أثينا بالمديح والثناء الكاذب ، وأن أرضى غروركم بالتوسل والبكاء ، وأجلب أولادى وزوجتى أمامكم لترأفوا بحالهم وتنقذوهم من اليتم والترمل ؟ اننى لو فعلت لصدق فى اذن قول « ميليتوس » ، فان أخذكم بالعواطف الرخيصة دون اقناعكم بالعقل لهو التغرير بكم ، ورشوتكم وخداعكم ، وافساد خلقكم ... فلقد أقسمتم اليمين على احترام

القانون وتحريه فى ماتصدرون من أحكام • والقانون عقل لامجاملة عاطفية • وحملكم على الحنث بتلك اليمين افساد لدينكم وخلقكم ، ولست أنا الذى يفعل هذا المنكر الذى رمانى به متهمى «ميليتوس» ظلما ، بل انى سلخت عمرى فى دعوتكم الى طاعة الآلهة بطاعة قوانينها الحقة التى طبعتها فى النفس ، وهى صورة العقل دون بقية النوازع والنزوات •

فاحكموا اذن أيها القضاة بماشئتم ، فذلك شأنكم أنتم ، واعلموا ان نفوسكم هى التى فى كفة الميزان لا نفسى ، فاحرصوا على العدل والحق ، فهو خير لكم وأجدى عليكم وأحسن عقبى •• وانى مستريح الى مابصرتكم به من عاقبة الطريق ، فارعوا أنفسكم بما تتوخون من العدل أيها القضاة !»

ادانة •• !

◆ وتداول القضاة شر تداول ، وقد اشتراهم خصوم سقراط ، وصدق على البيع سقراط نفسه ، بما أسمعهم من قارص القول ! •• فماكان لمثل هؤلاء العوام والسوقة أن يفهموا لغة سقراط ، فركبوا رؤوسهم وقرروا ادانته !

وجرت العادة أن يسأل رئيس المحكمة المتهم بعد أن يصدر قرار الادانة ، أى عقوبة يحسب أنه مستحق لها ؟••

فلما ألقى الرئيس على سقراط ذلك السؤال ، أجابه هذا باسما :

— ان أليق حكم تصدرونه فى حقى أيها القضاة ، أن تحكموا لى أن أطعم وأكسى على نفقة الدولة بقية عمرى ، اعترافا منكم بما أسديت لاثينا وأهلها من الخير ، ومابصرتهم به من الحق والعدل !

فكان هذا الجواب اللاذع ثالثة الاثافى ، فقد زاد من حنق

قضاته عليه ،وغضبهم من استعلائه وسخريته بهم ، واستصغاره لشأنهم ٠٠ فأحبوا أن يفهموه مقدار سلطانهم على مثله ، فحكموا عليه بالموت ، بأغلبية ٢٨١ صوتا ضد مائتين وعشرين ٠٠ على أن يكون موته بتجرع السم مذابا فى كأس من العسل ٠٠!

وكان تعقيب سقراط على هذا الحكم الشائن أنه انتصب واقفا وقال فى اباء ووقار :

ــ لى بعد ذلك رجاء أتوجه به اليكم معاشر الاثينيين : اذا أنتم وجدتم أبنائى من بعدى يعدلون عن طلب الخير والعدل الى تحصيل الدنيا ومتاعها ، فشهروا بهم ، وازجروهم عن ذلك زجرا شديدا ، كما كنت أنا أزجركم عن هذا الامر البغيض ٠ فان أنتم فعلتم ذلك أوفيتمونى ما أديته لكم عمرى كله من جزيل الايادى ٠٠ أما الآن فقد آن لنا أيها القضاة والمواطنون أن نفترق ، ليحظى كل منا بماقسم له ، أنا بالموت ، وأنتم بالحياة ٠٠٠ أما أينا أسعد حظا بما أوتيه وأهدى سبيلا ، فعلم ذلك عند علام الغيوب ٠٠!

فى السجن

◆ وبذلك انتهت أنكد محاكمة عرفها التاريخ القديم ، وخرج بطل حرية الفكر من المحكمة أهدأ نفسا مما دخلها ٠٠٠ فلزم سجنه ، يلم به فيه تلاميذه فيحاورهم فى الفلسفة وخلود الروح ، مسريا عنهم مايلقونه من أجله من حزن وغضب ، مستخفا بماسيحيق به ، مستمسكا بمبدئه فى البر وخلود النفس وتزكية الروح بالفضيلة ٠٠٠

وتأخر تنفيذ الحكم انتظارا لوصول ركب الحجاج المقدس ، الذى كانت فترة غيبته عن أثينا تعتبر أشهرا حرام

لايجوز فيها انفاذ حـكم الموت فى أحـد !٠٠ حتى اذا أزف الوقت ، وشوهد فى الفجر شراع الركب المقدس عنـد الافق ، طرق باب السجن «كريتون» حوارى سقراط المحب له ٠٠

الموت أحب الى ممايدعوننى اليه !

◆ وقال كريتون لاستاذه ان الركب بدا على الافق ، وان اليوم لن يختتم الاوهو ميت !٠٠ فلم يكترث سـقراط لذلك النبأ ٠ فقال كريتون هامسا :

ـ لقد أعددناكل شيء للهرب ، ورشونا الحارس ، وجهزنا الشراع والمال والمأوى فى«تساليا» ، فهيابنا يا أستاذى الى الحرية!

فحملق سقراط فى تلميذه الشاب وقال :

ـ كلا ياكريتون ٠ لن أهرب من الموت !

ـ وكيف ؟ أمن العدل أن تسلم نفسـك غنيمة باردة سهلة لاولئك الاجلاف الجهلاء ، وأنت قادر على النجاة بنفسك ؟ أم تراك تحب أن تترك أولادك الصغار تحت رحمة القـدر ، ولاتعيش معهم لتربيهم تحت كنفك ؟

ـ كلا ياكريتون ! اننى لاأستطيع أن أتخلى عن المبادىء التى ناديت بها عمرى كله ، لالشيء الا لان نازلة توشـك أن تحيق بى ٠ بل اننى ياكريتون أرى هذه المبادىء الثمينة التى ناديت بها ودعوت اليها وعشتها حتى اليوم ، جـديرة بذلك الثمن الذى أوشك أن أبذله هذا النهار فى سبيل تحقيقها واعلاء كلمتها ! فان العقل الذى بشرت به الناس يشير على أنه لاينبغى أن نقابل الشر بالشر ، ولاأن نحيد عن العدل لان الناس حادوا عنه ٠ فكل مواطن يجب أن يخضع لحكم القانون ، بالغا مابلغ ذلك الحكم من الجور والضلال ! فماذا أناقائل لو تمثلت لى قوانين

الدولة بشرا سويا عند باب سجنى هذا وأنا لائذ بالفرار ، وقالت لى :

ـ الى أين ياسقراط ؟ أليست فعلتك هذه قلبا لنظام الدولة واخلالا به جهد طاقتك من الاخلال ؟ وأى دولة تستطيع الثبات ياسقراط لو استباح كل فرد فيها عصيان أحكام محاكمها ؟

السجن الذى اعدم فيه سقراط

« أجل ياكريتون ، ليست الحياة نفسها شيئا .. واما أن نحيا حياة الخير والعدل والحق ، فذلك هو كل شىء !.. فلندع هذا الموضوع جانبا ياكريتون، ولنمض دون وجل فى الطريق الذى رسمته لنا الآلهة ... واعلم أننى أرحب بهذا الفكاك من أسار الجسد ، كى تستطيع الروح مشاهدة الخير والعدل والجمال ، دون عائق ولاحجاب ، فى العالم الآخر . فلاتحزن ياكريتون وثق أن الجسد فان ، أما الروح فخالدة ، لانها هبة الآلهة ، فهى مثلهم باقية لاتموت !..

◆ وحين أتى له الحارس بالسم ، تجرع سقراط كأسه .. لكنه بقى حيا فى ذاكرة الانسانية ، وهيهات لمثل سقراط أن يموت !..

كتب الأولون

كنوز الكتب القديمة

عزيزى القارىء ...

استخرجت لك فى كتابى الاول من كنوز الكتب القديمة كتاب «ديكاميرون» لبوكاشيو .. وفى كتابى الثانى «دون كيشوت» لسرفانتس .. وفى العدد الاسبق انتقلت بك من ايطاليا واسبانيا الى «اثينا» القديمة فاستخرجت لك « الياذة » هوميروس الخالدة .. ثم صحبتنى فى العدد الماضى الى فرنسا القرن الثامن عشر فتعرفنا الى فيلسوفها الخالد «جان جاك روسو» فى كتابه المشهور : «اميل» .. واليوم انقلك الى بلاد العرب وجزائرالهند ، لنستمتع بصحبة « حى ابن يقظان » و « روبنسن كروزو » .. رسولى الدعوة الى حياة الفطرة والعودة الى احضان الطبيعة ! .. وفى الاعداد القادمة اعتزم ان اقدم لك بعون الله من هذه الكنوز القديمة : قصة الاخوين (من قصص الفراعنة) ، البطولة وعبادة الابطال (لكارليل) ، الكوميديا الالهية (لدانتى) ، الاوديسة (لهوميروس) ، الامير (لمكيافيللى) ، اصل الانواع (لداروين) ، السياسة (لارسطو) ، الجمهورية (لافلاطون) ، يوتوبيا او الدولة المثالية (لتوماس مور) ، رباعيات الخيام .. ولن اغفل تراث العرب الخالد ومنه : رسالة الغفران لابى العلاء المعرى ، الحيوان والبخلاء للجاحظ ، كليلة ودمنة .. الخ

ابن طفيل

حىّ بن يقظان

الأسطورة العربية التى اقتبست منها قصة
روبنسن كروزو

قصة الكتاب .. ومؤلف الكتاب

◆ فى تلك الواحة الاندلسية الجميلة ، وفى أوائل القرن الثانى عشر الميلادى ، ولد أبو بكر ابن طفيل فى مدينة صغيرة تسمى (وادى آسن) شرقى غرناطة . وقد قرأ الحكمة على علماء زمانه ، وأحاط بعلم الفلك والرياضيات والطب ، الى جانب أنه كان شاعرا رقيق الاسلوب .. ثم ترقى الى أن صار وزيرا لابى يعقوب بن عبد المؤمن ، الذى كان يجتمع فى بلاطه كثير من العلماء فى كل فن ومن كل قطر ، وكان من بين هؤلاء الفيلسوف المشهور ابن رشد الذى لا ينكر الغربيون أثره فى الفلسفة الاوروبية .

وقد اهتم ابن طفيل اهتماما خاصا بفلسفة الاشراق التى قال بها الرئيس ابن سينا فى المشرق . وقصة حى بن يقظان فى الواقع ليست الا عرضا لهذه الفلسفة فى اسلوب قصصى ممتع .. وقد « حرك » ابن طفيل شخصياتها ليخدم فكرته المعينة التى انتهى اليها فى ختام حياته ، وهى الميل الى العزلة والعزوف عن الحياة والناس ، والانقطاع الى العبادة والمجاهدة حتى يأتيه اليقين ..

والقصة بهذه الصورة تمثل تجربة فلسفية عملية مر بها ابن طفيل نفسه ، كما تمثل الى حد بعيد مدى اختلاف عقليات الافراد فى المجتمع الانسانى، من حيث موقفهم من الحقائق الكبرى : كالله والكون والعدم .. الخ .

مزيج من الفلسفة اليونانية والاسلامية

◆ والواقع أن هذه الافكار التى ساقها ابن طفيل فى قصته ليست أصيلة عنده ، من ابتكاره ، وانما هى خلاصة قراءاته فى الفلسفة ، سواء منها اليونانية والاسلامية . ولعل ابن الصائغ ــ أستاذ ابن طفيل ــ له فضل كبير فى توجيه ابن طفيل الى مثل تلك الافكار التى عرضها فى قصته .

ومن قراءتنا للقصة نستطيع ان نلمس بوضوح أن افكار المجتمع الذى كان يعيش فيه ابن طفيل كان لها اثرها فى هذه القصة . فالمعروف ان ابن طفيل اعتزل الناس فى أواخر ايامه عند ما تبين له أن اصلاحهم أمر عسير ، وكذلك

لفشله فى الوصول الى المعرفة . ولعل ابن طفيل أدرك أن الافكار التى أراد التعبير عنها فى قصته هذه ليست مما يرضى عنها مجتمع عصره ، أو يستطيع تقبلها بسهولة ، ان هى قدمت اليه باعتبارها فلسفة الكاتب الخاصة .. فلم يجد بدا من ان يخفى شخصيته وان يلجأ فى صياغته للقصة الى هذه الصورة الخرافية التى تخليه امام المجتمع من كل مسؤولية ..

◆ على اننا اذا كنا نعد قصة حى بن يقظان لابن طفيل أطرف قصة ظهرت فى القرون الوسطى فى العالم ، فاننا فى الواقع لا نستطيع أن نرجع الفضل كله الى ابن طفيل وحده ، لانه يتبين اخيرا ان هناك قصصا عربيا آخر يحمل هذا الطابع نفسه ، فضلا عن ان الشخصيات التى صورتها القصة ليست جديدة. والحق أن ابن طفيل لم يخلق من هذه الشخصيات المعروفة الا أسماءها فقط ، ولكنه حركها بعد ذلك تحت تاثير فكرته الخاصة .

ترجمتها الى خمس لغات عالمية

ولقد شغلت قصة حى بن يقظان اذهان المفكرين فى جميع الامم وفى كل العصور ، فترجمتها جامعة اكسفورد الى اللاتينية - سنة ١٦٧١ - ثم ترجمت الى الانجليزية ، والالمانية ، والهولندية ، والفرنسية ، وغيرها .. ومن الآراء الراجحة ان الكاتب الانجليزى « دانييل ديفو » قد « تاثر » بقصة حى بن يقظان فى كتابته قصته المشهورة (روبنسون كروزو) . وليس عجيبا ان تلقى هذه القصة العربية اقبالا واعجابا من الانجليز بصفة خاصة ، ويكون لها عندهم وفى ادبهم هذا الاثر ، فقد دارت حوادثها فى جزيرة او جزيرتين اشبه واقرب ما تكونان الى الجزر البريطانية ..

تفوقها على « روبنسن كروزو »

◆ ولكن هناك حقيقة لابد من تقريرها فى هذا المجال ، وهى أن ((ديفو)) لم يكن له هدف فلسفى فى قصته « روبنسن كروزو » كما كان الشان عند ابن طفيل . ولم يكن يرمى مثله الى تفضيل حياة الطبيعة على الحياة فى المجتمع .. وروبنسون كروزو - بطل قصته - لم يولد وحيدا على الجزيرة ، ولكنه خرج

من بلاده فى سفينة وحده ، فحطمت الزوبعة سفينته فوقع فى أيدى قرصان البحر أسيرا ، ثم فر حتى وصل الى الجزيرة الخالية واستطاع ان يعيش فيها بفضل سابق خبرته فى الحياة . اما حى بن يقظان فقد ولد من غير أب ولا ام – فى بعض الروايات – وحيدا على ظهر تلك الجزيرة !.. وفى الوقت الذى لم يكتشف فيه روبنسون كروزو من الطبيعة الا اشياء جزئية ، استطاع حى بن يقظان أن يصل بالتدريج الى ادراك حقـــائق كبرى جوهرية ، أهمها ان الانسان اذا عاش منفردا ، بعزلة عن المجتمع ، ولم تبلغه دعوة الرسل ولم يتلق تعليما أو دراسة على الاطلاق ، فانه قادر على ان يستلهم خالقه وضميره خير الفضائل ، وأن ينجو من الشرور والرذائل .. وذلك لا يتيسر فى المجتمع الا اذا تعاونت الجماعة على المعرفة والفضيلة ، فعندئذ يتيسر لها ان تعيش فى غنى عن القاضى وعن الطبيب ، بفضل تجنبها للخصومات ، وللتعقيد و « الوخامة » فى المأكولات !..

◆ ولعلك تذكر مما رويته لك فى « كتابى » السابق من آراء الفيلسوف الفرنسى الكبير « جان جاك روسو » التى اوردها فى كتابه « اميل » ، تنديده بالحضارة ومناداته بعودة الانسان الى العيش على الفطرة ، فى احضان الطبيعة السليمة من شوائب الزيف والنفاق وشرور المجتمع .. الخ – الامر الذى جعله يقول: ((لو سالتنى عن أحسن كتاب يعلم التلميذ الحياة على طبيعتها، كما خلقها الله لنا ، لاجبتك انه ليس كتابا من مؤلفات ارسطو ، او امثاله من الفلاسفة .. وانما هو كتاب « روبنسن كروزو » !.. فهو يصور كيف يعيش الانسان على الفطرة ، وحيدا فى جزيرة ليس فيها من المخلوقات غير الحيوان والنبات ، دون البشر .. وهو يرينا كيف يغالب الانسان عناصر الطبيعة ، ويروضها ، ويسخرها لخدمته ومنفعته ، الامر الذى يفتح امام الناشىء آفاق التفكير وينمى مداركه .. الخ

والان دعنى أعرض عليك كلا من القصتين او الاسطورتين ، باسلوب اقرب الى اسلوبهما الاصلى ، بادئا بالقصة العربية ((الاصيلة)) .. ثم معقبا بالقصة الانجليزية المستوحاة منها .. كيما تقارن بين العقليتين ، والخيالين ، والفلسفتين ...

أسطورة حى بن يقظان

١ ـ قصة مولده ونشــأته

◆ ذكر سلفنا الصالح انه كانت هناك جزيرة صغيرة من جزائر الهند تقع جنوبى خط الاستواء ، يطيب فيها الهواء ، و «يتولد» الانسان على سطحها من غير أم ولا أب ، ويوجد بها شجر يثمر «نساء» ، يعرفن بجوارى « الواق واق » !٠٠ ومن بين من « تكونوا » فى تلك البقعة ، من غير أم ولا أب ، بطل قصتنا هذه « حى بن يقظان » ٠٠ **فان بطنا من أرض تلك الجزيرة تخمرت فيه طينة على مر السنين ، حتى امتزج فيها الحار بالبارد ، والرطب باليابس ٠ وكانت هذه الطينة المتخمرة كبيرة، لكن أوسطها كان أطيبها معدنا وأقربها الى تكوين الانسان ٠٠ فتمخضت تلك الطينة عن «نفاخات» لزجة شبيهة بالتفاعل الذى ينشأ عن التخمر أو الغليان ٠٠ ثم تكونت فى وسطها نفاخة صغيرة منقسمة الى قسمين ، بينهما حجاب رقيق ، وممتلئة بجســم «هوائى» لطيف ، تعلقت به «الروح» التى هى من أمر الله تعالى ٠٠ حتى تم تكوينه على صورة طفل !٠٠ ولما نفدت مادة غـذاء ذلك الطفل ، اشتد جوعه ، وتعالى صراخه ، فلبته ظبيــة فقدت طفلها ٠٠!**

وفى رواية اخرى عن مولد حى بن يقظان انه كانت بجوار تلك الجزيرة الصغيرة جزيرة اخرى عظيمة فسيحة الارجاء ، عامرة بالناس ، يملكها رجل منهم شديد الانفة والغيرة ، له اخت ذات جمال وحسن باهر ٠٠ بحيث انه منعها من الزواج ، لانه لم يجد لها كفؤا !

ولكن كان له قريب يسمى «يقظان» ، احب تلك المراة فتزوجها سرا ، وحملت منه ثم وضعت طفلا ! ٠٠ فلما خافت ان يفتضح امرها وينكشف سرها، وضعته فى تابوت ـ بعد ان ارضعته فاشبعته من لبنها ـ ثم خرجت بـه فى اول الليل بين حاشية من خدمها ولقاتها الى شاطئ البحر ٠٠ وهناك ودعته، وقلبها يحترق حبا له وخوفا عليه ، داعية ربها من اجله هذا الدعاء :

« اللهم انك خلقت هذا الطفـــل ولم يكن شـــيئا مذكورا ، ورزقته فى ظلمات الاحشاء ، وتكفلت به حتى تم واستوى.. فهانذا اسلمه الى لطفك ، وأرجو له فضلك ، خوفا من اخى ، هذا الرجل الغشوم العنيد الجبار .. فكن له ، ولا تسلمه ، يا أرحم الراحمين !»

◆ ثم قذفت به فى البحر ، فحمله «المد» من ليلته الى شاطىء الجزيرة الاخرى الصغيرة، المتقدم ذكرها.. حيث القاه الماء بقوته على أجمة ملتفة الشجر، عذبة التربة، مستورة عن الرياح والمطر، محجوبة عن الشمس .. وطيلة الليلة اخذ الماء فى التناقص و«الجزر» عن موضع الصندوق الذى فيه الطفل ، فى الوقت الذى تراكمت فيه الرمال حتى سدت عليه باب الاجمة وردمت مدخل الماء اليها ، بحيث صار المد لا ينتهى اليه ..

وكانت مسامير الصندوق قد قلقت ، والواحه قد اضطربت ، فلما اشتد الجوع بذلك الطفل بكى واستغاث .. فوقع صوته فى اذن ظبية فقدت طفلها ، فلما سمعت الصوت ظنته ولدها ، فتتبعته الى مصدره .. حتى وصلت الى الصندوق ، فعالجته باظلافها ، والطفل يئن من داخله ، حتى طار عنه لوح من أعلاه .. فانحنت الظبية على الطفل ، والقمته حلمتها وسقته من لبنها ..!

٢ - ألفته بالظباء ووحوش الجزيرة

◆ قالوا .. ان الظبيـــة التى تكفلت به ـ على أى من الروايتين ـ صادفت مرعى خصبا ، فاكتنز لحمها ودر لبنها، حتى قام بغذاء ذلك الطفل أحسن قيام .. وصارت تلازمه فلا تبتعد عنه الالضرورة الرعى ، فبلغ من ألفتـــه بها أنه صار اذا ابطأت عنه اشتد بكاؤه فطارت اليه .. !

ولم يكن بتلك الجزيرة سباع مفترسة ، فتربى الطفل ونما واقتات بلبن تلك الظبية ، الى أن اكتمل من عمره عامان ،

وتدرج فى المشى ، وظهرت أسنانه .. وكان يتبع تلك الظبية أينما ذهبت ، وكانت هي ترفق به وترحمه فتحمله الى المواضع التى فيها شجر مثمر ، وهناك تطعمه ما تساقط من ثمارها الحلوة الناضجة ، وتكسر له بأضراسها ما كان منها صلب القشرة .. ومتى احتاج الى اللبن أروته ، ومتى ظمىء الى الماء أوردته ، ومتى لفحته الشمس ظللته ، ومتى برد أدفأته .. حتى اذا جن الليل صرفته الى مكانه الاول فدثرته بنفسها وبريش كان هناك فى الصندوق ..

◆ وما زال الطفل مع الظباء على تلك الحال : يحكى نغمتها بصوته حتى لا يكاد يفرق بينهما ، وكذلك كان يحكى كل ما يسمعه من أصوات الطير وسائر أنواع الحيوان .. وأكثر ما كانت محاكاته لاصوات الظباء فى الاستصراخ والاستئلاف والاستدعاء .. فألفته الوحوش وألفها ، ولم تعد تنكره أو ينكرها

وكان أثناء ذلك كله ينظر الى جميع الحيوانات فيراها مكسوة بالشعر والوبر وأنواع الريش ، ويرى ما لها من سرعة العدو وقوة البطش ، وما لها من الاسلحة المعدة لمدافعة من ينازعها ، مثل القرون والانياب والحوافر والاشواك والمخالب .. ثم يرجع الى نفسه فيرى ما به من العرى ، والتجرد من السلاح ، وقلة البطش ، عندما كانت الوحوش تنازعه على الثمرات وتستبد بها دونه ، فلا يملك الدفاع عن نفسه ولا الاستئثار بها ..

وكان يرى أترابه من أولاد الظباء قد نبتت لها قرون بعد أن لم تكن لها ، واشتدت قوتها وسرعتها فى العدو بعد

ضعف ، ولم ير لنفسه شيئا من ذلك كله ، فكان يفكر فيه ولا يدرى سببه! ٠٠ وظل يتتبع ما بينه وبين الحيوانات من فروق ، الى أن أدرك أن عوراتها مختفية وعورته هوظاهرة ٠٠ فساءه ذلك ، فلما طال همه فى ذلك كله ، وهو قد قارب من العمر سبعة أعوام ، ويئس من أن يكمل له ما كمل لها ٠٠ اتخذ من أوراق الشجر العريضة شيئا جعل بعضه أمامه وبعضه خلفه ، وصنع من الخوص والحلفاء شبه حزام على وسطه علق به تلك الاوراق ، فلم يلبث حتى ذوى ذلك الورق وجف وتساقط عنه ٠٠ فما زال يتخذ غيره ويخصف بعضه ببعض طبقات مضاعفة لتطول مدته ، واتخذ من أغصان الشجر عصيا سوى أطرافها وعدل متنها، وكان يهش بها على الوحوش المنازعة له فيحمل على الضعيف منها ويقاوم القوى ، فسما بذلك قدره فى نظر نفسه ، ورأى ان ليده فضلا كثيرا على أيديها ٠٠٠

◆ وفى خلال ذلك ترعرع وجاوز سن السابعة ، وطال به العناء فى تجديد الاوراق التى كان يستتر بها ، فكانت نفسه تنازعه الى اتخاذ ذنب من أذناب الوحوش الميتة ليعلقه على عورته ، الا أنه لم يستطع الاقدام على ذلك ٠٠٠ الى أن صادف ذات يوم نسرا ميتا فقطع جناحيه وذنبه صحاحا كماهى ، وسلخ عنه سائر الجلد ، ثم فصله الى قطعتين ربط احداهما على ظهره والاخرى على سرته وما تحتها ، وعلق الذنب من خلفه ، وعلق الجناحين على عضديه ٠٠ فأكسبه ذلك سترا ودفئا ومهابة فى نفوس جميع الوحوش ٠٠ !

٣ ـ معنى الموت ..!

◆ لم تعد الوحوش تنازع « حى بن يقظان » ولا تعارضه ، وصار لا يدنو اليه منها سوى الظبية التى أرضعته وربتـه ، فانها لم تفارقه ولا فارقها ، الى أن تقدمت فى السن وضعفت، فكان يرتاد بها المراعى الخصبة ويجتنى لهـــا الثمرات الحلوة ، ويطعمها ...

وما زال الهزال والضعف يستولى عليها ويتوالى ، الى أن أدركها الموت ، فسكنت حركتها وهمدت أنفاسها . فلما رآها الصبى على تلك الحالة جزع جزعا شديدا ، وكادت نفســه تفيض أسفا عليها ، فراح يناديها بالصوت الذى كانت عادتها أن تجيبه عليه عند سماعه ، ويصيح صياحا عاليا ، فلا تتحرك مع ذلك ولا تريم ! .. فكان ينظر الى أذنيها والى عينيها فلا يرى بها آفة ظاهرة ، ثم ينظر الى جميع أعضائها فلا يرى بشىء منها آفة ، وهو يطمع أن يعثر على موضع الآفة فيزيلها عنها ، كى ترجع الى ما كانت عليه .. ولكن لم يتـأت له شىء من ذلك ! فلما لم يجد بأعضائها الظاهرة آفة ـ وكان يرى مع ذلك أن التعطل قد شملها جميعا ولم يختص بها عضوا دون عضو ـ وقع فى خاطره أن الآفة التى نزلت بها انما هى فى عضــو غائب عن العيان ، مستكن فى باطن الجسد ، وان ذلك العضو لا يغنى عنه فى وظيفته شىء من هذه الاعضاء الظاهرة ، بحيث لما نزلت به الآفة عم الضرر جميع الجسم .. !

◆ وحاول الصبى أن يعثر على هذا العضو وأن يزيل عنه ما نزل به ... وهداه تفكيره آخر الامر الى أن ذلك العضــو الذى نزلت به الآفة انما هو فى صدرها ... ولكنه خشى ان

هو نقب عنه أن يلحق بالظبية ضررا أخطر ... وكان قد أدرك من ملاحظاته أن كل الحيوانات التى صارت فى مثل حالتها من السكون لم تعد الى حالتها الاولى مرة ثانية ، فخالجه نوع من اليأس .. ولكن أمله فى عودتها الى الحياة كان لايلبث أن يرتد اليه فيجعله يبحث من جديد عن العضو الذى نزلت به الآفة .. وأخيرا عزم على شق صدرها وتفتيش مافيه ، فاتخذ من كسور الاحجار الصلبة وشقوق القصب اليابسة أشباه السكاكين ، وشق بها ما بين أضلاعها حتى قطع اللحم الذى بين الاضلاع ، وأفضى الى الحجاب الباطنى لها فرآه قويا .. فحاول شقه ، فأفضى به الى الرئة، فظن أولا أنها بيت القصيد، وأخذ يفحصها .. ولكنه تركها أخيرا وراح يفتش فى وسط الصدر حتى ألفى « القلب » ، وقد جلل بغشاء غاية فى القوة ، تتصل به أوردة وشرايين ... فنظر هل يرى فيه آفة ظاهرة؟ ولكنه لم ير فيه شيئا ، فضغط عليه فأدرك أن به تجويفا ، فشقه فوجد به تجويفين ، ووجد التجويف الايسر خاليا من كل شىء ، فدهش !.. كان يرى لكل جزء من الجسم وظيفة ، فلما وجد هذا المكان فارغا قال فى نفسه : «ما أرى الآن مطلوبى كان فيه فارتحل عنه وأخلاه .. فطرأ على الجسم من التعطل ماطرأ !..

٤ ـ الجسد والروح !

◆ لما رأى « حى بن يقظان » أن الساكن فى ذلك « البيت » قد ارتحل عنه قبل انهدامه ، وان الجسم حدث به ما حدث بعد هذا الارتحال ، أدرك أن هذا الجسم خسيس لا قيمة له بالنسبة الى ذلك الشىء الذى ارتحل وتركه . فراح يبحث عن

ذلك الشيء ، ما الذى ربطه بهذا الجسد ؟ والى أين صار ، ومن أى الابواب خرج عند خروجه من الجسد ؟ ٠٠ الخ ٠

وفى خلال ذلك نتن ذلك الجسد ، وخرجت منه روائح كريهة ، فزاد نفوره منه ، وود أن لا يراه ٠ وفى هذه الاثناء سنح لنظره غرابان يقتتلان، حتىصرع أحدهما الآخر ميتا !٠٠ ثم جعل الحى يبحث فى الارض حتى حفر حفرة فوارى فيها ذلك الميت تحت التراب ٠ فقال فى نفسه : « **ما أحسن ماصنع هذا الغراب فى مواراة جيفة صاحبه ، وان كان قد أساء فى قتله اياه ! ٠٠ وقد كنت أحق بهذا الصنيع مع أمى !** » ٠٠٠

وحفر حفرة ألقى فيها جسد أمه وواراها التراب ٠

وعاد يفكر فى ذلك الشيء الخفى المحرك للجسم ! ٠٠ ورأى سائر الظباء مثل أمه ، فغلب على ظنه أن كلا منها انما يحركه ويدفعه شيء مثل ذلك الذى كان يحرك أمه ويدفعها٠٠ ولكن ماذا يكون هذا الشيء ؟ ٠٠ وبقى على ذلك زمنا يراقب ويفحص أنواع الحيوان والنبات ، ويطــوف بســاحل تلك الجزيرة ، ليرى أو يجد لنفسه شبيها فلم يجد !٠٠ وكان يرى البحر قد أحدق بالجزيرة من كل جهة فاعتقد أنه ليس فى الوجود سوى جزيرته تلك ٠٠٠

◆ واتفق ذات مرة ان انقدحت نار فى أجمة بسبب احتكاك، فلما وقع بصره عليها رأى منظرا هاله ، فوقف يتأمله مليا ، متعجبا ٠ ومازال يدنو من النار شيئا فشيئا ، فرآها لاتعلق بشيء الا أتت عليه !٠٠ ومد يده اليها ، أراد أن يأخــذ منها شيئا ، فلما لمسها أحرقت يده فلم يستطع القبض عليها !٠٠ فأخذ قبسا لم تستول النار على جميعه ، وعاد به الى حيث

يأوى٠٠وما زال يمد تلك النار بالحطب والحشيش ويتعهدها ليل نهار ، استحسانا لها وتعجبا منها !٠٠ لكن أنسه بهـا كان يزداد ليلا ، لانها كانت تقوم له مقام الشمس فى النهار ، من حيث الضياء والدفء ، فصارت أفضل الاشياء لديه ٠٠

وكان من جملة ما ألقى فيها ـ على سبيل الاختبار لقوتها ـ شيء من أصناف الحيوانات البحرية كان البحر قد ألقاه الى ساحله ، فأنضجته حرارة النـار ، وتصاعدت رائحة اللحم المشوى ، فتحركت شهوته اليه وأكل منه شيئا فاستطابه ، فاعتاد بذلك أكل اللحم ٠٠!

وقد وقع فى نفسه أن الشيء الذى ارتحل من قلب أمه الظبية كان من جوهر هذا الموجود أو من شيء يجانسه ٠ وأكد ذلك فى ظنه ماكان يراه من حرارة الحيوان طول مدة حياته ، وبرودته من بعد موته ، وما كان يجده من الحرارة عند صدره ٠٠ ففكر فى أنه لو اتخذ حيوانا حيا وشق قلبه ، ونظر الى ذلك التجويف لوجد فيه ذلك الشيء الذى يسكنه ! ٠٠ فعمد الى بعض الوحوش ، وأوثق كتافها ، ثم شقها بالطـريقة التى شق بها الظبية ، حتى وصل الى القلب ٠٠ وشق الجهة اليسرى فرأى ذلك الفراغ مملوءا بهواء بخارى يشبه الضباب الابيض !. فأدخل اصبعه فيه فوجده شديد الحرارة ، ومات ذلك الحيوان على الفور ٠ فأدرك أن هذا البخار الحار هو الذى كان يحرك هذا الحيوان ٠٠ !

٥ ـ الحياة على الفطرة !

◆ وفى خلال هذه المدة تفنن حى بن يقظان فى ابتكار الحيل التى يستعين بها على استغلال اكتشافاته ، فاكتسى بجلود

الحيوان ، واتخذ مخزنا وبيتا لفضلة غذائه ، وحصنه بباب من القصب لئلا يقتحمه عليه « شيء » فى أثنائه غيابه . واستألف جوارح الطير ليستعين بها فى الصيد ، واتخذ الدواجن لينتفع ببيضها وفراخها ، واتخذ من صياصى البقر الوحشية شبه أسنة ، ركبها فى القصب القوى وفى عصى الزان . . . واتخذ له درعا من الجلود المضاعفة . عندئذ كانت الحيوانات لاتصمد أمامه ، بل تفر سريعا من وجهه ، **فرأى أن يتألف بعض الحيوانات الشديدة العدو ، ويحسن اليها ويقدم لها الغذاء ، حتى يتأتى له امتطاءها ومطاردة سائر الاصناف بها . . وكان بتلك الجزيرة خيل برية وحمر وحشية ، فاتخذ منها ما يصلح له ، وأعد لها من الشرك والجلود أمثال الشكائم والسروج ، فتأتى له بذلك ما أمله من مطاردة الحيوانات التى صعبت عليه الحيلة فى أخذها . . . .**

◆ ثم ان « حى بن يقظان » قد أخذ بعد ذلك يبحث فى شتى الظواهر الحيوية التى لاحظها فى جزيرته ، فتأمل فى النار كما تأمل فى الماء ، وأدرك بحسه ما لها من خصائص ، كما أدرك أن له احساسات مختلفة تؤديها له أعضاء مختلفة فى جسمه . وتفرس فى الحيوانات والنباتات التى صادفها فى جزيرته ، وأدرك أنها جميعا تتفق فى شيء واحد هو ، الناحية الروحية ، وان اختلفت فى مظاهرها ! . . ثم اهتدى الى أن الاشياء اما أن تتصاعد واما أن تسقط على الارض . ولكنه فى أثناء هذا التفكير ينعطف على نفسه ، فيدرك أنه لابد له أيضا من معنى زائد على جسميته يمكنه من القيام بأعماله وأفكاره . وقد هدته الملاحظة الى أن كل حادثة لابد من فاعل يحدثها ،

بعد أن لم تكن ، وأنها تؤول آخر الامر الى الفناء أو الفساد • فاتجه بنظره الى السماء وما فيها من كواكب ، فانتهى الى أنها أيضا أجسام كغيرها • وأدرك من اطراد شروق الـكواكب وغروبها فى وقت واحد أن الفلك على شكل كرة ، كمـا أن رجوع الشمس بعد مغيبها قد أكد له ذلك !

وقد أفضت به استنتاجاته الى أن العالم لابد له من فاعل ــ أوخالق ــ هو الى الروح أقرب منه الى الجسم ، قوته لانهاية لها ، وأفعاله منزهة عن النقص • فحاول « حى بن يقظان » أن يعرفه معرفة اتصال ،. فلاحظ أن حواسه كلها لا تمكنـه من ذلك ، وخياله أيضا قاصر عن تصوره ، لانه لايتصور الا أشياء محسوسة ! •• وراح يلازم التفكيرفى ذلك «الموجود» ولكن الاشياء الحسية كانت تعترض تفـكيره •••• وظل يجاهد نفسه الى أن وصل الى حالة من التصوف والفناء فى الذات الالهية ، أحس معها بالسعادة الابدية ••!

٦ ــ «أسال» •• و «سلامان» !

◆ ذكروا أن جزيرة قريبة من الجـزيرة التى عاش فيها «حى بن يقظان » ، انتقلت اليها ملة من الملل الصحيحة التى أخذت تعاليمهاعن بعض الانبياء المتقدمين ، وانتشرت فى الجزيرة، فاعتنقها ملكها وحمل الناس عليها ••

وكان قد نشأ بتلك الجزيرة فتيان من أهل الفضل يسمى أحدهما «أسال» والآخر «سلامان» • فدخلا فى هـــذه الملة وراحا يتفقهان فيها • غير أن « أسال » مال الى العزلة ، ومال «سلامان» الى الجماعة •

وكان أسال قد سمع عن الجـزيرة التى ذكر أن حى بن

يقظان تكون بها ، وعرف ما بها من الخصب والهواء المعتـــدل ، فأجمع أمره على أن يرتحل اليها ويعتزل الناس بها بقية عمره .. فودع صاحبه سلامان وركب متن البحر ، فحمله الملاحون الى تلك الجزيرة ، فبقى أسال بها يعبد الله ويعظمه ويفكر فيه ، واذا احتاج الى الغذاء تناول من ثمرات تلك الجزيرة وصيدها ..

◆ وكان « حى بن يقظان » فى تلك المدة شديد الاستغراق فى مقاماته ، فكان لا يخرج من مغارته الا مرة فى الاســـبوع لتناول بعض الغذاء ! .. **واتفق فى بعض تلك الاوقات أن وقع بصر كل من « أسال » و « حى بن يقظان » على الآخـر ، فكانت دهشة « حى بن يقظان » عظيمة ، لانه لم يره عـلى صورة شىء مما رآه فى الجزيرة . أما أسال فولى هاربا منه خيفة أن يشغله عن حاله ، فاقتفى حى بن يقظان أثره .. فلما رآه يشتد فى الهرب توارى عنه فلم يره أسال ، واطمأن فراح يصـــلى ويدعو ويقرأ . وفى هذه الاثناء كان « حى بن يقظان » قد دنا منه وسمع صوته فزاد عجبه ، لانه لم يألف صـــوتا مثله فى جزيرته !** وما أن أحس به أسال حتى أمعن فى العدو ، واشتد « حى بن يقظان » فى أثره حتى لحق به ، وقبض عليه ! ... فذعر منه أسال ذعرا شديدا ، وجعل يستعطفه بكلام لا يفهمه « حى بن يقظان » ، ولكنه كان يحاول ايناسه بأصوات حيوانية سبق أن تعلمها . ولكن « أسال » لم يفهمه ، رغم اجادته أكثر اللغات .

◆ وكان مع أسال بقية من طعام جلبه معه من جـزيرته ، فقربه الى « حى بن يقظان » فلم يعرفه ، لكنه عنـــدما ذاقه استطابه . والتزم حى بن يقظان صحبة أسال ، الذى طلب أن يعلمه الكلام والعلم والدين ، فكان يشير الى الاشياء وينطـق

بأسمائها ويحمله على النطق مثله ، حتى علمه الاسماء كلهـا وجعله يتكلم فى أقرب مدة !٠٠ وحين سأله أسال عن شـأنه لم يكن « حى بن يقظان » يدرى من أمر نشأته شيئا ، وانماقص عليه قصة الظبية ، ثم عرفه بمقامه الذى وصـل اليه بطريق التصوف ٠ فنظر اليه أسال بعين التعظيم واقتدى به ٠

وسأله «حى بن يقظان» بدوره عن قصته وعن أصول ملته وفرائضها ٠٠٠ الخ ، فعلمه أسال كل ماحصـل من معرفة ، وقص له قصة أهل جزيرته ، فتملك « حى بن يقظان » شـوق ملح الى رؤيتهم ومحاولة اصلاح فسادهم ٠ ولماعزما على الذهاب الى الجزيرة سارا بحذاء الشاطىء ، ودفع الموج اليهمابسفينة ، فحملهما ركابها الى الجزيرة الاخرى ٠ وكان «سلامان» قدصار كبير هذه الجزيرة ٠٠ فشرع «حى بن يقظان» يعلم الناس أسرار الحكمة ، فأتاهم بخلاف مايعتقدون ٠٠ فاشمأزت نفوسهم منه وسخطوا عليه ! وعبثا حاول أن يجتذبهم الى طريقه ، أو أن يصرفهم عماهم فيه ٠ فلما تبين له فشله ، ذهب الى سـلامان وأصحابه واعتذر لهم هو وأسال ، وودعاهم ، وقفلا راجعين الى جزيرتهما !٠٠

وهناك عبدا الله ، حتى أتاهما اليقين ٠

قصة روبنسن كروزو

والآن ، وقد كونت ايها القارىء فكرة كافية عن القصـة العربية التى ابتدعها خيال بن طفيل ، فانك مشوق ولا ريب الى تكوين فكرة مماثلة عن القصة الانجليزية التى استوحاها مؤلفها من «حى بن يقظان» ، وهى قصة «روبنسن كروزو»

◆ وقبل أن الخص لك القصة يحسن ان اعرفك اولا بمؤلفها .. انه يدعى

«دانييل ديفو» ، ولد فى لندن حوالى عام ١٦٦٠ .. وحين بدأ حياته العملية اشتغل بالتأليف والصحافة ، فكتب فى السياسة والتاريخ والتجارة ، والسحر ، والرؤى والدين ، والفن ، والتراجم .. ثم قام بسبعة عشر رحلة فى انحاء انجلترا حولها كلها الى كتب شائقة . وبالاختصار فانه اشتغل : دبلوماسيا ، وتاجر خردوات ، وجاسوسا ، وصانع طوب ، وعضوا فى جمعية القصابين .. وكان يخشاه الوزراء ويطارده الدائنون والمحضرون .. ومعنى هذا انه كان نزيها ! .. ورغم انه ألف مائتين وخمسين كتابا ، وجمع ثروات طائلة ، فانه اضاعها كلها ومات - فى ٢٦ ابريل سنة ١٧٣١ - فقيرا مفلسا ، بلا صديق !

◆ وقصة «روبنسن كروزو» لا يستفيد من قراءتها الاحداث وحدهم ، بل الكبار أولا !.. فهى تحوى - على حد تعبير الناقد «فردريك هاريسون» - مزيدا من الفلسفة ، ومزيدا من الدين ، ومن علم النفس ، والاقتصاد السياسى ، والتاريخ الطبيعى .. الخ - على ان سحر القصة الحقيقى انما يكمن فى شعورك وانت تقرؤها بانها لا يمكن ان تكون الا مغامرة حقيقية وقعت لراويها فعلا ..!

وقد كتب ديفو «روبنسن كروزو» وهو فى الثامنة والخمسين ، فظهر الجزء الاول منها سنة ١٧١٩ وحظى برواج هائل ، ثم الثانى فى اواخر العام نفسه ، فالثالث فى العام التالى .. ثم نشرت مسلسلة فى احدى الصحف ، فكانت اول قصة فى العالم تنشر على هذه الصورة .. وفيما يلى خلاصة موجزة لها على لسان بطلها وراويها :

القصـــة ..

◆ ولدت فى مدينة «يورك» من اسرة طيبة ، وكان والدى المانيا من «بريمن» ، اعتزل اعماله واستوطن انجلترا .. وقد كفل لى قسطا كبيرا من

التعليم وأعدنى لدراسة القانون ، لكنى كنت ميالا بطبعى الى ركوب البحر والسياحة حول العالم .. ولم تستطع قوة ما ان تجعلنى اطلق هوايتى وأعدل عن مطامعى .. واخيرا - فى اول سبتمبر سنة ١٦٥١ - تركت بيت ابى والتحقت بسفينة كانت متجهة الى لندن .. لكن عاصفة عاتية لم تلبث ان اغرقت السفينة ، لسوء حظى ، فنجونا منها بمعجزة .. فى آخر لحظة !

ورغم ذلك فانى لم أرهب البحر ، فعدت والتحقت بسفينة اخرى كانت تبحر بين انجلترا وساحل «غينيا» الافريقى ، واخذت معى بضائع ودمى للاطفال بمبلغ اربعين جنيها، فعدت من رحلتى بربح بلغ ثلاثمائة جنيه. وشجعنى ذلك على معاودة الكرة ، لكننا فى هذه المرة وقعنا أسرى فى يد قرصان مراكشى باعنا فى بلاده كعبيد ! .. وكان من حسن حظى ان السيد الذى اشترانى أتاح لى قدرا من الحرية ، فانتهزت الفرصة ولذت ذات يوم بالفرار فى قارب صيد .. وبعد نحو عشرة أيام التقطتنى سفينة برتغالية كانت متجهة الى البرازيل. وحين وصلنا أوصى القبطان بى احد كبار زراع قصب السكر ، فالحقنى بزراعته .. ولم ألبث أن اتخذت قطعة ارض زرعتها مستقلا ، فربحت ارباحا طائلة .. وكانت الظروف كلها تبشرنى بمستقبل سعيد ، لولا ان القدر كان يهيء لى مصيرا تعسا !

سيد الجزيرة !

◆ فقد عرض على بعض جيرانى ان ابحر بسفينتهم الى «غينيا» لجلب شحنة من العبيد للعمل فى الزراعة ، فنسيت كافة الاخطار وقبلت الفكرة متحمسا .. وابحرت بالسفينة فى أول سبتمبر سنة ١٦٥٩ .. وبعد اثنى عشر يوما عبرنا خط الاستواء ، فهبت علينا عاصفة مدمرة جرفتنا بعيدا عن هدفنا .. ثم اصطدمت السفينة بشاطىء رملى ، فلم ينج من ركابها الخمسة عشر .. سواى !

ووجدتنى وحيدا على سطح جزيرة غير ماهولة ، الا من الوحوش المفترسة! .. وكان من لطف الاقدار بى انى استطعت انقاذ كل ما كان فى السفينة من مؤونة وطعام وذخيرة ، فحملتها الى الجزيرة بصناديقها ، قطعة قطعة ، خلال الاربعة عشر يوما التى بقيتها السفينة قبل ان تغوص نهائيا فى الماء !

وكان من بين ما انقــذته كلبى المخلص ، وقطتين .. ثم اصطدت ببغاء علمتها الكلام ، فصارت تضحكنى كلما هتفت : « روبن .. مسكين روبنسـن كروزو ! » .. وحين « استقر » بى المقام ، اقمت لنفسى «مسكنا» فى تجويف مغارة تقع فى سفح احدى التلال ، ثم شيدت فى مدخلها سورا عاليا من العصى الغليظة ، يحمينى من الوحوش الكاسرة ..

وذات يوم نفضت امام باب المسكن - دون قصد - حقيبة كانت تحـوى كميــة من بذور الارز والحنطة ، ثم هطلت الامطار ، فلم يمض شــهر حتى فوجئت برؤية عيدان الارز والحنطة تنبت من الارض !

الحاجة أم الاختراع !

◆ ثم يمضى «روبنسن كروزو» فى سرد قصته ، مفصلا كيف سخر كـل قوى جسمه وعقله ونفسه لجعل بقائه فى الجزيرة المهجورة ، بمفرده ، أمرا ممكنا .. وكيف صنع لنفسه منضدة ومقعدا من الخشب ، وعددا من الرفوف ، ثم جدل سلالا من الخوص .. وكيف احتال بشتى الطرق ليطحن الحنطة ، ويعجن الدقيق ، ويخبزه - بعد ان صنع لهذا الغرض فرنا ! .. وكان قد اتخذ من جلود الماعز لباسا له ، وغطاء للراس ، ومظلة تحميه من الشمس والامطــار !

وذات يوم ، ادهشه - وافزعه - أن يرى على رمال الشاطىء المبتلة آثار قدم آدمية ، وان تكن اكبر من قدمه هو .. فهرع عائدا الى مغارتـه ليتحصن ضد هذا «العدو المجهول» ! .. وفى الغد بادر الى زرع سور حصين آخر من الاشجار التى لم تلبث أن اخفت مغارته عن الانظار .. وبعد نحو عامين آخرين ، لمح خمسة زوارق ترسو على الشاطىء ، ويهبط منها ثلاثون رجلا

من المتوحشين احاطوا باحدهم واخذوا يرقصون حوله رقصة الموت ! .. وحين حاول المسكين الفرار طارده ثلاثة منهم .. واذ ذاك صرعهم روبنسن كروزو ببندقيته ، واتخذ من الهارب صديقا له . وكان هذا اقرب الى الحيوان منه الى الانسان ، فبدأ كروزو يعلمه الكلام شيئا فشيئا ، واطلق عليه اسم «فرايداى» - جمعة - لانه انقذه يوم جمعة ! وعـاش فرايداى مخلصا لمنقذه كالكلب الامين .

الخـــلاص .. !

◆وذات يوم - وكان قد انقضى على مقام روبنسن كروزو فى الجزيرة سبعة وعشرون عاما ! - جاءه فرايداى يلهث مذعورا ويقول انه راى ثلاثة زوارق ترسو على الشاطىء ! .. كان المسكين يخشى ان يكون المتوحشون قد جاءوا للبحث عنه والتهام لحمه ! فطمانه كروزو ، وتسلل معه الى قرب الشاطىء ، حيث كان واحد وعشرون متوحشا يقيمون وليمة لافتراس ثلاثة من الضحايا ! .. ففاجاهم الاثنان برصاصهم المنهمر فقتلوا منهم ثمانية وفر الباقون ، تاركين اثنين من اسراهم على قيد الحياة . وكان احدهما اسبانيا ، اما الثانى فقد وجد فيه فرايداى - لفرط دهشته - اباه !

وبعد أن عاش الاربعة سويا نحو سبعة اشهر ، صادف ان رست على الشاطى سفينة انجليزية كان بحارتها قد تمردوا ضد قبطانها فاوثقوه واثنين من مناصريه والقوا بهم على شاطىء الجزيرة المهجورة ثم تاهبوا للرحيل بدونهم ! .. ووجد كروزو فى هذه الفرصة أمله المنشود ، فسلح القبطان وصاحبيه وهاجم جميعهم البحارة الاشرار فقتلوا زعيميهم واخضعوا الباقين !.. وادرك هؤلاء ان مصيرهم عند وصولهم الى انجلترا لن يكون سوى الشنق ، عقابا لهم على تمردهم ، فآثروا البقاء فى الجزيرة .. بينما ركب روبنسن كروزو وصحبه السفينة ، فى التاسع عشر من ديسمبر سنة ١٦٨٦ ، بعد ان عاش فى الجزيرة ثمانية وعشرين عاما ، فوصل الى انجلترا يوم ١١ يوليو من العام التالى .. وبذلك تنتهى قصة روبنسن كروزو .

والآن ، وقد قارنت ايها القارىء العزيز بين فكرتى القصتين : العربية والانجليزية .. أفلا ترى معى أن الاولى أروع .. واعمق !؟

قد تكون
أنت السعيد
فتربح
٥٠٠٠
جنيه
ب ٢٥ قرشا فقط
ثمن تذكرة من سباق معاشات الصحفيين
السحب يوم السبت ١٢ يوليو
بدار نقابة الصحفيين بالقاهرة
السباق يوم الأحد ١٢ يوليو
بميدان اسبورتنج بالاسكندرية
فبادروا بشراء تذاكركم من
باعة اليانصيب ومكاتب البريد

الحياة قصة

روائع القصص العالمي

عزيزي القارىء ...

فى الاعداد السابقة من ((كتابى)) قدمت لك فى هذا الباب على التوالى قصص : ((اموك)) او (غرام تحت سماء الشرق) لستيفان زفايج .. و((شجرة التفاح)) او (قلب عذراء) لجون جالزورثى .. ثم ((مرتفعات وذرنج)) لاميلى برونتى .. و((التلميذ)) أو (عندما يصل الشباب) لبول بورجيه ..

واليوم اقدم لك القصة التى رفعت مؤلفها ((فيكتور هوجو)) الى قمة المجد وهى ((احدب نوتردام))

وفى الاعداد التالية ستقرأ فى هذا الباب من كتابى بعون الله أروع ما كتب اساطين القصة العالمية المحدثين ، الى جانب مجموعة منتقاة من القصص (الكلاسيكية) الخالدة التى طالما سمعت عنها دون ان تتاح لك فرصة قراءتها من قبل ، ومنها : جريمة حب (بول بورجيه) ، جين اير (شارلوت برونتى) اوليفر تويست (تشارلس ديكنز) ، ايفانهو (والتر سكوت) ، صورة دوريان جراى (اوسكار وايلد) ، سافو (الفونس دوديه) البؤساء (فيكتور هوجو) غادة الكاميليا (ديماس) مانون ليسكو (بريفو) مدام بوفارى (فلوبير) نانا (اميل زولا) تاييس (اناتول فرانس) الجريمة والعقاب (دستوفسكى) الحرب والسلم (تولستوى) .. الخ

NOTRE DAME
DE PARIS
par
VICTOR HUGO
أحدب
نوتردام
القصة الخالدة
لفيكتور هوجو

المؤلف

(١٨٠٢ - ١٨٨٥)

◆ لعلك لست فى حاجة الى ان أزيدك تعريفا بمؤلف هذه القصة العالمية الخالدة ، فلقد عرفت الكثير عن ((فيكتور هوجو)) من كتاب زوج حفيدته ((ليون دوديه)) الذى قدمته لك مسلسلا فى الباب الاخير من ((كتابى)) .. وانما حسبى أن أضيف هنا الخطوط الرئيسية فى حياة هوجو : فقد ولد يوم ٢٦ فبراير سنة ١٨٠٢ فى ((بيزانسون)) ، من اب كان ((جنرالا)) فى الجيش الفرنسى .. وكتب عمله الادبى الاول - وكان مأساة تمثيلية - وهو بعد فى الرابعة عشرة .. وفى سن العشرين اجرى عليه الملك لويس الثامن عشر راتبا شهريا تشجيعا له على مواصلة تفرغه للادب .. وفى سن التاسعة والثلاثين انتخب عضوا فى الاكاديمية الفرنسية ، وبعد أربعة أعوام بات معدوداً أشهر كاتب فرنسى على الاطلاق ! .. وزادته آراؤه الجمهورية شهرة بعد ثورة ١٨٤٨ ، لكنها ادت الى نفيه بامر من نابليون الثالث عام ١٨٥١ .. فعاش فى منفاه بجزيرة ((جرسى)) حتى ١٨٧١ ، حين سقط الامبراطور على أثر هزيمة فرنسا فى الحرب السبعينية ، فعاد المنفى الى وطنه ليتربع فوق عرش الادب الفرنسى ، وفى قلوب الفرنسيين قاطبة ، ملكا غير متوج ! .. حتى مات فى باريس يوم ٢٢ مايو سنة ١٨٨٥ .

◆ وقد أصدر هوجو قصته هذه ((احدب نوتردام)) وهو فى التاسعة والعشرين ، فاحتل بها على الفور مكانة ((والتر سكوت)) ملك القصص ((التاريخية)) فى انجلترا .. بل انها نالت من النجاح فى تلك البلاد اكثر من أية قصة فرنسية اخرى بغير استثناء !

١ - كاريمودو

◆ منذ ساعة مبكرة من صباح يوم ٦ يناير سنة ١٤٨٢ ، استيقظت باريس بأسرها وهى أشبه بخلية النحل ، وقد ازدحمت شوارعها بالجماهير الدائبة الهرج والمرج ! .. كان اليوم عيدا مزدوجا ، فقد صادف أن اجتمع فيه عيدان : « عيد الغطاس » - الذى كان يعرف باسم عيد الملوك - وعيد

«وليمة الاغبياء» •• وكان أهل باريس يتلهفون شوقا الى الاستمتاع ببرنامج اللهو فى تينك العيدين ، وكان مقررا أن يشتمل على تمثيل مسرحية شائقة من مسرحيات الغموض والخفاء ، فى «قصرالعدالة» ، يعقبها انتخاب «بابا الاغبياء» ـ أوملك المغفلين !

وكان «المسرح» الذى أنشىء لتمثل عليه الرواية عبارة عن منصة كبرى من الخشب نصبت فوق عدد من المناضد الرخامية صنفت في أقصى القاعة الكبرى بذلك القصر • أما «الغرفة» التى أعدت ليبدل الممثلون فيها ثيابهم ، فلم تكن غير الفراغ الذى يتخلل المناضد ، تحت المنصة ! وقد غطيت واجهته ببضع سجاجيد ، وانتقل الممثلون منه الى المسرح وبالعكس بواسطة سلم خشبية عادية أسندت الى الجدار فى مواجهة النظارة !

◆ ومنذ ازدحمت القاعة بالجماهير ، قبيل موعد التمثيل بساعات ، أخذ هؤلاء يتسلون بتبادل النكات ، والغناء ، والصياح •• وحين دقت الساعة الثانية عشر أخلد الجميع للصمت ، انتظارا لبدء التمثيل •• ثم تبين أن سفراء الهيئات الدينية الذين قدموا الى باريس خصيصا ليحتفلوا ببرنامج العيد الموضوع تحت رعايتهم ، لم يحضروا بعد !•• فلما انقضت الدقائق دون أن يبدو ماينبىء بقرب قدومهم بدأت الجماهير تضج وتعبر عن مللها واستنكارها بشتى الاساليب ، وبدت منها نذر التأهب لاستخدام العنف واللجوء الى التخريب والتدمير •• فأزيحت احدى سجاجيد غرفة الممثلين وبرز منها ممثل يرتدى زى الاله «جوبيتر» ، فاتكأ على منضدة رخامية وأعلن أن التمثيل سوف يبدأ بمجرد وصول غبطة «الكاردينال» •• لكنه لم يكد ينطق بعبارته حتى انطلقت صيحات الجماهير تهدد بالويل والثبور ان لم يبدأ التمثيل على الفور !••

وعندئذ برز من ظل أحد الاعمدة شاب وسيم الطلعة

تقدم من الممثل المذكور قائلا : « بل ابدأوا فورا ياجوبيتر ، وسأتكفل أنا بالاعتذار لكل من المحافظ والكردينال » .. كان المتكلم « بيير جرنجوار » مؤلف الرواية ، فبددت عبارته تردد الممثل ، وصاح بالنظارة من فوره : «أيها المواطنون ، سنبدأ التمثيل توا ! » .. واستقبلت بشراه بالتهليل وصيحات الترحيب الحارة ، التى لم تكد تتلاشى حتى صعد أربعة من الممثلين الى المنصة .. وبدأ التمثيل

◆ لكن الرواية كانت سخيفة مملة ، فسرعان ما انشغل النظارة عنها بتبادل النكات والاحاديث ، حتى بعد قدوم الكردينال والسفراء !.. ولم يمض ربع ساعة حتى وقف أحد أولئك السفراء وقال موجها كلامه الى الجماهير : « أرى أن يتوقف التمثيل عند هذا الحد ، ونمضى جميعا لانتخاب ملك المغفلين .. وأقترح أن تتبعوا فى انتخابه الطريقة التى ننتخبه بها فى بلادى ، حيث يباح لكل من المجتمعين أن يطل برأسه من فتحة أشبه بالنافذة ، فيقطب وجهه ويلوى سحنته ، والشخص الذى ينجح فى جعل وجهه يبدو أقبح الوجوه جميعا فى الخلقة ، يفوز باللقب ! »

ورحبت الجماهير بالفكرة فى حماس .. وتقرر أن يحتشد المتبارون فى غرفة الصلاة المجاورة للقاعة الكبرى .. ومن نافذة الغرفة المطلة على الصالة أخذ « المغفلون » يطلون برؤوسهم ويقطبون وجوههم للجماهير الضاحكة ، واحدا بعد الآخر .. وكانت الوجوه القبيحة من الكثرة بحيث تحير الناس فى اختيار أقبحها !.. ولكن فجأة علت ضجة تهليل وتصفيق مدوية معلنة اجماع الحاضرين على انتخاب الوجه الاخير !

كان وجها لم ير أحد من النظارة يوما وجها أقبح منه : الفم أشبه بحدوة الحصان ، والانف كالهرم المثلث الاضلاع .. واحدى العينين مدفونة تحت كيس هائل من الدهن ، والعين

الاخرى يظللها شعره الاصهب الذى فى لون الجزر !٠٠ والاسنان غير منتظمة ، وواحدة منها ناتئة كناب الفيـــل خارج شفتيه المترهلتين ٠٠!

◆ وحين ظهر جسم صاحب ذلك الوجه الكريه بلغ هــرج النظارة و «اعجابهم » أقصاه ، فانهالوا عليه «ضربا» على الكتفين وكدما فى الامعاء ، فقد كان ظهره ذا حدبة مروعة ، وسـاقاه ويداه وقدماه « آية » فى الضخامة والتشويه !٠٠ انه لم يكن غير «كازيمودو» قارع أجراس الكاتدرائية ٠٠ كازيمودو أحدب نوتردام ٠٠ كازيمودو ذى العين الواحدة والجسم المشوه !

وسرعان ماجلب المختصون للاحدب رداء «ملك المغفلين » التقليدى ، وتاجه المضحك المصنوع من الورق المقوى، فوضعوهما على رأسه وكتفيه ، ثم أجلسوه على محفة ملونة لم يلبث أن رفعها فوق أكتافهم اثناعشر ضابطا من « أصدقاء » المغفلين ٠٠ ثم خرج الموكب من قصر العدالة ليقوم بجولته التقليدية فى شوارع باريس ٠٠!

٢ ـ أزميرالدا

◆ لم تبق غير حفنة ضئيلة من المتفرجين فى القاعة الكبرى، تشاهد آخر محاولة يبذلها «جرنجوار» للمضى فى تمثيـــل مسرحيته الفاشلة ٠٠ وفجأة صاح أحـــدهم : «أزميرالدا !٠٠ أزميرالدا فى الميدان!» فهرع الجميع لـــيروا من تكون أزميرالدا هذه !

وتبددت آخر آمال جرنجوار ، فراح يسب ويلعن غباء الباريسيين ، واندفع بدوره الى الشارع يائسا ٠٠ وبعد أن مضى فى الطرقات على غير هدى فترة من الوقت ، انتهى الى ميـــدان «دى جريف» ، حيث لمح نارا مشتعلة تتوهج فى وسطه ، فاتجه نحو مصدرها ٠٠

كانت حلقة من الناس ملتفة حول النار ، ترقب بعيـــون

مشغوفة فتاة حسناء ترقص !٠٠ ولم يكد بصر جرنجوار يقع عليها بدورة حتى نسي همومه ٠ كانت سمراء البشرة ، رشيقة القوام ، رائعة التكوين ، تشع عيناها السوداوان نارا وهي تدور على عقبيها وذراعاها الرائعتان مرفوعتان فوق رأسها ٠٠ وكان واضحا من هيئتها ورقصها أنها ٠٠ غجرية !

◆ وبين مئات الوجوه التى كانت مصوبة نحوها كان ثمة وجه تفيض من عيني صاحبه نظرة شريرة !٠٠ نظـــرة تعبر عن مزيج من الشهوة المشبوبة ، والكراهية المشمئزة !٠٠ لم يكن صاحب ذلك الوجه يزيد فى السن عن الخامسة والثلاثين ، ورغم ذلك فقد كان أصلع الرأس ، تغضن جبينه التجاعيد ٠٠ ولم يكن رداؤه يبين بوضوح وسط الزحام ٠

وبعد حين توقفت الغجرية عن الرقص ، وانحنت تنادى عنزة صغيرة بيضاء كانت راقدة بالقرب منها ٠٠ فقفزت العنزة واقفة وأطاعت صاحبتها فبدأت تعرض حركات وألعابا ماكرة أثارت دهشة المتفرجين واعجابهم ٠٠ وفجأة انبعث صـــوت الرجل الاصلع يقول فى خشونة وفظاظة : «انها لواحدة من السحرة !» ٠٠ ورغم أن صيحته ضاعت وسط تهليــــــل الجماهير وتصفيقها فان الغجرية الحسناء قد ارتجفت لسـماع عبارته ٠٠ لكنها لم تلبث أن استدارت لتواصل رقصها ٠٠

◆ وبعد برهة سمع صوت امرأة تهتف من أحـــد أركان الميدان المظلمة : « هلا مضيت من هنا أيتها الحشرة الحقيرة ؟» ٠٠ وكان فى لهجتها غل وضغينة ، ثم أردفتها المرأة بصـيحات أخرى حافلة بالسباب الاشد نكرا ٠٠ وفى تلك اللحظات ظهر فى طرف الميدان موكب ملك المغفلين ، فنسيت الجماهـير كل ماعداه ٠٠ وكان كازيمودو متربعـــا فوق هامات رعاياه من الدهماء الذين يدينون له بالولاء ، بحكم لقبه الجديد ، وقد ارتسمت فى عينه نظرة زهو ومباهاة !

وحين مر موكب كازيمودو أمام البقعة التى وقف فيهـا

الرجل الاصلع ، شق هذا طريقه وسـط الزحام حتى بلغ الاحدب فاختطف من يده «صـولجانه» الخشبى المذهب ، رمز «ملكه» الجديد وسلطانه الذى قلدته اياه الجماهير !٠٠ وتعرف جرنجوار فى الرجل الاصلع على الاسقف «كلود فروللو» ٠٠ **أما المجتمعون فقد حبسوا أنفاسهم فى انتظار ماسيحدث من رد فعل لتلك الحركة المتحدية !٠٠ لقد توقعوا أن يروا الاحدب ذا القوة الجسمانية الخارقة يمزق الاسقف اربا اربا ٠٠ لكنهم ـ لدهشتهم ـ رأوه بدلا من أن يمزقه يخـر جاثيا أمامه على ركبتيه ، ويبقى على هذا الوضع ٠٠ والاسـقف ينتزع تاجه بدوره من على رأسه ، ثم يخلع عنه أخيرا رداء ملك المغفلين !**

وقد كان الضباط الاثنا عشر الذين حملوا الاحـدب خليقين أن يهاجموا الاسقف المعتدى محنقين ، لو لم يبـادر كازيمودو بمجرد وقوفه على قدميه الى بسط حمايتـه عـلى غريمه الذى «خلعه» عن عرشه ٠٠ ثم أفسح له مكانا ليمر بسلام وسط الزحام ٠٠ وحين ألقى اليه هـذا نظرة آمرة ، تبعه الاحدب وهو يصر على أسـنانه غيظا وكمدا ، كوحش حبيس !

٣ ـ محاولة اختطاف !

◆ راقب جرنجوار الرجلين وهما يختفيان فى شـارع جانبى ضيق ، ثم عاد يتطلع ببصره الى حيث ترك الراقصـة الغجرية ، فلما لمحها من بعيد انطلق يتبعها خلال الطرقات ٠٠ وكان الليل قد تقدم ، ولم يبق غير نفر قليـل من المارة فى الشوارع والازقة المتواضعة التى سلكتها الغجرية «أزميرالدا» وعنزتها ٠٠ وحين بلغت الفتاة منعطفا من الطريق استدارت اليه ، فغابت ـ مؤقتا ـ عن ناظرى الشاب الذى يتبعهـا : «جرنجوار» ٠٠ ولكن لم تمض لحظات حتى سمعها هـذا تطلق صرخة حادة ، فراح يعدو فى اتجاه مصدر الاستغاثة ، واذذاك

لمحها من بعيد تجاهد للتخلص من قبضة رجلين ٠٠ فلما اقترب منها عاجله أحد الرجلين ـ وقد عرف فيه كازيمودو ! ـ بضربة مروعة ألقته على الارض فاقد الوعى ٠٠ **وفيما كان الاحدب يتهيأ ليحمل الحسناء ويمضى بها ، ظهر من شارع جانبى فارس على ظهر جواد ، يتبعه نحو عشرة من الحراس المسلحين بالرماح ٠٠ فخلصوا أزميرالدا من قبضة خاطفها وألقوا القبض عليه ٠٠ بينما انسل مرافقه فى سكون الى حيث اختفى عن الانظار !**

والتفتت الفتاة الى منقذها تسأل عن اسمه ، فأجابها : «أنا الكابتن فيباس دى شاتوبير ، فى خدمتك يا آنسة » ٠٠ فأجابته شاكرة ٠٠ وفيماكان الضابط يهذب شاربه مزهوا ، انسلت الفتاة فى سكون واختفت فى الظلام !

◆ فلما أفاق جرنجوار من اغماءته كان الطريق خاليا موحشا ، فمضى على غير هدى يبحث عن مكان يقضى فيه ليلته ٠٠ حتى وجد نفسه أمام باب وكر من أوكار اللصوص والبغايا والقتلة ، يطلق عليه «كور دى ميراكل » ، وفوجىء بنفر من الاشرار يلقون القبض عليه ويقودونه الى زعيم عصابتهم ، الذى قرر أن يقتل الاسير شنقا مالم ينجح فى حمل واحدة من نساء الوكر على أن ترضى به زوجا لها !٠٠ لكن أكثرية هؤلاء النسوة أشحن عنه معرضات ، دون أن يعبأن حتى باعادة النظر اليه !٠٠ فتأهب الاشرار لوضع رأسه فى حبل المشنقة ، وفى هذه اللحظة صاح أحدهم : «أزميرالدا ! أزميرالدا !» فأدار جرنجوار عينيه ليرى فى مواجهته الراقصة الغجرية !٠٠ والتفتت هذه الى الزعيم تسأله : «هل تعتزم شنق هذا الفتى ؟»٠٠ فأجابها : « نعم يا أختاه ، مالم تكونى راغبة فى الزواج منه !»٠٠ فلوت أزميرالدا شفتها السفلى وقالت : «حسنا ، سآخذه ٠٠!»

لكن ليلة زفافهما كانت أبعد ماتكون عن ليالى الزفاف ٠٠

فحين حاول جرنجوار مغازلة «عروسه» كان ردها عليه أن استلت سكينا وهددته بالقتل اذا هو اقترب منها !٠٠ ثم نام كلاهما في مخدع منفصل ، ولم يظفر جرنجوار المسكين حتى بسرير ينام عليه ٠

٤ – الماضي البعيد ٠٠

◆ في الوقت الذي جرت فيه الوقائع السالفة ، كان الاحدب «كازيمودو» في العشرين من عمره ٠٠ وكان قد وجد في طفولته لقيطا فعرض على هذا الاعتبار في كنيسة نوتردام ، التي غدا الآن قارع أجراسها !٠٠ ويومئذ التفت النسوة العجائز حول مهده الذي وجد فيه – وكان عبارة عن « جوال» مهلهل – وبلغ من ذعرهن من قبح خلقته أنهن رجحن أن يكون من نسل «ابليس» ، ورأين أن خير مصير له هو أن يلقى على حزمة من الحطب ثم تشعل فيه النار !٠٠ وقد كاد هذا المصير يدركه فعلا يومئذ ، لولا تدخل أسقف شاب ٠٠ يدعى «كلود فروللو» !٠٠ فقد أزاح الاسقف النسوة العجائز جانبا ، وتقدم من اللقيط فبسط يده فوقه ونطق بهذه الكلمات : «انى أتبنى هذا الطفل !»٠٠ ثم لف اللقيط في عباءته ومضى به ٠٠ فدهشت النسوة من تصرفه ، وقالت احداهن : « ألم أقل لكن أن كلود فروللو يشتغل بالسحر ؟»

كان الاسقف رجلا غريب الاطوار ، تميزه عن زملائه الاساقفة الآخرين طلعته الصارمة ، ونظرته النافذة ، وتكريسه حياته لرسالته الدينية ٠٠ وقبل أن يتبنى كازيمودو المشوه كان همه الاوحد العناية باخيه الاصغر «جيهان» الذى تولاه برعايته منذ كان بدوره طفلا٠٠

وحين كبر كازيمودو علمه الاسقف الكلام ، والقراءة والكتابة ، ثم عينه قارعا لاجراس كاتدرائية نوتردام !٠٠ واذ فرض عليه تشويه خلقته أن يعيش بمعزل عن الناس ، فقد

صارت الكنيسة عالمه الأوحد ، وكان عرفانه لصنيع الاسقف الذى عينه فى هذا «المنصب» الخطير لايضارع ٠٠ لكن الدوى الرهيب لهذه الاجراس لم يلبث أن أصاب أذنى التعس بالصمم ، كأنما ليزيده عزلة عن الكون ومافيه ! ورغم ذلك فقد أنف أن يفهم رغبات سيده الاسقف بمجرد الاشارة ، ومن ثم صار هذا بالنسبة اليه المخلوق الوحيد الذى له به أى اتصال !

◆ أما الاسقف فكانت عواطفه كلها مركزة فى أخيه «جيهان» ، وان يكن أمله فيه قدخاب ٠٠ فان الفتى بدلا من أن يسلك مسلك أخيه فيكرس حياته للدين والدراسة ، صار ينفق أيامه ولياليه فى الحانات وأندية القمار فيبعثر فيها أمواله بلاحساب ، حتى ساءت سمعته وعرف بالخلاعة والمجون ٠٠ ولم تجد معه كل نصائح أخيه الاسقف وتهديده ووعيده ، فلما يئس هذا من اصلاحه انطوى على نفسه فصار ينزوى طيلة أوقاته فى مكتبته يستنفد مافيها من معارف لعلها تنسيه شقوته ٠٠ ومن هنا نبتت شائعة اشتغاله بالسحر ، ففى تلك الايام كان الانغماس فى العلم وممارسة السحر مترادفين فى عرف الجهلة والعوام !

٥ — الام المكلومة !

◆ على أثر اعتقال كازيمودو على يد الضابط « فيباس» وجنوده اقتيد الاحدب الى المحقق متهما باثارة الشغب أثناء الليل ، ومهاجمة امرأة عزلاء ، ومقاومة جنود حرس الملك !٠٠ فحكم عليه بالجلد بالسياط ووضعه فى آلة التعذيب الكائنة فى ميدان «دى جريف » ، حيث كانت ترقص أزميرالدا فى الليلة السابقة ٠٠ وحيث قاطعتها امرأة من المتفرجات صائحة من أحد أركان الميدان المعتمة فى حقد وضغينة باديتين : «هلا مضيت من هنا أيتها الحشرة الحقيرة ؟»

وقد كانت لتلك المرأة قصة :

كانت تدعى بالاخت «جودول» ، وكانت قد قضت ستة

عشر عاما سجينة زنزانة قريبة من آلة التعـذيب المقامة فى ميدان «دى جريف» . لكنها لم تدخـل تلك الزنزانة بحكم القانون ، وانما دخلتها طائعة مختارة !.. كانت فى شبابها رائعة الحسن ، فأنفقت أيامها فى اللهو والتهتك .. فلما بلغت العشرين هجرها أحد عشاقهـا ذات ليلة ، تاركا اياها وحيدة مع طفلتها الرضيعة ، فأسبغت عليها منذ تلك اللحظة كل عواطفها .. **وذات يوم ـ وكانت الطفلة تبلغ من العمر نحو عام ـ تركتها أمها نائمة فى مهدها وخرجت لبعض شأنها .. فلما عادت وجدت المهد خاليا من الطفلة ، ولم تعثر للصغيرة على أى أثر ، سوى فردة حذاء لها سقطت من قدمها أثنـاء اختطاف الأئمة المجرمون اياها !.. وكانت جماعة من الغجر الرجل ـ النور ـ قد شوهدت فى ضـواحى المكان فى ذلك الصباح ، ومن ثم ساد الاعتقاد بأنهم الذين سرقوا الطفلة !**

◆ وفى ساعة متأخرة من ذلك النهار ، بعد أن عادت الام المنكوبة من جولة عقيمة للبحث عن طفلتها ، وجدت طفـلا مخيفا مشوها ، أعرج الساق ، ذا عين واحدة ، يزحف عـلى أرض الحجرة .. فأزعجها أن تفجعها الاقدار فى فلذة كبـدها الجميلة على هذا النحو وترزقها بدلا منهـا بذلك المخلوق الشائه !.. وأدركت أن الامر انتقام الهى أنزله الله بهاعقابا لها على خطايا شبابها ، فحملت فردة حذاء طفلتهـا وقطعت الطريق الى باريس على قدميها .. وهناك سجنت نفسها فى زنزانة مدام رولاند بميدان «دى جريف» ، وعاشت منـذ ذلك التاريخ تقتات من بقايا الطعام التى يلقى بها اليها المحسنون وأهل الخير .. وقد أطلق الكل عليها «الاخت جودول» ، فى حين كان اسمها الحقيقى : «باكيت لاشانتفلورى»

أما اللقيط المشوه الذى تركته فى بيتها فقد صلى عليه كاهن البلدة ليخرج الشيطان من روحه ثم أرسله الى باريس ليعرض كلقيط فى كنيسة نوتردام !

٦ ـ برىء يتعذب !

✥ ولنعد الى العصر الذى بدأت فيه حوادث هذه القصة ٠٠ كانت الزنزانة التى حبست الأخت «جودول» نفسها فيها تقع على مرمى البصر من آلة التعذيب التى حكم على كازيمودو التعس بأن يأخذ قسطه من العقاب بواسطتها ٠٠ وكان الاصم المسكين يجهل الحكم الذى صدر ضده، وبالتالى المصير الرهيب الذى ينتظره، فترك نفسه يقيد الى عجلة آلة التعذيب دون احتجاج ٠ ولم يعرف ماسوف يصيبه الا حين لمح السوط الجلدى المجشو بالرصاص الذى تقرر أن يجلد به !٠٠ فلما انهالت ضربات السوط الاولى على ظهره المحدودب العارى جاهد عبثا كى يفلت من العقاب ، لكنه لم يلبث أن احتمل عذابه فى صمت واستسلام !٠٠ وجلد حتى سال دمه أنهارا على جسمه ، ثم وضع فى آلة التعذيب كي يبقى فيها لمدة ساعة يقاسى خلالها ـ الى جانب الآلام الجسدية ـ سخرية الجماهير المنحطة الخلق!٠٠ وفى نفس الميدان الذى سار فيه موكبه بالامس حين توج ملكا للمغفلين ، عرض كازيمودو التعس اليوم أمام أنظار الجموع الغادرة كى تتشفى فيه وهو يتعذب !

وبعد برهة رأى الاحدب أسقفا يعبر الميدان على ظهر بغلة ! فلم يكد بصره يقع عليه حتى أضاءت معالم وجهه الشائه وارتسم عليها تعبير سمح رقيق ، ينم عن الارتياح بل والفرح ، كأنما توقع المسكين أن يخلصه الاسقف من عذابه ٠٠ **لكن الاسقف لم يكد يتعرف على شخص المحكوم عليه ويتبين وجهه حتى لوى عنان بغلته وأسرع بالابتعاد !٠٠ وهكذا جوزى كازيمودو بالهجر ـ فى غير رحمة ـ من جانب المخلوق الوحيد الذى أحبه فى حياته ، والذى كان وحده السبب فى عذابه الحالى !٠٠ فقد كان الاسقف هو الذى أمره باقتناص الغجرية الحسناء أزميراندا فى الطريق فى الليلة السابقة ٠٠ وهو الذى رافقه أثناء اقدامه على المحاولة !**

٧ ـ عندما تغفر المرأة !

◆ ولم يكد الاسقف الجاحد يبتعد حتى أحس الاحدب التعس ـ الذى تحطمت الآن نفسه بعد أن تحطم من قبل جسمه ـ بنوبة ظمأ شديدة ، فأطلق صرخته الملتاعة : « ماء !.. ماء ! » .. فماكان من الجماهير القاسية الأن أجابت على توسلاته المثيرة للاشفاق بالقاء الاحجار والقاذورات عليه !

وبعد أن كرر كازيمودو صرخته لثالث مرة ، رأى حسناء تقترب من آلة التعذيب ، تتبعها عنزة .. فتبين فيها من فورد الفتاة التى حاول بالامس أن يختطفها ، لحساب الاسقف اللعين .. وأدرك لتوه أنها أقبلت لتتشفى وتمعن فيه ضربا وتحقيرا ، وهو المحروم من كل حول أوطول .. فالتمعت عيناه غيظا وحاول ـ عبثا ـ أن يتجنبها !.. **لكن المرأة بدلا من أن ترفع يدها عليه ، تناولت من جرابها وعاء مملوءا بالماء ، قدمته الى شفتيه المحترقتين !.. فانحدرت الدموع من عينى كازيمودو الحمراوين كالدم وهو يلتهم محتويات الوعاء فى نهم شديد ..!**

◆ على أن انتباه الجماهير لم يلبث أن تحول عن هذا المنظر المؤثر ليصغى الى عبارة تنضح بالمرارة ، انطلقت من الاخت «جودول» التى كانت ترقب كل شىء من زنزانتها !.. فان مرأى الراقصة الغجرية قد أثار كامن حفيظتها وحقدها ، فصاحت : «فلتلعنك السماء ياسليلة السحرة الآثمين ... فلتلعنك .. فلتلعنك !»

وفيما كانت أزميرالدا تهبط سلم آلة التعذيب ، كانت التائبة شبه المخبولة تواصل صيحاتها : « انزلى !.. انزلى .. ياسارقة الاطفال !.. سوف تصعدين الى هذه الآلة نفسها.. ذات يوم ! »

◆ وعاد كازيمودو الى نوتردام ليستأنف قرع الاجراس ، ولكن بحماسة تضاءلت كثيرا عن ذى قبل !.. فحتى اليوم الذى شد فيه الى آلة التعذيب لم يكن يفكر فى شىء سوى

كنيسته وأجراسه وسيدة الاسقف ٠٠ أما الآن فان ذهنه قدبات مثقلا بذكريات المخلوقة الملائكية التى كافأته على محاولته اختطافها ، باسعافه فى محنته !٠٠ هى دون الناس جميعا !

واحتل التفكير فى المخلوقة ذاتها ذهن الاسقف أيضا ، فصار دائم التفكير فيها خلال الساعات الطويلة التى كان يقضيها منفردا فى حجرة سرية بكنيسة نوتردام !٠٠ كان قد عرف بأمر الزواج «العذرى» الذى تم بين الفتى جرنجوار وبين أزميرالدا ، كما عرف أيضا ـ باستجوابه الماكر لذلك الفتى ـ ان أفكار الغجرية الحسناء وقلبها قد علقا بشخص يدعى «فيباس» ، وان لم يعرف عن هذا الـ «فيباس» أية معلومات أخرى خلاف اسمه !

◆ واستمرت أزميرالدا تعرض رقصاتها الغجرية فى الشوارع والميادين ، تصحبها عنزتها و «زوجها» جرينجوار ٠٠ وان بدا أنها وهذا الزوج شغوفان بالعنزة أكثر من شغفهما كل بصاحبه !٠٠ فقد كانت الرابطة الحقيقية التى تقيدهما أحدهما الى الآخر لاتزيد عن اضطرار أزميرالدا الى مراعاة المظاهر فيما يتصل بذلك الزواج ، وفاء منها بعهدها بشأن انقاذ حياته ٠٠ أما فيما يختص به هو فقد كانت ملازمته اياها منبعثها احتياجه الى المأوى والطعام اللذين تكفلهما له !

٨ ـ الاسقف العاشق !٠٠

◆ وانقضت أسابيع ، اتصلت خلالها أزميرالدا بذلك الضابط الذى أنقذها ، المدعو «فيباس» ، وقبلت آخر الامر أن تلقاه ذات ليلة فى أحد البيوت المريبة !٠٠ وكان من بين رفاق السوء الذين يعاقرون الخمر مع الضابط فى الحانات والمواخير ، شقيق الاسقف المدعو «جيهان» !٠٠ وقد قضى الصديقان بضع ساعات معا قبيل موعد لقاء الضابط بصاحبته الغجرية فى تلك الليلة ، وكان الاسقف قد تبع أخاه سرا الى

الحانة وسمع «فيباس» يبوح له بأمر الموعد والمكان اللذين سيلقى فيهما أزميرالدا !٠٠ فلما غادر الضابط الحانة تاركا صاحبه فيها مخمورا لايكاد يعى ، تبعه الاسقف الى المنزل المريب ٠٠ وهناك توصل بسلسلة من الحيل الماكرة الى التسلل الى غرفة ملاصقة لتلك التى يحتلها العاشقان !٠٠ **ولبث يرقبهما من خلال فتحة فى الباب وهما يتطارحان الغرام ، حتى أعمته الغيرة الجنونية آخر الامر فاقتحم المخدع على العاشقين وطعن الضابط طعنة وحشية سقطت الغجرية من هولها مغمى عليها !٠٠ فلما أفاقت وجدت نفسها محوطة بثلة من رجال الشرطة ، وكان حبيبها « فيباس » غارقا فى بركة من الدم ٠٠ أما الاسقف فلم يكن له من أثر !٠٠ كان قد فر من نافذة مطلة على النهر ٠٠!**

◆ وقدمت الراقصة الغجرية الى المحاكمة بتهمة قتل الضابط ، « بمساعدة الشيطان وأسقف وهمى ! »٠٠ ولم تعبأ المحكمة بكون الضابط المجنى عليه لم يمت ، وانما بدأ يتماثل للشفاء !

وأنكرت أزميرالدا فى البداية التهمة الموجهة اليها ٠٠ لكنها تحت ضغط أساليب التعذيب الوحشية التى اتبعت معها اضطرت فى النهاية الى الاعتراف ــ كذبا ! ــ بتهم السحر والشعوذة والقتل ٠٠ الخ ٠٠ فحكم عليها بأن تكفر عن ذنبها بالوقوف فى مكان أشبه «بقفص الاتهام » فى مدخل كنيسة نوتردام ، كى تتفرج عليها الجماهير وتتعظ بعبرتها ٠٠ وبعدئذ تساق الى ميدان «دى جريف» حيث تعلق فى حبل المشنقة ٠٠!

على أثر صدور الحكم ألقيت التعسة فى زنزانة مظلمة فى بدروم قصر العدالة ٠٠ واذا الحورية الحسناء التى كانت تمرح فى شوارع باريس وترمز للبهجة والحرية والنور ، ترسف الآن فى الاغلال فى كهف معتم كالقبر !

وقالوا لها ان حبيبها « فيباس » قد مات ، فلم تعد

تطلب لنفسها غير الموت !٠٠ وزارها الاسقف فى زنزانتها ، وباح لها بهواه ٠٠ بل اعترف لها بالدور الذى لعبه فى حادث محاولة اختطافها ، ثم فى حادث الاعتداء على فيباس ٠٠ ثم أضاف أنه على استعداد لان يمكنها من الفرار من سجنها - ومن الموت ! - اذا قبلت أن ترحل معه الى الريف !٠٠ لكنها رفضت هذا العرض فى اباء ، قائلة انها تؤثر الموت على أن يكون لها معه أى شأن ٠٠ فتركها الاسقف الى مصيرها وهو يحرق الارم غيظا !

٩ - المراودة ٠٠!

◆ وحل اليوم المرهوب ، المحدد لتنفيذ الحكم ، فاقتيدت أزميرالدا الى كنيسة نوتردام ، كى يتولى رجال الدين اعدادها روحيا للموت !٠٠ ولم يكن المنوط بهذا الإعداد غير صاحبنا الاسقف العاشق «كلود فروللو» !٠٠ وفيما هو يقوم بالمراسم الدينية المألوفة فى مثل هذه المناسبات لم يكف عن أن يهمس للفتاة بصوت خفيض مكررا توسلاته واستعطافه ، قائلا ان الفرصة ماتزال سانحة أمامه لانقاذها ٠٠ لكن رفضها كان حازما قاطعا ، شأنها فى المرة الاولى !

وفيما هى تساق الى الميدان الذى نصبت فيه المشنقة ، رفعت عينيها الى نافذة منزل حبيب الى قلبها ٠٠ وكم كانت فرحتها وذهولها حين رأت فى النافذة معشوقها فيباس ، بلحمه ودمه !٠٠ فصرخت مستنجدة به ، لكنه انسحب من فوره متواريا عن النافذة ، ومعه امرأة كانت واقفة الى جواره ٠٠ وعند هذا سقطت أزميرالدا مغشيا عليها !

◆ وكانت الجماهير المحتشدة حول كنيسة نوتردام مشغولة بمراقبة حركات الراقصة الغجرية وسكناتها ، فى ساعاتها الاخيرة ، فلم يتنبه فرد منها الى الاحدب كازيمودو وقد أطل من برج الاجراس ٠٠ ولالحظوا الحبل الذى دلاه من مكانه الى

الارض!٠٠ فلما أغمي على الغجرية أمسك كازيمودو بالحبل وانزلق عليه في مثل لمح البصر كما تنزلق قطرة المطر على لوح من الزجاج، وسرعان ماكان بجوار أزميرالدا، يسدد لكماته المخيفة الى حارسيها فيلقى بهما أرضا ثم يختطف المرأة ويقفز بها الى باب جانبى من أبواب الكنيسة وهو يصيح «المحراب !٠٠ المحراب!» ٠٠٠ فقد كان مجرد ولوجها محراب الكنيسة حائلا يقف بين سلطان القانون وبين أن يبلغها أو يمسها بسوء !

وحمل كازيمودو حمله اللطيف الى غرفة صغيرة فى أعلى برج الكنيسة ٠٠ وبعد أن أطعمها وقدم لها الفراش المريح قال لها : «ينبغى أن تلزمى هذه الحجرة خلال النهار فلاتبرحيها ٠٠ أمافى الليل فتستطيعين التجول فى أنحاء الكنيسة كما تشائين ، على أن لاتجاوزى بابها الخارجى قط ـ سواء فى الليل أوالنهار ـ والاقتلوك ، فتكون تلك نهايتى أنا الآخر !»

وفى نفس الليلة وجدت أزميرالدا عنزتها الحبيبة الى جوارها فى مخبأها ٠٠ لقد جلبها لها عاشقها المشوه المتفاني ، امعانا فى اسعادها !

١٠ ـ المؤامرة ٠٠!

◆ وأدرك الاسقف المحنق أن الاحدب لن يكف عن العناية بأمر أزميرالدا مابقيت داخل جدران الكنيسة ، فراح يدبر الحيل لاخراجها من مخبأها الآن بأية طريقة !٠٠ ومن ثم

إتصل بـ «زوجها» جرنجوار ، وخدع الشاعر الغرير زاعما له ان سلامة زوجته تقتضى اخراجها من الكاتدرائيـــــة بأسرع مايستطاع !٠٠ ثم سأله أن يفكر فى وسيلة لاخراجها منها ٠٠ وبعد نقاش وجدل طويلين ، قبل الشاب أن يتولى اقناع عصابة الاشرار التى تقيم فى وكر « كور دى ميراكل » ، بأن يهاجموا الكاتدرائية و«يحرروا» الراقصة الغجرية من «سجنها» !

◆ وفى الليلة التالية ، فيما كان كازيمودو مطلا من نافذة برجه ، لمح جمعا هائلا من الناس مقبلا نحو الكنيسة ٠٠ كان ذلك جيش الاشرار !٠٠ وسرعان مابلغ هؤلاء أبواب «نوتردام»، فشرعوا من فورهم فى مهاجمتها بكافة الادوات والاسلحة التى فى متناولهم ٠٠ ولكن قبل أن يتمكنوا من احداث أية ثغـــرة فى أسوارها ألقى عليهم الاحدب كتلة ضخمة من الخشب سقطت وسطهم فقتلت أكثر من عشرة منهم !

لكن العدوان بدلا من أن يخيفهم أثارثائرة حنقهم وعنادهم فنسوا قتلاهم وتناولوا الكتلة الثقيلة فاتخذوها أداة يهاجمون بها باب الكاتدرائية بكل قواهم !٠٠ واذ ذاك عاد كازيمودو يلقى على رؤوسهم وابلا من الاحجار الضخمة التى تركهـــا البناءون على سطح البرج أثناء قيامهم باصلاحه منـــذ عهـد قريب ٠٠ وأحدثت الاحجار بالمهاجمين اصابات رهيبة ، لكنهم كانوا من الكثرة والامعان فى الشر بحيث لم يكن واحـــد منهم يسقط صريعا حتى يأخذ مكانه الآخر !٠٠

وأوشكت ذخيرة كازيمودو أن تنفد ، لكن عزيمته لم تهن أوتتراخ ٠٠ فبدأ يوقد شعلات من النار فىمزاريب البرج المعدة لتصريف مياه الامطار ، والمبطنة بالرصـــــاص ٠٠ فلم تمض دقائق حتى تدفق الرصاص المصهور على المهاجمين فى فيضان مروع !

◆ ولكن ، لم يلبث أن وصل الى أبواب الكنيسة ذلك الفتى الماجن «جيهان» ، شقيق الاسقف ، وقد حمل معه سلما عالية

أسندها الى جدار الكاتدرائية وصعد عليها هو ورفاقه ، آملين أن يستطيعوا القفز من أعلاها الى أحد أروقة الكنيسة ، علـى ارتفاع ثمانين قدما ٠٠ ولكن لم يكد جيهان يضع قدميه داخل الرواق ، قبـــل أن تتسع الفرصة لزميله التالى له كى يحذو حذوه ، حتى كان الاحدب قد خف الى الرواق ٠٠ وبكل قواه دفع السلم بمن عليها الى الوراء ، فسقطت بمتسلقيها جميعـا فوق رؤوس اخوانهم المحتشدين فى أسفل ، فقتل من هؤلاء من قتل ٠٠ ومات المتسلقون عن آخرهم !٠٠ ثم استدار كازيمودو الى «جيهان» فرفعه بين يديه كما يحمل طفلا وطـوح به بكل قوته الى الهاوية !

١١ ـ الاختطاف ٠٠!

◆ فى هذه الاثناء كان رجال الحـــرس الملكى ـ بقيـادة الضابط «فيباس» ـ قد وصلوا الى مكان الشغب ، فى اللحظة التى كان فيها الاشرار يتأهبون لنصب سلالم أخرى يتسلقونها الى البرج ٠٠ ففاجأهم الجنـــود من الخلف واعتقلوا زعماءهم وشتتوا شمل الباقين !٠٠ فلما أيقن كازيمودو من فشـــل الهجوم ، اندفع صوب مخبأ أزميرالدا كى يطمئنها على سلامتها ٠٠ لكنه حين دخل الغرفة ألفاها خالية !٠٠ ففيما كانت المعـركة محتدمة على أشدها تسلل جرنجوار والاسقف الى داخـــل الكنيسة من باب سرى لايمكن ولوجه الا من ناحية النهـر ٠ وكان الاسقف متنكرا بحيث لم تتعرف أزميرالدا عليـــه لاول وهلة حين دخل عليهـــا ٠٠ **فلما كشف عن شخصيته ذعرت المسكينة !٠٠ ومرة أخرى باح لها الشرير بحبـــه واعدا اياها بانقاذها اذا قبلت أن تكون له ٠٠ لكنها أصرت على الرفض !٠٠ فماكان منه الأن اقتادها عنوة الى الخارج ومضى بها الى ميدان «دى جريف» حيث سلمها الى الاخت «جودول» فى زنزانتها ، صائحا بها : « جودول ! اليك الساحرة التى تمقتينهـــا !٠٠**

احتفظى بها حتى أستدعى رجال الشرطة !»

◆ وأطاعته الشمطاء التعسـة ٠٠ وفيما هى تحتفظ برهينتها أخذت تثرثر لها بقصة أحزانها ومأساة فقدها ابنتها التى اختطفها الغجر فى طفولتها ٠٠ ثم عرضت عليهـا فردة حذاء الطفلة التى أبقتها فى حوزتها منذ سـتة عشر عاما !٠٠ فلم تكد أزميرالدا تلمحها حتى أخرجت للمرأة من صدرهاكيسا صغيرا يحتوى على فردة الحذاء الاخرى !

وارتمت الام والابنة فى أحضان احداهما الاخرى باكيتين!

١٢ ــ الفجيعة !

لكن فرحتهما لم تطل أكثر من ثوان ٠٠ ريثما تذكرتا الاسقف الذى مضى لاستدعاء رجال الشرطة !٠٠ فانتابهمـا الذعر والفزع ، وفيماهما تفكران فى وسيلة للفرار ، وصـل الجنود ٠٠ ودار بين الفريقين صراع يائس ، قتلت أثناءه الام ٠٠ ثم اقتيدت الابنة الى المشنقة ، كى ينفذ فيها الحكم !

◆ أما الاسـقف فعلى أثر تسليمه أزميرالدا الى رجـال الشرطة عـاد الى حجرته فى الكاتدرائية كى يـراقب من نافذتها تنفيذ حكم الاعـدام فى ٠٠ معشوقته !

وفيما هو يتأمل جسـدها يتأرجح فى حبل المشـنقة ، وهو ما يزال يختلج بالحياة ، أقبل الاحدب من خلفـه ــ وقد أدرك الدور الذى قام به سيده، وغريمه ! ــ فرفعـه بين يديه

وطوح به الى الشارع ، حيث دق عنقه على الرصيف ، فمات لساعته !

◆ ولم يقع بصر أحد على «كازيمودو » منذ تلك الليلة !٠٠ ولكن حين فتح اللحد الذى أودع فيه جسد أزميرالدا ، بعد سنوات طويلة ، وجدت فيه بدل الجثة جثتان : احداهما لامرأة ٠٠ والاخرى لرجل ، أحدب !

ولما كانت عظمة عنقه قد وجدت سليمة تماما ، فقد ثبت بما لاسبيل الى الشك فيه انه لم يشنق ، بمعرفة سلطات العدالة !

واذن فلاريب أنه قد مضى باختياره الى القبر ، ورقد بجوار محبوبته ٠٠ حتى مات !

خلف النوافذ المغلقة

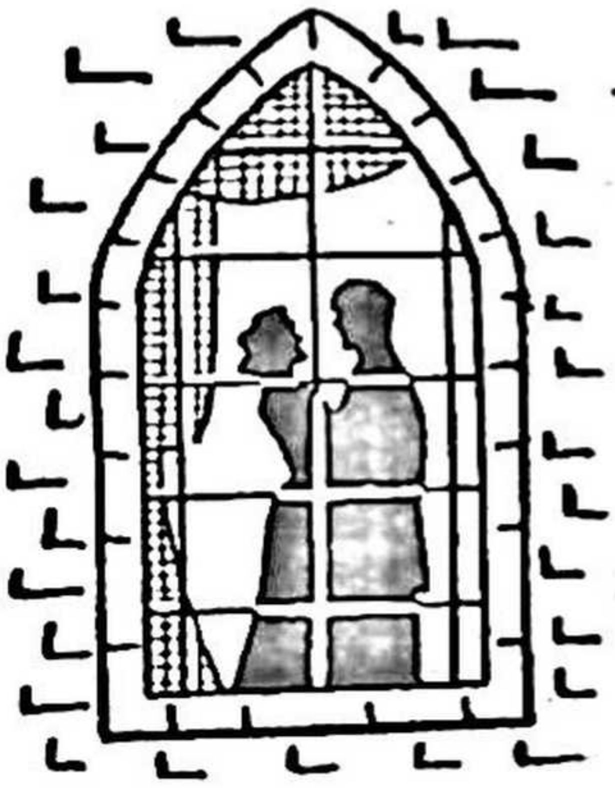

عباقرة الإنسانية

فى حياتهم الخاصة

عزيزى القارىء ...

قبل ان اقدم لك الفصل الجديد ـ ـ السابق للاخير ـ من هذا الكتاب الممتع عن ((فيكتور هوجو)) فى حياته الخاصة ، ألفت نظرك الى أنى قد اخترت لك فى هذا العدد قصتين من روائع هوجو الخالدة : احداهما مسرحيته ((لوكريشيا بورجيا)) التى كانت السبب فى تعرفه بمعشوقته ((جولييت)) بطلة هذا الكتاب (فقد مثلت فيها جولييت دور الاميرة نجرونى) .. والقصة الاخرى هى ((احدب نوتردام)) التى كتبها هوجو وهو صافى الذهن والقلب ، قبل أن يفجع فى شرفه ـ بخيانة زوجته له ـ ويفجع فى ابنته الكبرى ((ليوبولدين)) ، التى غرقت مع زوجها الشاب فى الاسبوع الاول من شهر العسل !

وفيما يلى موجز الفصول السابقة :

كان ((فيكتور هوجو)) فى زهرة شبابه، وقمة مجده الادبى ، حين اكتشف ذات يوم ان زوجته المحبوبة (أديل) ، التى تزوجته بعد علاقة حب دامت اعواما .. تخونه مع اعز صديق له : الناقد المشهور ، القبيح الخلقة ، سانت بوف ! .. فلما كاشفها زوجها بالامر ، بعد تردد طويل ، اتهمته بان خياناته المتكررة لها ، مع ممثلات المسرح وفتيات

(اقرأ البقية على صفحة ١٦٦)

ليون دوديه

مأساة قلب

قصة فيكتور هوجو في حياته الخاصة

(بقية المنشور على صفحة ١٦٤) .

الحوانيت ، هى المسؤولة عن انصراف قلبها عنه !

وتكررت المواقف الموجعة بين الزوجين ، حتى غدت الحياة بالنسبة لهما جحيما لا يطاق !.. وبدأت رائحة الفضيحة تفوح ، والناس يلوكون اسم الشاعر العظيم فى معرض الغمز واللمز .. حتى فكر هوجو فى الانتحار !

فى تلك الازمة النفسية القاسية التقى فيكتور هوجو ، يوم ٢ يناير سنة ١٨٣٢ ، بالممثلة الشابة «جوليبيت دروييه» اجمل نساء باريس فى ذلك الوقت ! ـ فتركها تقوده ذات ليلة الى مسكنها الانيق فى «بوليفار سان دونى» !

ونجحت هذه المرأة الساحرة فى تطهير نفسها من ادران ماضيها الملوث ، ورسمت لنفسها (رسالة) اخذت على عاتقها ان تضطلع بها : هى تيسير الحياة وتوفير وسائل الراحة للعبقرى الذى نكب فى زواجه وفى شرفه ، فاعدت له حجرة من مسكنها كى يزاول فيها انتاجه الادبى الخالد ، وجعلت من نفسها خليلته وخادمتــه فى آن واحد ، ملكتــه وجاريتــه ! فاستحوذت على جسمه وعقله معا !

وذات يوم اصيب هوجو بفجيعته الثانية : فقد ابنته الكبرى ، التى غرقت « عروسا » فى نهر السين !.. فعاش الاب المكتوم شهورا فريسة لاقسى الوان العذاب ووخز الضمير . أحس ان اهماله لبيته واولاده ، وانغماسه فى صلته بعشيقته ، هما المسؤولان عن هذه «العقوبة» التى نزلت به من السماء !.. فعاد الى بيته واسرته المكلومة ، ونبذ عشيقته !.. ولكن ، بمرور الايام ، عاد الشاعر الحائر سيرته الاولى .. واستردت

الغريمة الجديدة !

وقبيل الموعد الذى ضربته المرأة لهوجو فى رسالتها ، جلس الشاعر يتناول عشاءه فى انشراح ، وجولييت فى مواجهته ، شاردة بذهنها عنه !.. انها لا تستطيع ان تفكر فى غير غريمتها الجديدة «اديليد» ، وذراعيها الجميلتين وكتفيها !.. بل انها لترى بعين خيالها فيكتور وقد سقط فعلا بين تينك الذراعين !.. رباه ! ان ذراعيها هى ما تزالان بخير ، وبلا عيب .. كل ما تمتاز به عليها غريمتها انها تصغرها فى السن !

وكان هذا العذاب الجديد فوق طاقة احتمالها ، وهى لم تكد تشفى من اهوال غيرتها المروعة من غريمتها السابقة مدام دونيه !.. ترى هل كان تسامحها مع حبيبها فى الماضى ، واغضائها عن حماقاته ، هما المسؤولان عن هذه النتيجة ؟ .. لعله قد آن لها اذن ان تعدل سياستها معه ، وتلجأ الى الحزم والشــدة !

وفيما هو يمزق باسنانه فخذ الدجاجة الذى فى يده ، كانت الغيرة تمزق قلبها هى .. سيما حين قال لها :

جولييت سيطرتها على قلبه .. لكن حبه لها لم يكن يمنعه من مغامراته العابرة مع غيرها من النساء ، فضبط يوما مع زوجة حسناء تدعى «مدام دونيه » ، بعد أن أبلغ زوجها البوليس عن مكانهما !.. وكان هوجو يومئذ عضوا فى الاكاديمية الفرنسية ، ومجلس الشيوخ ، والجمعية التشريعية ، والمجلس الاعلى .. فأحدثت الفضيحة ضجة كبيرة فى الاوساط العليا ، كادت ترغمه على الاستقالة من كل تلك الهيئات !.. وانزوى الشاعر أياما فى بيت «جولييت» ـ التى كانت تجهل ما حدث ـ متعللا لها بحجة كاذبة ، مشفقا من أن يخرج الى الطريق فتتقاذفه من المارة عبارات التجريح . بل انه كف عن قراءة الصحف ، خشية أن يجد فيها اشارة خبيثة الى فضيحته ، التى أحس منها بمذلة قاسية لم يجرب مثلها من قبل !

فى تلك الاثناء كانت تختمر فى ذهن هوجو مطامع جديدة ، واحلام «سياسية» عريضة ، فانضم الى الجماعة التى كانت تناوىء حزب لويس نابليون ، فلما وقع فى فرنسا انقلاب سنة ١٨٥١ وتولى لويس نابليون مقاليد الامور باسم «نابليون الثالث» ، بادر الى تشتيت شمل المناوئين لـه ، فاضطر هوجو الى الفرار الى بلجيكا نجاة بحياته .. وبصحبته جولييت !

وفى المنفى ، كانت الاخيرة خير معينة للشاعر فى كفاحه السياسى ، وجهاده الادبى .. وذات يوم ، ضبطت فى جيبه اثناء نومه رسالة من زوجة حسناء لاحد رجال الصناعة البلجيكيين ، تدعى «اديليد» ، تعرب فيها عن اعجابها بهوجو .. وتضع نفسها تحت تصرفه ، فى فندق وموعد حددتهما فى رسالتها ! .. فبدأت جولييت تعد عدتها لضبط الواقعة !

والآن .. تستطيع أن تتابع القراءة :

ـ هل انت متعبة ؟ يحسن ان تأوى الى الفراش بمجرد تناولك القهوة.. لكنها تجاهلت قوله ، وهى تغالب حنقها ، وسألته بدورها :

ـ ترى هل تعتزم زوجتك واولادك زيارتك مرة أخرى ؟

ـ ربما .. وان كنت اجهل ما اذا كان سوف يسمح لى بالبقاء هنا طويلا، فهناك شائعة تقول اننى سأجبر على مغادرة بلجيكا فى القريب ، الى جزيرة « جرسى » !

ـ وهل ستأخذنى معك ؟

ـ وهل أستطيع العيش بعيدا عنك ؟ تعلمين مبلغ أهميتك بالنسبة لى !

ـ ربما كمدبرة لمنزلك ! .. وان كانت خادمتى سوزان تستطيع ان تأخذ مكانى فى هذه الوظيفة .. !

فتساءل هوجو ضاحكا : «وفى الوظيفة الاخرى أيضا ؟»

ـ سوف تجد على الدوام نساء كثيرات يملأن هذا الفراغ !

ـ وهل بوسعى الاستغناء عن حبك ياجولييت ؟ انك كل دنياى ..

◈ لكم كان يتقن الكذب ! .. انه وهو يفعل كان يرخى دائما اجفانه ، وقد ارخاها الان ! .. وقال وهو ينهض من المائدة بعد حين :

ـ سأخرج لاستنشاق بعض الهواء ..

ـ فى هذا الطقس ؟.. الشوارع غارقة فى الوحل !

ـ لا بأس .. انى بحاجة الى نزهة قصيرة

وطفح الكيل ، فلم تعرف جولييت صوتها وهى تتصدى لهوجو آخر الامر : «فيكتور !.. انك لن تذهب الى تلك المرأة «أديليد» ! لقد ضقت ذرعا بأكاذيبك وخياناتك .. لن ادعك تذهب !»

وراحت تتلو عليه فقرات من خطاب كتبه اليها ـ اثناء محنة فراره من فرنسا ـ يعترف فيه بفضلها عليه ، واعدا بان لا ينساه مدى الحياة !.. لكنه لم يكن مصغيا اليها . كان يفكر فى أديليد الفاتنة التى لن يلبث ان يمتع بصره من جسدها الشهى بعد لحظات ، والتى لا يعوقه عنها الان غير عناد عشيقتـــــه !

ـ فيكتور ، انك احمق .. انني احاول انقاذك من نزوات نفسك ، ومن تلك المرأة التى ارجح أنها جاسوسة مغامرة ! .. ان مدير البوليس قد اطلق عيونه لمراقبتك ، فاذا ذهبت اليها الليلة فسيضبطونك معها كما حدث تلك المرة مع مدام دونيه ، وستطرد من البلاد بتهمة سوء السلوك .. أتسمعنى يا فيكتور : سوء السلوك !؟.. كلا ، لن أسمح بحدوث ذلك قط .. انى انذرك : لئن خرجت الان ، فلن اتردد فى ابلاغ صاحب الفندق .. ولن تمنعنى قوة ما من احداث فضيحة !

◈ أدرك هوجو عبث مقاومته لثورتها ، فهم بالمضى الى غرفته يائسا ، كطفل أوقع به أهله عقابا ! .. لكن جولييت ما أن اطمأنت الى انتصارها حتى غيرت من مسلكها .. فانفجرت فجاة باكية ، تنشج من خلال دموعها : «ان كنت تريدها بهذا الشوق فاذهب اليها .. عسى أن تمنحك المتعة التى تشتهيها !.. لكنك ستتبين سريعا ان اديليد لا تقارن بجولييت !»

لم يع هوجو من كل ما حدث غير خيال واحد يراوده : سمراء فاتنة تحترق ظمأ اليه فى غرفتها بفندق ولنجتون ! .. أما يأس جولييت ولوعتها فلم يلق اليهما بالا .. وانما هرع من فوره الى «أديليد» التى عوضته جيدا ـ والحق يقال ـ عن كل المضايقات التى عاناها بسببها !.

من منفى الى منفى !

◈ولحق بهوجو فى منفاه ابنه الاكبر «شارل» ـ وكان قد كبر وبلغ مبلغ الشباب ـ مدفوعا الى مناصرة أبيه بدافع الاضطهاد الذى لاحقته به السلطات بسبب آرائه السياسية .. رغم ما كان هذا الابن ـ واخوه الاصغر فرنسوا ـ يكنانه لامهما من حب وتعلق . وكان الاثنان قد أسفا جد الاسف للصلة الآثمة

التي قامت بينها وبين سانت بوف ، وان لم يفاتح أحدهما أخاه فى امرها قط !..
وبقدر ماكان الفتى الاكبر « شارل » كسولا ، رغم مواهبه الادبية ، كان الاخر «فرنسوا» مجتهدا ميالا الى الدراسة والبحث ، حتى لقد عكف على ترجمة مسرحيات شكسبير ، وكان كثيرا مايتناقش فى صددها مع أبيه ..
ووصل الى علم السلطات البلجيكية ان هوجو يعتزم نشر كتاب بعنوان «نابليون الصغير» يهاجم فيه غريمه الامبراطور ، فطلبت اليه أن يغادر البلاد الى جزيرة « جرسى » حيث اتخذ له مقاما فى « مارين تيراس » مع أولاده وزوجته - التى لحقت به ، مراعاة للمظاهر !.. اما جولييت فقد اتخذت مسكنا قريبا فى « نياسون هول » ، حيث ألف عشيقها أن يزورها كل يوم بعد

هوجو يناقش ابنه فى الادب

الغداء .. وكثيرا ما كان ياخذ أولاده معه الى هناك، بل أنه حين ارهقه انصاره السياسيون - المنفيون مثله - بطلب المال منه كل حين ، صار يقيم لهم المآدب بين وقت وآخر فى بيت جولييت ، عوضا عن امدادهم بالاعانات المالية، جريا على المثل القائل : «اطعم الفم تستحى العين !»
لكن عيون هؤلاء لم تستح كثيرا فى واقع الامر ، فسرعان ما بدأ بعضهم يطلقون ألسنتهم عليه منددين بمسلكه الشائن واستهتاره الذى يملى عليه أن يترك زوجته بمفردها كل مساء ويصحب أولاده كى يتعشوا معه عند خليلته !
وهكذا لم يلبث شذوذ مركز هوجو ، الاجتماعى والخلقى ، أن بات أشبه بالغصة فى حلقه .. كما ان مضايقات انصاره المنفيين جعلت الحياة بالنسبة اليه والى عشيقته شبه مستحيلة فى الجزيرة ، فقرر أن يهجر «جرسى» الى جزيرة اخرى تدعى «جيرنسى» .. وواتته الحجة المبررة لذلك حين كتب أحدهم مقالا فى صحيفة محلية اعتبر اهانة للملكة فيكتوريا ، فاجبر كاتبه على مغادرة الجزيرة فورا ، ووجد هوجو من واجبه ان يدافع عن حرية الرأى ، فصدر اليه أمر مماثل بالرحيل .. وهكذا انتقل الشاعر المنفى الى «جيرنسى» فهبطها فى اليوم لاخير من اكتوبر سنة ١٨٥٥

انتقام النـذل !

◆ وهناك ، فى تلك الجزيرة الضائعة وسط البحر الصاخب ، تبلورت تجارب السنوات الثلاث والخمسون السابقة من حياة هوجو فى صورة ادب حى جرى به قلمه السيال على الورق .. فانتج خلال السنوات بين ١٨٥٣ و١٨٦٢ آلاف الصفحات من الشعر والنثر ، اهمها : ديوان العقاب ، وديوان التأملات ، ثم اسطورة الاجيال ، واخيرا القصة الخالدة : «البؤساء» ! ..

وكانت جولييت تقيم طيلة تلك السنوات فى فيللا قريبة تشرف على الغرفة «الزجاجية» التى يقضى فيها هوجو جل وقته، بحيث كانت تراه وترقب حركاته وسكناته من خلال الزجاج وهو ينهض مع شروق الشمس فيرسل اليها قبلات الصباح، ثم يغتسل ويتزين ويرتدى «بيجامته» الحمراء.. واخيرا يجلس الى منضدة الكتابة فينثر حواليه عشرات من الاوراق والقصاصات، ويشرع فى انتاجه الادبى !.. وكانت تتولى نسخ انتاجه الادبى فى تلك الفترة كل من جولييت و«جولى شيناى» شقيقة زوجته أديل ، وكانت الاخيرة ـ على العكس من اختها ـ مثالا للعفة والفضيلة !

◆ وذات يوم ، وقع ما كدر صفاء هذه الحياة الهادئة المستقرة : كان هوجو عائدا من نزهة بصحبة جولييت ، حين سلم اليه ساعى البريد خطابا مسجلا، عرف فيه من فوره خط غريمه سانت بوف .. فلما انفرد بنفسه فى مخدعه فضه بيد منفعلة.. فاذا هو يحوى مجموعة من خطابات مدام هوجو الى عشيقها النذل ، وكانت حافلة بالعبارات والرسوم المبتذلة التى اثارت حنق الزوج المخدوع واشمئزازه ، ويأسه القاتل .. حتى لقد عاودته لحظتئذ فكرة الانتحار ، من فرط الاهانة التى سحقته سحقا !.. لكنه غالب انفعاله واخفى حزمة الرسائل البغيضة فى درج سرى ، ثم اعترف لنفسه بحقيقة شعوره نحو زوجته : انها قد غدت كريهة فى ناظريه ، بحيث يود لو تموت !.. ولكم يحز فى نفسه ان يضطر الى معاملة هذه «الحرباء» الخبيثة بالاحترام الذى لا تستحقه ، مراعاة لآداب اللياقة فى مواجهة ابنيها الشابين وابنتها التى شبت عن الطوق !

وهرع من فوره الى جولييت فارتمى بين ذراعيها وهو ينشج بالبكاء كالاطفال ! .. ومنذ ذلك اليوم امتنع عن رؤية زوجته ، او الجلوس معها الى مائدة واحدة !

شبح الابنة ... يشفع للام !

◆ بعد بضع ليال استيقظ هوجو من نومه على دمدمة عاصفة عاتية تمزق الفضاء ، وكان وميض البرق المتلاحق يعشى الابصار ، وهزيم الرعد يزلزل الكون وينقض بلا رحمة على البحر الصاخب المجنون .. كانت ثورة الطبيعة اشبه بالثورة التى تصطرع فى نفسه .. وفجاة انبثق امامه من قلب الظلمات شبح باهت شاحب كالطيف ، ذو شعر منسدل وعينين قاتمتين لطيفتين ..

عرف هوجو فيه ـ بقلبه اكثر منه بعينيه ـ شبح ابنته الغريقة ليوبولدين.. فمد ذراعيه ليحتضنها ، لكنه لم يحتضن الا هواء ، وخواء !

ـ ليوبولدين ، ابنتى الحبيبة .. أحقا هذه انت ؟

ـ نعم يا أبى .. أشفق على أماه !

ـ أين انت يا حبيبتى ((ليوبولدين)) ؟

ـ فى ارض سعيدة يا أبى .. أشفق على أماه !

ثم توارى الطيف الحبيب وهو يكرر العبارة الاخيرة هامسا ، حتى اختفى فى الضباب !

وبعد ليلة مسهدة ، قرر المسكين ان يخفف من وطأة اضطهاده ازوجته ، بالقدر الذى يكفى لتحقيق شفاعة ابنته ! .. وحين نشر فى فرنسا ديوانه التالى ((التأملات)) محتويا على اغنيته الجنائزية الخالدة ((بوكا ميا)) اهتز قلب فرنسا بأسرها .. صارت الامهات يصلين من أجل هوجو كلما ابتهلن من أجل اطفالهن المرضى ! .. انه قد أطلق الصرخة الملتاعة الحبيسة فى صدور الحزانى والمكلومين جميعا فى شتى انحاء الارض ، وعبر عما أحس به الكثيرون وان لم يجدوا الكلمات الملائمة للتعبير عنه !

◆ على ان هوجو لم يجد راحته الكبرى الا فى كتابة ((البؤساء)) ، قصته الخالدة التى قصد بها أن يقول ان المجتمع هو الذى ينبغى أن يلام على وجود الرجال أو النساء الاشرار .. فالزهرة الضئيلة التغذية هى التى تنبت لها اشواك !! .. وقد استوحى هوجو بعض شخصيات قصته ، ولاسيما شخصيات النسوة الفقيرات ، من الخادمات والعاملات اللواتى كان دائم الاحتكاك بهن بحكم ((ضعفه)) الغريزى نحو طبقتهن .. واعجابه الزائد بهن !.. وحتى فى هذه الجزيرة المحدودة الفرص ، كانت مغامراته معهن لا تنقطع الا لتتصل . كان يمر باحيائهن المتواضعة كل يوم سبت فينثر لهن على الارصفة قطع النقود الذهبية ، محاولا استمالتهن !

وكانت أخص من ظفرت باعجابه منهن زوجة القصاب الذى يمد البيت كل يوم بما يلزمه من لحوم . وكانت حسناء شقراء ينشق ثوبها الصيفى من أعلى عن نهدين ممتلئين !.. وقد لاحقها هوجو بنظراته ولمساته حتى أيقن انها لن تمانع فى الاستجابة لمحاولاته .. فانتهز فرصة الزحام ذات يوم ودس فى يدها ورقة يسالها فيها موعدا !.. فاعادت اليه الورقة بعد دقائق وعليها هذا الموعد : ((شارع بورتلاند رقم ٦ ، الطابق الثانى ، الساعة الخامسة . دق الجرس مرتين .. !))

◆ وفى تلك الليلة لمحت جولييت فى عينى صاحبها النظرة المخادعة المألوفة ! .. فاعتزمت ان تتبعه عند خروجه الى حيث يذهب . وفعلت !.. فلما ولج المنزل رقم ٦ اخذت هى تذرع الشارع والغيرة تنهش قلبها .. حتى خرج هوجو من المنزل بعد ساعتين ونصف ونظرة الظفر تطل من عينيه !.. فواجهته غاضبة متحدية ، لكنه افلح فى تهدئة ثائرتها بحقيبة صغيرة اشتراها لها لساعته ، واهداها اياها .. فسكنت وانصرف غضبها !.. بينما مضى هوجو الى بيته وافكاره تسبح مع طيف ((مارى)) زوجة القصاب الشهية ،

ورائحة جسدها المتع ماتزال تملأ خياشيمه !

الخائنة تطلب الصفح !

◆ وكانت مدام هوجو قد بدأت تحس تعبا متزايدا فى عينيها ، اقتضى وجوب سفرها الى باريس بلا ابطاء لعلاجه .. فدخلت على زوجها قبيل رحيلها تسأله ان كان يرغب فى ان تحضر له شيئا من العاصمة ؟.. وحين رأت نظرته قد « لانت » عنذى قبل ، حزمت شجاعتها وابتدرته :

– فيكتور .. متى تصفح عنى ؟

– دعينى أعمل الآن .. ان هناك اعمالا كثيرة تتطلب الانجاز السريع !

فخرجت ذليلة .. تجرجر أذيال خيبة الامل !

◆ وفى المساء ، راقب هوجو «أديل الصغيرة» وهى تقوم ببعض مهام المنزل وقد بدا العبوس والاسى على وجهها ، فسألها :

– ماذا يؤلمك يا أديل .. ألست سعيدة هنا ؟

– كيف أكون سعيدة يا أبى ، وانت لا تعطف على أمى ، وتتحاشى محادثتها ومؤانستها ؟ انك واخوتى تقضون اكثر اوقاتكم وتتناولون وجباتكم عند مدام جوليبيت .. بينما أنا وأمى نتناول طعامنا وحيدتين كل مرة .. اتسمى هذه حياة سعيدة ؟

– أترغبين فى السفر مع أمك الى باريس ؟

– بودى ذلك ، لكننى مضطرة الى البقاء كى اهتم بشؤون اخوتى .

– لطيف منك أن تفكرى فى اخويك .. ترى هل تفكرين فى أبيك بين الحين والآخر ؟

– كنت لأفكر فيك أكثر لو انك اعرتنى ادنى التفات ، لكنك تعاملنى كأنى منضدة صماء ، او قطعة من اثاث غرفة مكتبك !.. انك تقضى وقتك كله منصرفا الى عملك وكتاباتك !

– تعلمين يا أديل أن كتاباتى هى التى تقوم بأود العائلة ! .. لماذا لا تتخذين لك صديقات من فتيات الجزيرة اللواتى فى سنك ؟

– لانهن يتجنبن أن تكون لهن بى أية صلة !

– ولماذا ؟

– لانك تحيا حياة غير شريفة !!

اقرأ الجزء الاخير من الكتاب فى «كتابى» القادم

بريد كتابى

فى العـــدين الماضيين من « كتابى » نشرت جانبـــا من الرسائل الكريمة التى غمرنى أصحابها بنبيل شعورهم وفيض تقـــديرهم المشكور لمشروع «كتابى» •• لكن ضـــيق المقام يعجزنى عن نشر بقية الرسائل ، لذلك أكتفى ـ مضـــطرا ـ بذكرأسماء مرسليها الاعزاء ، تسجيلا لاستلامى اياها ، شاكرا لحضراتهم حسن ظنهم •• وفيمايلى قائمة أصحاب هذه الرسائل مع حفظ الالقاب :

امين صادق ، المفتش العام بالشؤون الاجتماعية . احمد محمد عبد الحكيم ، الموظف بقلم مرور مصر . فايز جرجس معوض ، بكالوريوس علوم مالية وتجارية . طه حسن حسين ، طالب بكلية الهندسة . عمر محمد شامى ، الجمارك بورسودان . صموئيل كامل عبد السيد ، مدرس اللغة اليونانية شارع الفرماوى روض الفرج . محمد البدرى ، مدرس بالمدرسة الفاروقية الثانوية بالزقازيق . طه احمد الشريف ، دبلوم صحافة بالفشن . محمد علوان الجميل ، معلم مدرسة الشامية بالعراق . السيد ابراهيم عبد الحليم ، هندسة وابورات الزقازيق . البكباشى السيد اسماعيل ، خريج البعثة البحرية بانجلترا . محمد بهاء الدين صادق ، ادارة مستخدمى وزارة الحربية والبحرية . وليم اسكندر يونان ، ٢٠ شارع رؤوف ، بنى مزار . عبده جندى ، عين شمس . جابر عبد المحسن الشرقاوى ، الشهداء منوفية . سعد عبد القادر ، ١٩ شارع فرنسا اسكندرية . عبد القادر رشيد الناصرى ، امانة العاصمة ببغداد . عصام ، مهندس زراعى . ابراهيم محمد محمد بدر ، مدرسة السنبلاوين الثانوية . عبد العزيز صالح حسن ، كلية التجارة جامعة فاروق الاول . محمد محمود الاسيرى ، ٢٥ شارع الانصارى دمنهور . وليم سمعان بطرس ، مدرس بمدرسة الاقباط الكبرى بمصر . عبد المنعم رزق (لم يذكر عنوانه) . محمد عبد العظيم محمد ، مدرسة دمنهور الثانوية . ضياء احمد ، الرقة سوريا . السيد عبد الستار صالح السلطان ، ناحية الشرقاط ، العراق . صبحى محروس هرون ، شركة كوهنكا سايمان باشا مصر . (ف.١) ، كلية الحقوق جامعة فؤاد الاول . فرنسيس اسكندر ، كفر الدوار . فكرى لويس نخنوخ ، طالب بكلية الحقوق جامعة ابراهيم باشا . رئيس مجلس ادارة نادى موظفى الحكومة بالواحات البحرية . رؤوف انسى سعد ، رئيس مكتب الضمان الاجتماعى باسمو العروس ديروط . رمسيس بولس جرجس كاتب

بصحة القنطرة شرق . يعقوب المنشاوى ، العسيرات . آنسة نعمة هنرى ، الاقصر . حلمى جرجس حنا ، جريدة الاهرام . محمود حلمى مراد ، طالب بميت غمر . عمر سعد الله نعمانى ، شارع صليبا ، المزرعة لبنان . على محمد عبد الفتاح ، مدرس بالمنصورة . سيدة فكتوريا شحاته يعقوب ، ملوى . اسماعيل عبد الحميد شاكر ، تاجر ٥٥ سليم الاول مصر . منير زكى ميخائيل ، بنك باركليز سوهاج . انطون سمعان ، مخابر فى قسم المخابرات العربية ، النادى السورى بالاسكندرية . ادوار حليم ، ٣٣ شارع عمر بن الخطاب مصر الجديدة . محمد فريد طاهر ، ٢٧ شارع منصور باشا محرم بك الاسكندرية . عبد المنعم عطوة ، صحفى بميت غمر . جابر مرسى مقبل ، ١٩ شارع الداتى ، المتراس بالاسكندرية . عبد المجيد محمد عبده (لم يذكر عنوانه) . فوزى حسين حماد ، الطويلة غربية . واسن اسطفانوس ، صحفى . محمد محمد البحيرى ، شارع محمد عبد المنعم بالدقى . فرنسيس فيليب ، مدرسة النجاح بالزقازيق . محمد بركات على ابو يوسف ، طالب توجيهى بكفر الزيات . محمد عبد الغفار الشرقاوى ، ٤ شارع على بك المصرى بالجمرك الاسكندرية . عبد المنعم على سعد ٤ السيدة زينب القاهرة . (ح.عباس) ، الاسكندرية . جمال راشد النطاط ، منوف

زوروا محلات

تويدر وقطيب

يعد تجديدها وتوسيعها
وتنسيقها على أحدث طراز

بالممر التجارى .. ومدينة الكونتننتال

ت : ٥٣٧١٠ - ص.ب : ١٥٩٧١

الأحد	الاثنين	الثلاثاء	الأربعاء	الخميس	الجمعة	السبت
يوليه						
٢	٣	٤	٥	٦	٧	١
٩	١٠	١١	١٢	١٣	١٤	٨
١٦	١٧	١٨	١٩	٢٠	٢١	١٥
٢٣	٢٤	٢٥	٢٦	٢٧	٢٨	٢٢
٣٠	٣١					٢٩

الأحد	الاثنين	الثلاثاء	الأربعاء	الخميس	الجمعة	السبت
نوفمبر						
			١	٢	٣	٤
٥	٦	٧	٨	٩	١٠	١١
١٢	١٣	١٤	١٥	١٦	١٧	١٨
١٩	٢٠	٢١	٢٢	٢٣	٢٤	٢٥
٢٦	٢٧	٢٨	٢٩	٣٠		

الأحد	الاثنين	الثلاثاء	الأربعاء	الخميس	الجمعة	السبت
أكتوبر						
١	٢	٣	٤	٥	٦	٧
٨	٩	١٠	١١	١٢	١٣	١٤
١٥	١٦	١٧	١٨	١٩	٢٠	٢١
٢٢	٢٣	٢٤	٢٥	٢٦	٢٧	٢٨
٢٩	٣٠	٣١				

الأحد	الاثنين	الثلاثاء	الأربعاء	الخميس	الجمعة	السبت
سبتمبر						
					١	٢
٣	٤	٥	٦	٧	٨	٩
١٠	١١	١٢	١٣	١٤	١٥	١٦
١٧	١٨	١٩	٢٠	٢١	٢٢	٢٣
٢٤	٢٥	٢٦	٢٧	٢٨	٢٩	٣٠

Zyklotest زيكلوتست

أحدث ابتكار طبى ألمانى

الطبيب الخاص الأمين لكل سيدة
فحص يومى للسيدات - نتيجة صريحة وثيقة لحالتها

دليل صادق لا يأتيه الخطأ أو الباطل من أى جانب لبيان حالات السيدات وانتظامها . ولإثبات أو نفى حالات الحمل وتتبع تدرجها يوميا

نتيجة باهرة أقرها الطب وأقبل على استعمالها ملايين السيدات فى العالم - لم تبلغ عنها شكوى واحدة أو ذكر عنها خطأ واحد فى التشخيص

زيكلوتست

طريقة الاستعمال ومزايا هذا الاختراع العجيب مرفقة مع كل علبة

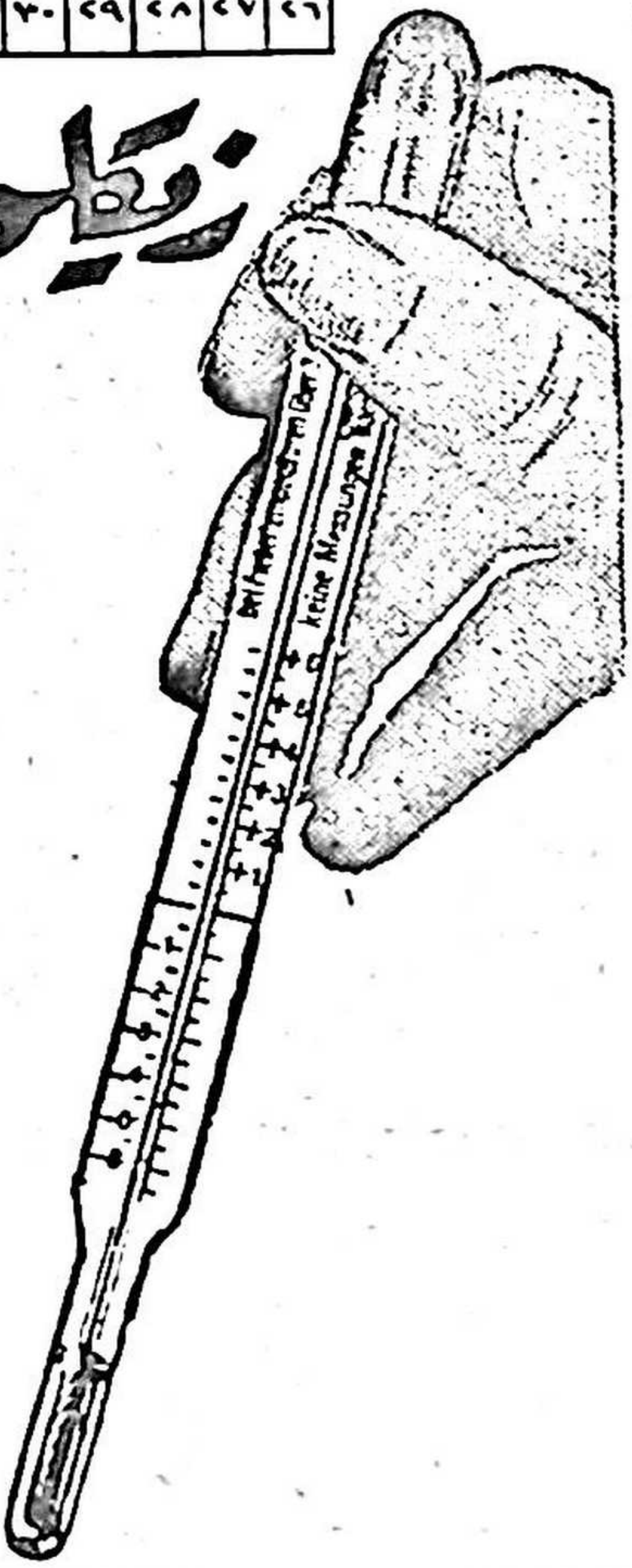

الوكلاء الوحيدون للقطر المصرى : الشركة المصرية الشرقية للتوريدات

حسن عبد الوهاب باشا ونجيب ميخائيل بشارة بك وشركاهما

٤٣ ب شارع قصر النيل - القاهرة - تليفون : ٧٩٠٥١٤

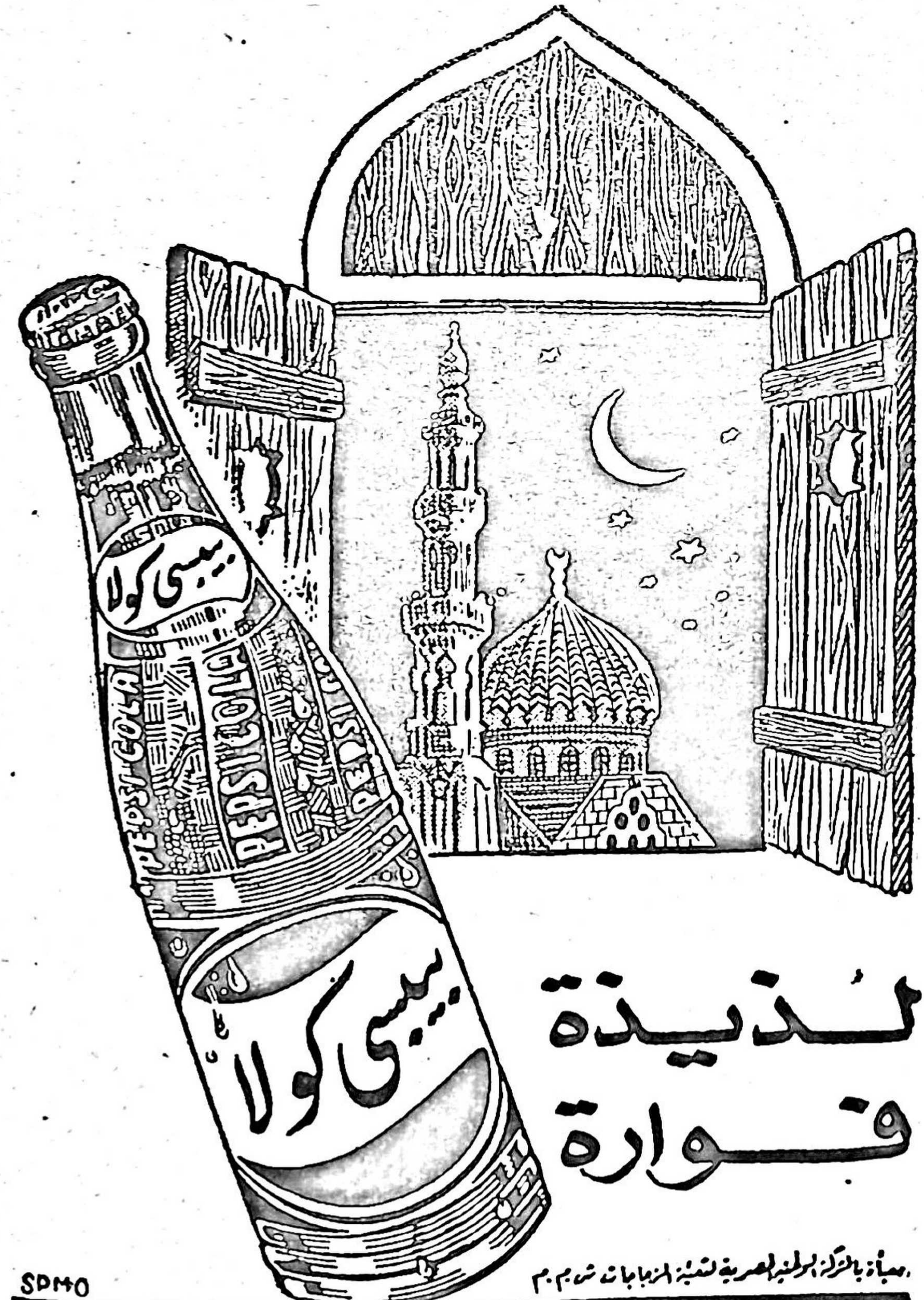
بيبسى كولا
PEPSI COLA
بيبسى كولا
لذيذة
فوارة
معبأة بالشركة الوطنية المصرية لتعبئة المرطبات ش.م.م
SP140

دكتور وليم محارب

جراح الفم والاسنان

افتتح عيادة ثانية بالعمارة الجديدة بميدان باب الحديد مدخل شارع الفجالة ـ وسيواصل العمل بها مع عيادته بمصر الجديدة ، فى المواعيد الآتية :

مصر الجديدة (٤٧ شارع اسماعيل) تليفون ٦٠٧٦٤ من ٩ ـ ٣٠ر١١ صباحا ومن ٣٠ر٤ ـ ٣٠ر٦ مساء

باب الحديد (٣ شارع الفجالة) من ١٢ ـ ٢ صباحا ومن ٧ ـ ٣٠ر٨ مساء

جهاز فهجر

المسجل دوليا لتدليك الحويصلات المنوية والبروستاته المتضخمة لمعالجة العقم والارتخاء والامراض الاخرى وقد اعترف معهد الابحاث بفائدته كما وان نقابة الاطباء صرحت بالنشر عنه لمخترعه **الدكتور فهمى جرس فهجر**

٦٦ شارع ابراهيم باشا بمصر

تليفون ٥٦٢٠٤

دكتور رشدى محارب

طبيب الامراض الجلدية والتناسلية

نقل عيادته الى العمارة الجديدة بميدان باب الحديد (٣ شارع الفجالة) ويستقبل مرضاه كل مساء من ٦ ـ ٨

محتويات الكتاب

الموضوع **صفحة**

غرام الظباء : قصة مصرية للمحرر ٥
عندما ترفع الستار : روائع المسرح العالمى ١٤
فولبون(الثعلب) : كوميديا تمثيلية كبرى لـ«بن جونسون» ١٥
الخالدون : عظماء .. فى غير السياسة ٣٢
ماركونى : قصة حياته وكفاحه فى سبيل العلم والاختراع ٣٣
حوافز الحياة : النفس والجنس والمجتمع ٤٨
كيف تقهر الخجل : للعالم النفسانى « تيار » ٤٩
حدث ذات يوم : من قصص التاريخ ومآسيه ٧٢
لوكريشيا بورجيا فى حقيقتها : للكاتبة الفرنسية
هيلين فاكاريسكو ٧٣
لوكريشيا بورجيا، فى خيال الشعراء: مسرحية لفيكتور هوجو ٩٣
الجريمة والعقاب : من قصص المحاكمات الكبرى ١٠٠
محاكمة سقراط : بقلم أفلاطون ١٠١
كتب الاولون : كنوز الكتب القديمة ١٢٠
اسطورة حى بن يقظان : ابن طفيل ١٢١
قصة روبنسن كروزو : دانييل ديفو ١٣٦
الحياة قصة : روائع القصص العالمى ١٤٢
أحدب نوتردام : لفيكتور هوجو ١٤٣
خلف النوافذ المغلقة : عباقرة الانسانية فى حياتهم الخاصة ١٦٤
مأساة قلب : لليون دوديه ١٦٥
بريد كتابى ١٧٣

كتابي

الخامس

محتويات الكتاب

غرام الظباء: قصة مصرية للمحرر • ڤولبون (الثعلب): كوميديا من روائع المسرح العالمى، للكاتب الانجليزى "بن جونسون" • ماركونى: قصة حياته وكفاحه فى سبيل العلم والاختراع من قصص العظماء فى غير السياسة • اسطورة "حى بن يقظان" لابن طفيل، وقصة "روبنسن كروزو" لدانييل ديفو: من كنوز الكتب القديمة • "مرض" الخجل: أسبابه وعلاجه، وأعراضه ومضاعفاته - للعالم النفسانى س. هـ. تيار • أحدب نوتردام: من روائع القصص العالمى، للروائى الفرنسى الكبير فيكتور هوجو • لوكريشيا بورجيا (شقيقة السفاح): من قصص التاريخ الشائقة • مأساة قلب: من قصص العباقرة فى حياتهم الخاصة • محاكمة سقراط واعدامه، بتهمة افساد الشباب - دفاعه المجيد عن نفسه: من قصص المحاكمات الكبرى